

الدين المعاملة

المعاملات

المادية والأدبية

تأليف

الشيخ
عَلِيٌّ فَخْرِي

الأمين الأول ورئيس المغيرين لدار الكتب المصرية

الجزء الثالث

الخاص بالمعاملات الأدبية

راجعته فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الحسني الظواهري رحمه الله

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنشر والنقل والترجمة محفوظة

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م / ٨٠٠

حكم ومواعظ

الدين المعاملة — أثر كريم .

حالة المرء تظهرها المعاملة والمعاشرة — حكمة بالغة .

تحابوا كالأخوان ، وتعاملوا كالأجانب — موعظة حسنة .

عامل الناس كما تُحب أن يعاملوك به — » »

لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه — حديث شريف .

وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ

إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . « قرآن كريم »

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا .

« قرآن كريم »

كلمة

المغفور له حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل

الشيخ محمد الحسيني الطواهري

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ميز النوع الإنساني بالعقل ليهتدى به إلى معرفة الصانع الحكيم ، وزاده هدايةً ببعثة الأنبياء والمرسلين ، وأكمل النظام بشرع الأحكام حفظاً للمصالح فأكمل النظام على الدوام .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فهو إمام النوع الإنساني في مكارم الأخلاق ، بعثه الله مهذباً ومؤدباً فكان سراجاً منيراً ، فأكملت به مكارم الأخلاق .

وعلى آله وصحبه الذين تأدبوا بأدبه ففازوا بسعادة الدارين .

وبعد : فإن الله أرشد إلى التهذيب والتأديب بشرع الأحكام ، وألهم جماعة اقتباس ما يصلح العالم ويهذب به من تلك الشرائع واجباً وغيره ، فكتبوا مؤلفاتهم النفيسة في بيان هذا التهذيب والتأديب .

وممن له القدر المعلي في ذلك :

(حضرة الأستاذ الجليل السيد علي فكري ذلك الحبيب النسيب)

فأظهر للناس مؤلفاً في (المعاملات الأدبية) .

وإنه والله لكتابٌ يجب على كل عاقل اقتناؤه ؛ لأنه بين للناس ما يصلحهم ، مستندلاً على هذا التهذيب بالمعقول والمنقول .

فسبحان من اختص هذا الفاضل بتلك المزايا التي قلما توهب لغيره .
أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ عليه نعمة الصحة ، وأن يزيد نفعه للأمة
بنشر ما يكون سبباً للهداية ، إنه وليّ الإجابة .
« نعم المولى ونعم النصير » .

محمد الحسيني الطواهري

من علماء الأزهر الشريف
ومدرس بكلية أصول الدين

الزيتون في يوم الثلاثاء } ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣٥٨
٦ فبراير سنة ١٩٤٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، إلى يوم الدين . أما بعد - فلما كان الناس في معاملاتهم الآن على خطر عظيم من جهة الدنيا والدين ، لإهمالهم الأوامر الإلهية ؛ والإرشادات النبوية الإسلامية ، وجب على كل مسلم - غيور على دينه يريد خيراً بالإسلام والمسلمين - أن يرفع صوت الحق عالياً لإرشاد العالم إلى العمل بدينهم ، واتباع سنة نبيهم ، في المعاملات الدنيوية والدينية ، حتى يصلح حالهم ويظهر الإسلام في أخص نواحيه البارزة ، لأنه مع الأسف الشديد قد صارت المعاملات التجارية الآن بين الناس - خصوصاً مع الأهل والأقارب - على الإيهام والغرر ، والخديعة ، والغش ، والخيانة ، والأذى ، والتغلب ، حتى أصبحت الخصومات والمجادلات بينهم مصدر الأحقاد والضغائن ومبوءات الجرائم ،

واختلال النظام ، والأمن العام ، وأصبحوا شيعا متفرقين ، لا اتحاد ولا ائتلاف ولا تعاون ولا وفاق . وهذه الخصومات والمنازعات التي تغصّ بها دور القضاء والإدارة ، والمحاكم شاهدة بذلك .

لأن المبدأ الإسلامى فى المعاملات ألا يأكل الإنسان أموال الناس بالباطل ، فيكون حارساً على جيبه ، أعنى لا يدخل فيه درهماً من حرام ، وألا يعيش إلا من أكل الدرهم الحلال ، وأن يعطى كل ذى حق حقه بالمعروف وطيب الكلام ، بدون التجاء إلى المحاكم والمحامين ، ليعيش فى راحة بال وأمان واطمئنان وأسعد حال .

هكذا كان الإسلام حال حياته الأولى وزمن العمل به ، فلو قامت هذه الحال الآن بين جميع المسلمين لحسنت المنازعات وأغلقت السجون ، واستراح القضاء ورجل الإدارة ، واستتب الأمن ، وظهرت ثمرة التشريع الإسلامى فى سياسة الأمم والشعوب ، ولزالت الكروب والحروب والخطوب .

وهذا هو (الجزء الثالث) من - كتابنا الخاص بالمعاملات الأدبية - وهى المعاملات التى تصدر عن اللسان والجوارح . وقاعدتها الالتزامات الأدبية : مثل الصدق قولاً وفعلاً ، والوفاء بالوعد والعهد ، والحلم وحسن الخلق وكتمان السر ، والأمانة ، وحسن المعاملة ، وغير ذلك من الصفات الحميدة والخلال الرشيدة ، التى أمرنا الله تعالى بها فى كتابه الكريم ، وحثنا عليها سيد

البشر صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة للعمل بها واجتناب ما يخالفها حتى تتألف القلوب ، وتزداد الثقة بين الناس ، وتقوى محبتهم ، وتزداد رابطتهم ، وتكون سبباً في سعادة المجتمع الإنساني وارتقائه ، وراحته واطمئنانه .
وسنبداً بذكر الصفات الحميدة أولاً ، ثم نذكر أضرارها بعدها ليظهر ،
الفارق بين الحق والباطل ، والفاصل بين الحلال والحرام ، فيسلك الإنسان ،
الطريق الأول ، ويتعد عن الثانى ، ليفوز بالفلاح والنجاح ، والسعادة
في الدارين ، وبلوغ الغايتين .

ولما كان المال هو أس التعامل بين الناس ؛ بل هو السبب الوحيد
في جلب المخاصمات والمنازعات ، فقد رأينا أن نختتم هذا الجزء بنبذة صغيرة
في المال ، وما يتعلق به من الوجهة الشرعية ، والاجتماعية والأدبية ، مع ذكر
بعض النصائح والإرشادات ، في كيفية استعمال المال وحسن التصرف فيه
والتحذير من الإسراف والتبذير ، والحث على الاقتصاد والتدبير ، وبيان طرق
تحصيل المال واكتسابه من الطريق الحلال ، والنهي عن اكتسابه من الطريق
الحرام ، وبيان الوجوه التي يحل فيها صرف المال ، والتي يحرم فيها إنفاقه ،
والابتعاد عن أكل أموال الناس بالباطل .

وعلاوة على ذلك ذكر المواد التي وردت في قانون العقوبات بشأن
المعاملات التجارية ، ومعاملة الموظفين لأفراد الناس ، وغير ذلك مما له مساس
بالمعاملات المادية والأدبية معاً ليكون كل إنسان على بينة مما أعده له القانون

من العقوبات التأديبية ، والزواج الدينية ، في حالة الخروج عن حدود الآداب
وسوء المعاملة ، لتقويم الأخلاق ، وتحسين العلاقات في المعاملات بين الناس .
وإتماما للفائدة قد أضفت إليها بعض الخطب الوعظية لمشاهير الخطباء
في مصر ليكون في مطالعتها تأييد لما ذكرناه ، وعظة واعتبار لذوى الأفهام
والأبصار . والله الموفق لما فيه صلاح الحال ، وبلوغ الآمال .

السيد

علي فكري

مصر الجديدة في يوم عرفة { ٩ ذى الحجة سنة ١٣٥٨
١١ يناير سنة ١٩٤٠

ابن المرحوم السيد محمد عبد الله الحكيم

المعاملات الأدبية

المعاملات الأدبية : هي التي تصدر عن اللسان والجوارح ، وقاعدتها الالتزامات الأدبية .

مثل : الصدق والحق ، في القول والفعل ، وأداء الشهادة على وجهها ، وتجنب الكذب قولاً وفعلاً ، وشهادة الزور ، والحنف بغير الله ، والأيمان الكاذبة . وترك الفحش من القول ، وبذاءة اللسان ، ومراعاة كتمان السر ، وعدم إفشائه . وتجنب التجسس ، والغيبة ، والنميمة ، والوشاية .

ومراعاة حسن الخلق في معاملة الناس بعضهم بعضاً ، وترك النفاق ، والرياء والخداع ، ومراعاة الأمانة ، وترك الغش والخيانة . ومراعاة الوفاء بالعهد والوعد ، وتجنب الغدر وخلف الوعد . ومراعاة الإخلاص في العمل ، وحسن المعاملة والمجاملة ، والإصلاح بين الناس ، وتجنب سوء المعاملة . ومراعاة الحلم والتسامح ، والتساهل ، والعفو ، وترك الغضب ، والجدل والمراء ، والخصومة . وبالجملة مراعاة ما فيه حسن المعاملة والعشرة ، واجتناب ما يخالفهما حتى تتألف القلوب ، وتزداد الثقة بين الناس ، فيعيشون في أمان وراحة بال وسلام ، واطمئنان .

وسياتي ذكر ذلك كله مفصلاً إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب .

والله الموفق للصواب .

الصدق في المعاملة

أسّ النجاح

الصدق في المعاملة أسّ النجاح ، ودستور الأخذ والعطاء بين الناس وبعضهم . ولا يعرف قيمته إلا الذين يتعاطون التجارة ونحوها ، فهؤلاء يقولون : (صدق المعاملة من الدين أو (الدين المعاملة) أى أنهم رفعوا قدرها إلى درجة الدين ؛ ولقد أنصفوا ، فإن الناس إنما يتعارفون بالمعاملة فإذا لم يصدقوا فيها أصبحت أشغالهم فوضى ، ومعاملتهم ضارة وخاسرة . ووقفت حركة تجارتهم ، وحرموا لذة الكسب ، وآل أمرهم إلى الخراب ، ولولا الصدق لا تنزعت ثقة الناس بعضهم من بعض ، ولما وصل إليهم شيء من الأديان والعلوم والصنائع ، وبطلت جامعتهم ، وتعطلت لغاتهم ، وذهبت باطلاً وتقطعت رابطتهم ، وفسد نظام العالم أجمع حتى كأن كل فرد يقطن وحده في صحراء بعيداً عن الناس .

فليس في الأخلاق خلق أمسّ بالإصلاح والنظام الاجتماعي من الصدق ولا أفسد بهما من الكذب ؛ من أجل هذا كان الصدق أول الفضائل وأعظمها نفعاً ، والكذب أول الرذائل وأقبحها أثراً وأكثرها ضرراً . فالصدق من الضروريات التي يتوقف عليها حفظ نظام العالم بأسره ؛ لأنه بالصدق تثبت الحقوق ، وتحفظ الأرواح ، وتسلم الأعراض ، ويعيش الناس في أمان ، وراحة وسلام واطمئنان .

فالصادق يكون دائماً موضع الثقة ، ومحل الأمانة ، مبعجلاً محترماً ،
مهما كانت درجته ؛ لأن الصادق لا يكون خائناً ، ولا غاشاً ، ولا مختلساً ،
ولا مبدداً ، ولا مزوراً ، ولا مغتاباً ، ولا نماماً ، ولا منافقاً ، ولا مخادعاً
ولا مرائياً .

فإذا عاملت صادقاً كنت في مأمن على روحك ، وعرضك ، ومالك ،
ويكون هو على يقين من رغبة الناس في معاملته ، فتزداد الألفة والمحبة
بينهم وبينه .

التاجر إذا صدق في تجارتها اطمأن إليه الناس ، وعولوا على الشراء منه ،
وحفظوا أوقاتهم من الضياع في شراء عَرْضٍ حقير ، ومعرفة جيده وثمنه ،
وأثرى . كذلك الصانع إذا صدق في صناعته ، والزارع إذا صدق في زراعته
فإن صدقهم يعود عليهم باليسر ، وعلى الناس بالراحة والبشر .

والصدق من أهم الأسس الاجتماعية ، بل هو الأساس المتين الذي تنشأ
عليه المجتمعات ؛ لأنه لا بد للمجتمع من أن يتفاهم أفرادها بعضهم مع بعض ،
ومن غير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا ، ومعنى التفاهم هو أن يوصل الإنسان
ما في نفسه من العلم والحقائق إلى الآخرين ، وهذا هو الصدق بعينه .

ومن أجل هذا عدّ الصدق أساساً للمجتمعات ، وجعل عنواناً لرقى الأمم ،
فالشخص الذي يعرف بالصدق بين قومه وعشيرته وإخوانه ، يؤخذ قوله
حجةً بلا برهان ، ويكون موضع الثقة عند الخاصة والعامة ، وأهلاً
للتبجيل والاحترام .

فإذا أردت أيها الإنسان أن تكون موثقاً بك ، محبوباً مكرماً محترماً
فاحرص على أن تكون صادقاً في كل ما تتحدث به ، ولا تقبل إلا الحق مهما
نالك من اللوم والتقريع ، والله تعالى يتولى هدايتك ، ويجعل لك لسان صدق
في العالمين .

واعلم بأن اللسان نعمة من نعم الله تعالى عليك ، وهبها لك لتحصل بها
الخير لنفسك ، ولأبناء جنسك ، فإذا استعملته في المصلحة العامة والخاصة كان
لك فضيلة كبرى ، وأمنت مقت الله تعالى وسخط الناس . أما إذا استعملته
آلة للشر في هذا العالم وانحرفت به عن طريق الحق والصواب ، وكنت به
معاوناً على إفساد نظام العالم ، وإبطال حركته ، حاق بك سخط من الله ، وهوان
من الناس .

فاتق الله تعالى ، وراع جانب فضيلة الصدق في قولك وعملك ، واجعل
لسانك لسان صدق وحق .

اتق الله في أسرتك وأبنائك الذين جعل الله في عنقك أمر تريتهم ،
وتوصيلهم إلى الفضيلة ، فلا تكذب أمامهم ، وإن كنت هازلاً ، فإنهم
يقلدونك في أحوالهم ، وأقوالهم ، وعمل بقول الحكيم :

« علم ابنك الصدق والصدق يعلمه كل شيء » .

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع الصدق فقال جلّ شأنه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) « التوبة » .

ووعده الله الصادقين حسن الجزاء ، وبشرهم بالجنة ، فقال عز وجل :

(هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ) « المائدة » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي
إِلَى الْجَنَّةِ » .

فيا أيها المسلم اسمع كلام الله ، وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحرر
الصدق في أخبارك ومعاملاتك مع الناس ، وسائر شئونك تكن من المفاجين
الفائزين ، وتكتب عند الله من الصديقين الموعودين بالجنة .

« وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ

صِدْقًا » عن ابن مسعود .

وفي هذا القدر كفاية ، ومن أراد أن يقف على ما جاء في الصدق من
الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال العلماء والأدباء . وأقسام
الصدق ، فليراجع هذا الباب في كتابنا (تقويم الأخلاق — الجزء الأول)

الصدق والكذب وأثرهما في المجتمع

أولا - الصدق

الصدق فضيلة الفضائل ، وأساس الأخلاق الكريمة ، يقوم عليه نظام الاجتماع ، وترتيب الأمور في كل البقاع ، وسيرها السير الحميد ، ووصولها إلى الطريق المجيد ؛ وإنه ليعلى صاحبه عند الناس جميعاً ، فيجعله موضع ثقتهم مرغوب الحديث عندهم ، محبوباً إليهم ، محترم الكلمة عند حكامهم ، مقبول الشهادة عند قضاتهم .

لهذا أمرنا الله به في كتابه العزيز فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وأشاد بمكاته في حديثه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام إذ يقول تعالى :

(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) .

ومدح به سيدنا إسماعيل عليه السلام في قوله : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) .

ومدح به إدريس عليه السلام في قوله : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) .

والصدق يكون في القول ، وفي العقيدة ، وفي العمل .

فالصدق في القول أن يكون مطابقاً لما في ضميرك أو وفق الحقيقة أو وفقهما

معاً ، وهذا يدعوك إلى التثبت في الحديث والتحري قبله ، وألا تقول بغير علم .

فإذا حدثت عن الماضى فقل الحق ، وإذا حدثت بما نويته فاجعل حديثك طبق نيتك ، وإذا وعدت فاجعل نية الوفاء قرينة العزم ، ولا تستفهم عن أمر وأنت به عليم لتغرر بالسامعين لحاجة في نفسك ، ولا تطلب من خادمك شيئاً وقد أشرت إليه بعدم الإجابة ، أو نبهته إلى ذلك من قبل .
والصدق في العقيدة أن تكون طبق الحاصل في الوجود ، ففي الوجود
(إله واحد فعال يحكم ما يريد ويبدى ويعيد) فلا تعتقده في ذلك ندأ ولا شريكاً .
وفي الوجود محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فاعتقد برسالته .
وفي الوجود ظلم أمة ، أو عدالتها ، فاعتقد ما شهد به الوجود وهكذا .
والصدق في العقيدة يستدعى أولاً بحثها ، وطلب الدليل عليها في الحسيّات ، أو العقليات ، ونفي الشبهات عنها .
والصدق في العمل أن يكون مظهره في الخارج طبق صورته في النفس
فيكون خالصاً لله ، تبغى به المصلحة العامة ، لا يشوبه نفاق ولا رياء ، ولا ترد الوصول به إلى غرض دنيء كالذى يزور عظيماً مظهراً تودده إليه ومحبته له ، وهو يريد من وراء ذلك منفعة شخصية ، كالذى يجاهد مداراةً ومجاراةً أو طمعاً في مركز أو جاه . فكل ما تقدم يشمله عنوان الصدق .
وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الصدق ، وحث عليه ، فقال :

«عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا»

فبَيَّنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصدق يَهْدِي إلى البرِّ ، والبرُّ هو التوسع في فعل الخير ، وهو اسم جامع للخيرات كلها ، ويطلق على العمل الخالص الدائم ، ويرشد إلى العمل الصالح العظيم ؛ ذلك أنه منبت الفضائل وجذع شجرتها ، ومتفرع غصونها ، وسبق شرح هذا الحديث .

وهل الإيمان بالله والتصديق برسله ووحيه إلا شعبة من شعب الصدق ؟ فالصادق موفق للخيرات ، مقيم للمبرات ، والبر طريق الجنة ، بل مفتاحها الذى لا تفتح بغيره ، لقوله تعالى :

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ (الْأَسْرَّةِ) يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (بهجته وروثه) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ (شراب خالص) مَخْتومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) :

وقد بيَّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور مسألة من أهم مسائل الأخلاق وهى : طريقة تربية الخلق وتكوينه ، وتقويته فى النفس وتثبيته ، وجعله فى صف الطباع ، ذلك أن يتحرى الإنسان القول الجميل ، أو الصنع المجيد ، ويعمله المرة بعد المرة ، والرابعة تلو الثالثة ، والسادسة بعد الخامسة ، حتى يؤثر فى نفسه أثراً ، ويتخذ منها مجرى يزداد تعمقاً كلما تابع العمل ، فإذا بذلك الأثر الخلق والفضيلة التى تصدر عنها الأعمال الطيبة بسهولة .

فمن رغب فى أن يكون الصدق شيمته وخلقته ، وديدانه وطبعه ، فليتحر الصدق فى أقواله وأفعاله ، وليتابع ذلك . فإذا بالصدق خلقه ، وإذا به الصديق .

ومن رغب أن يكون الشجاع المقدام، والبطل المغوار، فليخض غمار الشدائد كلما دعت، وليناضل الخطوب كلما داهمته، فإذا بالشجاعة خلقه .

ومن راض نفسه على الكرم، فليبذل من ماله كلما أهاب به داعي الإحسان، فإذا به الجواد الكريم .

ومعنى كتابة الله : مَنْ تَحَرَّى الصَّدَقَ وَتَعَوَّدَهُ صَدِيقًا ، ضبط ذلك في سجله وحسابه في زمرة الصديقين، وإعلان ذلك في الملأ الأعلى فرحاً به، ورفعاً لذكره، والوحي إلى قلوب العباد بذلك ليحترموه، ويحلوه، ويوقروه، ويكبروه . عن الأدب النبوي

ثانياً - الكذب

الكذب أسّ الرذائل، ومنبع القبايح، به يتصدع بنيان المجتمع، ويختل سير الأمور، ويسقط صاحبه من العيون، لا يصدقونه في قول، ولا يثقون به في عمل، ولا يحبون له مجلساً، أحاديثه منبوذة، وشهادته مردودة .

لذلك نهى الله عنه، وفي القرآن الكريم كثير من الآيات المقبحة للكذب، المنفرة منه، المتوعدة عليه بالعذاب الشديد . فمنها قوله تعالى :
(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ) « النحل ١٠٥ » .

(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) « النحل ١١٦، ١١٧ » .

والكذب يجرى مجرى الصدق فيكون في القول ، وفي العقيدة ، وفي العمل .
فقول ما لا يطابق الضمير ، أو الواقع ، أو هما معاً ، أو لا يوافق النية
في كذب واعتقاد ما لا يساير الوجود كذب ، والرياء في الأعمال وإلباسها لباساً
غير لباسها النفسى كذب ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه
المشهور النهى عنه بقوله :

(إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ
يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ
عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا) رواه البخارى وغيره .

فَبَيَّنَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ
وَيَبْعَثُ عَلَى الشُّرُورِ ، وَيَهْتِكُ سِتْرَ الدِّيَانَةِ ، فَإِذَا بِصَاحِبِهِ مُرْتَضِئاً فِي الْمَعَاصِي
مُتَهَلِّكاً عَلَيْهَا .

وهل الشرك بالله ، واتخاذ الندى ، الذى هو أكبر جريمة ، إلا كذب ؟
وهل النفاق الذى هو شر من الكفر الصريح إلا كذب ؟
وكذلك الغش فى المعاملة ، ونية الخلف فى المواعيد ، والمرء آفة فى الأعمال
كلها من ضروب الكذب .

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أَنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَيَرْمِي
بِصَاحِبِهِ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ ؛ لقوله تعالى : (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) « الانقطار ١٥ » .

وكما أن الأعمال الحميدة بتجريبها وتعودّها تتكون الأخلاق العالية التي هي مصدر الخيرات ؛ كذلك الأعمال السيئة إذا تحراها الإنسان وتعودّها وضرى بها كوّنت في نفسه الأخلاق السيئة التي هي مصدر الشرور والآثام .

فمن سمح لنفسه بكذبة مرة ، وأتبعها أخرى ، وعززها بثالثة فرابعة وهكذا أصبح الكذب خُلُقًا له ، وصار الكذاب المهين . فلتجنبها نفسك وإلا تصبح خُلُقك ، أو طبعك .

دع المحارم ، وإن وقعت في شيء منها فبادر إلى التوبة ، وحذار من العود والتكرار فتكون من الهالكين .

وكتابة الله متعود الكذب كذاباً : تدوين ذلك في صحيفته السوداء وحسبانه من حزب الكاذبين المنافقين ، والتشهير به في الملأ الأعلى وإلهام النفوس أن تمجّه وتحتقره ، وتردريه وتمنّقه ، فإذا به بين الناس الطريد المهين ، الكريه البغيض .

فالتزم أخى الصديق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تغش الكذب حتى لا تكون الفاجر الأثيم ، والكذاب المهين ، واجعل صحيفتك بيضاء نقية ، ومكاتتك في المقر بين عليّة . عن الأدب النبوي

خطبة في الصدق والكذب

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أبو سيف الحماسي

خطيب الحرم الزيني

الحمد لله الذي جعل الصدق نجاةً للصادقين من مخاوف الدنيا والآخرة ،
وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من صدق فيها فاز بالمقامات الفاخرة ، وأشهد
أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على عبادته وشرائعه الناهية
الآمرة . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ذوى
اللسان الصادق ، والقلب السليم .

أما بعد : فيا عبد الله ، عليك بالصدق فى أحوالك كلها ، فإن الصدق يؤمن
على أهله وبركات ، ليست هذه البركات فى الدنيا فقط ، بل أعظم بركاته
يوم الحسرات .

أما بركاته فى الدنيا فله عظمة والجمال ، واليسار فى كل الحالات ، ولذلك
تجد الصادق بين الناس عظيماً لا يساميه عظيم . إن أخبر سارعوا إلى
تصديقه مهما كان خبره بعيداً عن الأذهان ، وإذا وعد اطمأنت القلوب إلى
وفائه بالوعد كل الاطمئنان ، وإن باع واشترى سجل عقده تسجيلاً لا تغيره
أمكنة ولا أزمان ، وإذا أخذ أو أعطى لا يغش ولا يخطر على بآله هذا
الغش الذميم .

لهذا ، إذا رأته العيون ملاًها جمالاً كما يملأ الصدور ؛ فإذا جلس كان

مطمح أنظار الجلساء ، وكان بينهم الجليل الوقور ؛ وإذا تحدث بادرته الآذان إلى التقاط كلماته كما يلتقط الدر المنشور ، وليس فوق هذا جمال وعظمة ينتظرهما في الدنيا رجل كريم .

أما إن احتاج الصادق فلا تشك في أن حاجته تزول في الحال ؛ فإنه إن قرع باباً فتحت له أبواب لا يحوجه باب منها إلى سؤال ؛ الناس يعرفون مبلغ صدقه فلا يضنون عليه بمال وإن كثر المال ، كنوز الناس مفاتيحها بيديه ، وهو يسارٌ يسر قلب الكظيم .

وأما بركات الصدق في الآخرة فحسبك أنه يرضى عنك رب العالمين ، وإذا رضى عنك ربك أدخلك دار كرمه ، ووقاك دار المجرمين .

ولما كان الصدق هذا قدره قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) أمرنا أن نكون معهم لنقتدي بهم ، لنكون في الدارين من أهل التكريم ، هذه بركات الصدق .

وأما الكذب فيسود الوجوه ، ويطأطئ رؤوس الرجال ، وإن احتاج الكاذب أغلقت الأبواب في وجهه إغلاقاً لا يفتح بحال ، وإن تكلم بأى نوع من أنواع الكلام كذبه الناس وأهملوه كل الإهمال ، هذا شؤم الكذب في الدنيا ، وأما شؤمه في الآخرة فعذاب الجحيم .

أضف إلى هذا أن الصدق وصف سادة الخلق الأنبياء والمرسلين ، ووصف كل من يعرف لنفسه شرفها ، فإن الشريف لا يستطيع أن يكون من الكاذبين . وأما الكذب فوصف الكفار لا يليق إلا بهم ، وليس من أخلاق المؤمنين .

فانظر من أى الفريقين أنت ؟ والسلام على أهل الصدق فإنهم الحقيقيون بالتسليم .

الحديث : « عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَّدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا . وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ . وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » (رواه أحمد ومسلم والترمذى) .
وسبق شرحه .

الحق

الحق : كلمة قامت بها السموات والأرض ، الحق الشئ الثابت الذى فيه خير المجتمع .

فتوحيد الله حق ، وقراءة القرآن حق ، والعمل بما فيه حق ، واتباع الرسول حق ، والأمر بالمعروف حق ، والنهي عن المنكر حق ، والعدل بين الخصوم حق ، وقيام الموظف بواجبه حق ، والصدق فى المعاملة حق ، والأمانة فى الأخبار حق ، وحفظ السر حق ، وكل نافع فى الحياة حق .

ولما كان الحق مُرًّا على بعض النفوس فلا تسينغه بسهولة أمرنا الله تعالى (بالتواصى بالحق) فكل إنسان ينصح غيره أن يقوم بالحق ، ويحافظ على معاملة ورسومه وطرقه وحدوده . فإذا رأيت شخصاً يريد أن يظلم ضعيفاً أو يتهم بريئاً ، أو يعمالى مجرمًا ، أو يحابى ظالمًا ، أو يعين راشياً ، أو يعجد

عاصياً فوصه بالحق وقل له : لا تظلم الضعفاء ، ولا تتهم الأبرياء ، ولا تتعالى
المجرمين ، ولا تحاب الظالمين ، ولا تعن الراشدين ، ولا تمجد العاصين .

وإذا رأيت شخصاً تهاون في الصلاة أو منع الزكاة ، أو تعاطى مسكراً
أو تناول مُفترّاً ، أو لعب قماراً ، أو قارف حراماً فوصه بالحق .

وكما توصيه بالحق إذا رأيت يشرع في جريمة ، أو كان يعملها فوصه أن
يكون منها على حذر ، وأن يقيم ما أهمل من شرائع الدين ، وسنن خاتم
النبين ، ولا تظن أنك تكون قائماً بالتواصي بالحق وأنت للحق بجانب ،
لا تقيمه في خاصة نفسك ، ولا تفرح عليك بعملك ؛ بل نفذ الوصية قبل
أن توصي ، واثمر قبل أن تأمر ، وأنته قبل أن تنهى ، لئلا تكون ممن قال
الله فيهم . (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ)
الْكِتَابِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

وكما تجب عليك وصية غيرك بالحق ، يجب ذلك على غيرك لنحوك ،
فإن الغير قد يرى من عيوب الإنسان ما لا يراه هو ، فيبصره بعيوبه ،

ويهديه سواء السبيل من كتاب إصلاح الوعظ الديني

الحق حكمة الوجود

الحق : هو حكمة الوجود ، المستمدة من روح الخالق جلّ وعلا .
وقد ينام الحق ويطول نومه ؛ ولكنه يصحو فجأة فيكتسح الباطل
اكتساحاً فإذا هو يفر أمامه لاهفاً يتعثر ، وخائباً ذليلاً . والساكت عن الحق
شيطان أخرس .

فقوله الحق واجبة وإن جاءت بالمشائق والمنافى والسجود ، فإذا كنت في جانب الحق فالله معك ، ومن كان الله معه فهو صاحب الأغلبية ولو كان وحيداً .

إن الحق حق وإذا اعتدى عليه المعتدون ، وطمع فيه الطامعون . والباطل باطل مهما يتخذ من مظاهر الحق ، ومهما يتكلف من أسباب القوة والبأس وكل الناس إذا تحدثت إليهم محبون للحق ، عطوفون عليه ، يضحون بكل شيء في سبيله ، فإذا بلوت أعمالهم فكثير منهم لا يحب إلا نفسه ، ولا يعطف إلا عليها ، ولا يضجى بشمرة واحدة من رأسه في سبيل الحق .

ما أتعس ذلك المخلوق الذي يعتدى على الحق فيمشى كل يوم في جنازة سمعته ! وما أشد تعاسة الأمة التي ينتمى إليها هذا المخلوق ! إنه يموت ويفنى ويتحلى تراباً ، لكن سيرته تظل نقطة سوداء لا يحورها الزمن في صفحات أمته .

آيتها القلوب المظلومة اصبرى ، فمن يترقب الحق متجلاً يعانقه الحق مشتاقاً .

وأنت أيها الحق تعال فقد طال نعاسك ، تعال وانظر إلى المظلومين وإلى أيديهم النحيلة المرتعشة المبسوطة نحو عرشك الرهيب ، تعال واسمع صراخهم الذي جرح حناجرهم ، وإلى بكائهم الذي غمر ظلمة قلوبهم فخذ بأيديهم وأخرجهم من ظلمات الظلم إلى نور الحق . (الأهرام)

* * * *

وقيل : الحق هو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة .

وقال المرحوم حسن حسنى الطويرانى : الحق روح الفضيلة ، وأهل

الحق وخدام الحقيقة لا يرون على أنفسهم من اللازم أن يرضى عنهم غيرهم
إذ لا يرضى عن المحق مبطل ، أو عن صاحب الحقيقة مفتون بالخيال . وقال :

يسر نفسى إن لم يرض وجهتها ذو باطل ماله فى الحق من طمع
والحق أنك لا ترضى بقول أو عمل طائفة من الناس إلا أغضبت
أضعافها . قال تعالى (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) .

لأن طلاب الباطل والشر كثيرون ، وطلاب الحق والخير قليلون .

نسأل الله أن يهدينا إلى طريق الحق ، ويبعدنا عن طريق الباطل .



وقال الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف سابقاً ورئيس
مجلس الشيوخ الآن : إن الفوز هو أبداً فى النهاية للحق ، الحق الذى يدعو
صاحبه غير مبتغ من الناس جزاء ولا شكوراً ، والذى يضحي صاحبه فى سبيله
براحته وبصلاته بالناس ، وبحياته وبكل ما فى الحياة لتنفيذ الخير والهدى .
الحق الذى ينير للناس المحجة فيدهم على أن الحياة واجب مقدس لا بد
وأن ينهض به كل امرئ ليجزيه الله عنه الجزاء الأوفى .

فالحق هو غاية الإنسانية ، فإن هى حاربت فى سبيله ، واستهانت بكل
شئ من أجله بلغت المكانة الواجبة إليها .

ولولا أن للحق من الخطورة ماله . ما حظر الشارع على طالبه أن يتولاه
أو ما اضطرب له أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذا الاضطراب الذى بلغ
به أن يبيع نفسه للناقدين ، ويسلم عرضه للمعترضين بقوله فى أول خطبة
خطبها بعد مبايعته :

(أيها الناس ، قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله^(١) .

لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل .
أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .
قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله) .

نصيحة عمر لعماله

في اتباع الحق

جاء في ثنایا التاريخ الإسلامی أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه كتب إلى عماله (الولاة) فقال : اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء ، قریبهم كبعيدهم ، وبعیدهم كقريبهم . إياكم والزنا والرشوة والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب ، فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار .

وكان يقول لهم أيضاً : لا تركبوا برذوناً^(٢) ولا تأكلوا نقياً ، ولا تلبسوا رقيقاً ، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج للناس ، وإن فعلتم شيئاً من ذلك حلت بكم العقوبة .
عن مجلة نشر الفضائل الإسلامية

العدد ١٦ من السنة الثانية عشرة الصادر في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤

(١) أى ليس الضعيف ضعيفاً بعد إقامة الحجة بل يكون قويا بقوة حقه ، ولا يكون القوى قوياً بعد أن تبين أنه مضيع للحق وكلاهما سواء أمام عدالة أبى بكر رضی الله عنه .
(٢) البرذون صنف من الخيل غير الأصلية .

الحق والصدق

انصر الحق فإن الحق نور
فسلاح الحق أمضى فتكة
وأخو الباطل مخذول وم
والزم الصدق تحز عند الورى
فاز بالحسنى رجال صدقوا
سعدوا بالصدق فى دنياهمو
فهنيئًا لهم ————— ما منحو
جانب الكذب ولو فى مغنم
إن دعاك الحق قم لب النداء
إن دعاك الحق فانهض مسرعًا
إن دعاك الحق فالزم نهجه
اتبع الحق ففیه للألى
آفة الحق الهوى من يعصمه
ياأخا الحق على النهج استقم
اتبع الحق وكن من أهله
فهو من كل البلايا عصمة
دولة الباطل فى يقظتها

واخذل الباطل واهجر كل زور
من حسام فى يدى لىث هصور
جلب الباطل أسباب الشرور
ثقة فى كسبها نجح الأمور
ولهم قد أجزل الله الأجور
وغداً فازوا بجنات وحرور
من جنان ذات حور وقصور
والزم الصدق ولو فيه الشبور
دائمًا در معه حيث يدور
وانصر الحق إذا عز النصير
إن نهج الحق وضائه منير
تبعوه متجبر ليس يبور
فهو بالعقل على النفس أمير
(لا يغرنك بالله الغرور)
فاز أهل الحق بالخير الكثير
وهو فى البرزخ نور فى القبور
كهزيم الرعد فى اليوم المطير

أو كوميض البرق في سرعته شأنها الخذلان في كل العصور
وجلال الحق في روعته يعمر الدنيا إلى يوم النشور
يا حماة الحق لا يقعدكم ثقل قد يعتريكم أو فتور
أنصروا الله تنالوا نصره وتفوزوا برضا الله القدير
لاتناموا عن جهاد واحذروا هول يوم الحشر والعرض الكبير
إنما الدنيا متاع زائل ليس تبقى وإلى الله المصير

عن مجلة الإسلام العدد ٥٤ السنة الثامنة الصادرة في ٥ يناير سنة ١٩٤٠ محمد شوشه

شهادة الحق

يدخل في صدق المعاملة قول الحق أو (شهادة الحق) التي تحفظ الحقوق ،
وتساعد الناس على انتشار العدل بينهم ، وتوطيد دعائم الأمن فيهم ، وتوقف
كل إنسان عند حده ؛ ولذا أمرنا الله تعالى بأداء الشهادة على حقيقتها ،
وعدم كتمانها ، وعدم الامتناع عن أدائها إذا دعينا إليها بقوله تعالى :
(وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) « سورة الطلاق ٢ »

ملحوظة : قد وضعت كتاباً خاصاً في بيان الحق والباطل ، والعدل والظلم أسميته :

« البيان الفاصل بين الحق والباطل »

وسيطبع بمشيئة الله تعالى بعد طبع هذا الكتاب ، والله الموفق لما فيه الخير والصواب .

وكيفية الشهادة التي نحتاجها بياناً للناس قد بينها الله في قوله تعالى :

(وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا
الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) «البقرة ٢٨٢»

والشهادة المستعملة في المعاملات التجارية ، وغيرها هي المينة
في قوله تعالى :

(وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) «البقرة ٢٨٢»
وقواعد الشهادة : وقوامها في الشرع الإسلامى قد بينها الله تعالى
في كتابه الكريم فقال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ
أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ) «النساء ١٣٥»

فقوامين بالقسط ، أى مواظبين على أداء العدل ، وشهداء لله : أى
تشهدون بالحق ابتغاء مرضاة الله ، ولو على أنفسكم مبالغة في الحث على
أداء الشهادة .

وهناك آيات كثيرة في الشهادة والشهداء مذكورة في كتاب
الله الكريم .

فالواجب على الإنسان أن يقول الحق ولو على نفسه التى بين جنبيه
أو ولده الذى هو أصدق الناس به ، لأن المفروض أن الإنسان إذا شهد على

نفسه ، أو على ولده أو والده لا يقول إلا الحق ، ولا يشهد إلا بالحق .
على أن الذى يعكس القضية ويقول غير الحق ، ويلتوى لسانه عن قول
الحق فلا ينطق به ، أو يعرض عن أداء الشهادة رأساً فإن الله تعالى به خبير
عليم ، لا تخفى عليه خافية من أمره ، وجزاؤه من الله الخزى فى الدنيا والعذاب
فى الآخرة .

وفى أداء شهادة الحق أن يعضّ الشاهد نظره عن كل اعتبار ، فلا
يتحيز لخصم أيّاً كان حاله ، ولا تحمله العاطفة أو الرحمة أو القرابة أن يشهد
لمصلحة أحد بغير حق ، ولا أن يتحيز لأقربائه أو أصدقائه ؛ إذ أن هذا المقام
خاصة لا ينبغي أن تراعى فيه هذه الأحوال مطلقاً ، فضلاً عن غيرها إلا بحق
بل الواجب أن يراقب العبد ربه ، ويعلم أنه معه ، وناظر إليه مطلع عليه
لا تخفى عليه خافية .

❦
وقاعدة الشهادة فى الإسلام اليمين ، وهذا فى حالة عدم وجود البينة .
واليمين فى الإسلام ، هو ما رسمه الشرع الإسلامى كما ورد ،
فى الحديث الآتى :

« جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الْخَضْرَمِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ كَانَتْ
لِأَبِي ، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ : هِيَ أَرْضِي فِي يَدَيَّ أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ .
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخَضْرَمِيِّ : أَلَكَ بَيِّنَةٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :
فَلَكَ يَمِينُهُ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ
عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ عَنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ : لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا يَمِينُهُ » .

« فانطلق ليحلف ، فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَذْبَرَ :
لَيْنٌ حَلَفَ عَلَى مَالٍ لِيَأْكُلَهُ فَإِنَّمَا لِيَلْقَيْنَ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ » .
(رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر) .

وصفة اليمين في الشهادة هي الحلف بالله تعالى ؛ جاء في بعض الأحاديث
ما معناه :

« مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفِ بِاللَّهِ
أَوْ لِيَصْمُتْ » .

« وَحَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ أَحْلِفِ بِاللَّهِ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَالَهُ عِنْدِي شَيْءٌ يَعْنِي لِلْمُدَّعَى » . (خلف . (رواه
أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنه) .

وقال تعالى في حق الحلف : (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ ؟ قُلْ إِيَّ وَرَبِّي
إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) « يونس ٥٣ »

حكمة الشهادة

وحكمة الشهادة : عظيمة جليلة ؛ لأن بها إثبات كل الحقوق ، ولكونها
ترجح قول المدعى على قول المدعى عليه .

ولها شروط خاصة مذكورة في كتب الفقه إذا وقفت عليها وتفهمتها
عرفت عدل الإسلام ، وسجدت شكراً لله على مننه بهذا الدين الحنيف القويم
الذي لم يترك باباً من أبواب المنافع إلا طرقه ، ولا فائدة من الفوائد العظمى
إلا وبينها بأعظم وجه ، وأرجح دليل .

وكما أن الله أمر بأداء الشهادة فقد نهى عن كتمانها ، وحكم على كاتمها بالإثم ، فقال جلّ شأنه :

(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) «البقرة ٢٨٣»

فإذا دعا أحدكم داع إلى شهادة يصل بها إلى حقه ، وينتصر بها على باطل ، فليجب دعوته ، وليؤد الشهادة كما علمها ؛ لا يزيد عليها ولا ينقص ، فإن الشاهد ، وهو يؤدى الشهادة ، على شفير جهنم ، فإذا انحرف فيها عن الصواب زلت به قدمه فهوى إلى الدرك الأسفل فى النار ، وذلك جزاء الكاذبين .

وإذا استقام فى شهادته فقد باعد بينه وبين النار ، وكان له جزاء الصادقين .

ولا يحل لإنسان أن يأبى الشهادة إذا دعى إليها ، ولا يقل : مالى والشهادة فإنها تضيع على الوقت ، وتفوت على المصالح . وليعلم أن الوقت لم يخلق له وحده ، فللناس عليه فيه حق ، وله عليهم حق ، وسيحتاج إليهم فى يوم ما ، كما يحتاجون إليه (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) والشهادة فى حقوق الله تعالى فيما سوى أسباب الحدود ، مثل الطلاق ، والعتاق ونحو ذلك تلزمه حسبة لله تعالى عند الحاجة ، غير طلب من أحد من الناس .

والشهادة فى أسباب الحدود ، مثل الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والقذف وغير ذلك ، فهو مخير بين أن يشهد حسبة لله تعالى ، وبين أن يستر ، لأن كل

واحد منهما أمر مندوب إليه . فإن شاء اختار جهة الحسبة ، وإن شاء اختار جهة الستر ، لقوله صلى الله عليه وسلم : من ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة .

التخلف عن الشهادة الحقبة بلا عذر

الشهادة الحقبة تظهر الحقوق ، وتردها إلى أصحابها ، وتنير السبيل أمام القاضى ، وتنصر المظلوم ، وتخذل الظالم .

وكتمان الشهادة الحقبة بلا عذر يضيع الحقوق ، ويضلل الحاكم ، ويخذل المظلوم ، ويبرىء المجرم الأثيم ، وقد يؤدى إلى اتهام الأبرياء ، ووقوع العقاب على غير المعتدين .

لذلك كان كاتم الشهادة بعيداً عن المروءة ، معاوناً للمجرمين ، مخالفاً لله تعالى فى دعوته العباد إلى التعاون على الخير بقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) « ٢ المائدة » .

وكاتم الشهادة غير مخلص لله ولرسوله واكتابه ولأئمة المسامين وعامتهم وذلك هو الدين كله .

وكاتم الشهادة بلا عذر ضعيف الإيمان ؛ لأنه تخلف عن إزالة المنكر بلسانه بلا مانع فى ذلك ، وقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، بإزالة المنكر بما يستطيع من يد أو لسان أو قلب ، وترك ذلك بعد عن الإيمان الحق . وكاتم الشهادة بلا مبرر قد برهن على اختلال مروءته ، وفساد عقيدته ،

ورضاء عن هضم الحقوق ، وانتشار الظلم والعدوان ، وتفشى الجرائم والآثام ، فهو آثم ، لمعاونته الظلمة بكتمان شهادته ، جبان لتخلفه عن مناصرة المظلومين لذلك كله . قال تعالى :

(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) « ٢٨٣ البقرة » .

فعليك يا بنى أن تبادر إلى شهادة حقة تنقذ بها مظلومًا ؛ إذ تثبت بها حقًا مهضومًا ، أو تدفع بها عدوانًا ، فإن ذلك من تمام المروءة ، ومكارم الأخلاق . تؤدي هذه الشهادة سواء أديت إليها أم لم تدع ؛ فإنه إذا كان أداء الشهادة التي طلبت منك من جميل الخلال فإن أداءها قبل أن تطلب منك في أعلى درجات الشجاعة والمروءة ، وفي قمة الخلال الجميلة ، قال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشَّهَادَةِ ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ هَا » وذلك لأنه أسرع بلا دعوة إلى نصره الفضيلة ، ونجدة الحق ، والأخذ بيد البريء ، فبرهن على تأثر المكارم في نفسه ، واستقرارها في قلبه ، وامتزاجها بلحمه ودمه .

الكذب في المعاملات

الكذب : هو الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع ، فهو أسُّ الرذائل ؛ لأنه يحق المروءة ، ويضع المنزلة والجاه ، ويزرع العداوة والبغضاء ، حتى بين الأشقاء .

والكذب جريمة من الجرائم الشنيعة العظيمة التي يتضرر منها المجتمع بانتشارها فيه ضرراً بليغاً .

وهو أسُّ النفاق في الإيمان ، بل في كل شيء ؛ فإن المنافق يزعم أنه يقول بلسانه ما واطأه عليه قلبه ، والواقع أنه يضمّر خلاف ما يظهر فهو كاذب في قوله يغش الناس ، ويضاهم عن طريق الصواب ، ويلبس عليهم أمورهم وإذ عرف الشخص بالكذب فقدت الثقة به ، وهي رأس الربح في هذه الحياة فلا يقام له وزن ، فهو ميت بين الأحياء ، تقتحمه أبصارهم ، وترديه نفوسهم . وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم أن افتراء الكذب لا يصدر عن مؤمن . وذلك في قوله :

(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ) « ١٠٥ النحل » .

ونفى الفلاح والنجاح عن الكاذب ، وأعدّ له العذاب الهون ، وذلك في قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) « ١١٦ ، ١١٧ النحل » .

فاسمع يا مسلم كلام الله وتجنب الكذب الذى هو سبيل النفاق قال تعالى :
(فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) « ٧٧ التوبة » .

الكذب رذيلة استطالت على المعاملات والنظام ، وحرف العالم الدائمة
حتى كاد يفسدها ، وصدى الكون فى رأسه صدمة تقهر بها إلى الوراء
وسقط بها إلى الهاوية .

فالحامى ، والتاجر ، والصانع ، والزارع ، كل أولئك أضربهم الكذب
فى عملهم ، وضيق عليهم السبل حتى أقفلت فى وجوه أكثرهم أبواب الرزق ،
وأصبحوا فى ضيق من العيش .

إن الناس الذين لا عمل لهم إلا قضاء الأشغال من بيع وشراء وإجارة
ونحوها ، من المعاملات التى أفسدها الكذب ، ربما أضاعوا أكثر من ثلاثة
أرباع عمرهم فى الاقتراب من الحق ، فيما يباشرون وماهم بمقتربين منه .

إذا نظرنا إلى الخصومات التى تقع بين الناس ، ووراء الخصومات
ما وراءها من العداوة والبغضاء ، وما يتبعها من المفساد ، رأينا كثيراً منها
وقع بسبب الكذب .

فكم من رجل ينازع فى عين يدعيها لنفسه ، وهو يعلم أنها ليست له ،
وآخر كان قد استأجر منزلاً وعد بإخلائه فى يوم كذا ولم يف بوعدده ، ولم

يف بسداد أجرته ، فقامت بينه وبين صاحبه خصومة ساقطهما إليها الكذب الكذب من أدعى الأسباب لذهاب ثقة الناس بعضهم ببعض ، فصارت رابطتهم واهنة ، وتعذر على ذي الحاجة أن يقتض مشلاً ما يدفع به تلك الحاجة خصوصاً إذا كان معروفاً به ؛ فإن الثقة به تذهب ، وتضيق عليه المعاملات حتى لا يجد مساكناً ، وأنت ترى ' من نفسك سهولة الإعطاء لمن يعد وينى بخلاف الكاذب الذى إذا وعد أخلف .

وقد يكذب الرجل حتى لا يصدق ، وإن صدق ربما وقع من أجل ذلك فى مهلكة .

وقيل : الكذوب لا يصدق وإن قال صدقاً

فالكاذب يفقد ثقة الناس به ، وتصديقهم له ، حتى فيما هو صادق فيه ، كما قال به (أرسطو) حينما سئل : ما ضرر الكذب؟ قال : ألا يثق الناس بقول الكذاب حين يصدق . وكل إنسان فى هذه الدنيا فى حاجة شديدة إلى ثقة الناس به ، سواء أكان تاجراً ، أو طبيباً ، أو محامياً ، أو مدرساً ، أو محترفاً ، حرفة ما ، فمن فقد ثقة الناس به فقد حرم خيراً كثيراً .

والكاذب محقر ممقوت ، خصوصاً عند ذوى الفضيلة ، وإن رفعه الحظ فى بعض الأحيان إلى المناصب الرفيعة ، والرتب السامية .

وقد شبه بعض الحكماء الكذاب بالمتحر فقال : هذا يقضى على حياة الجسم ، وذلك يقضى على حياة الفضيلة ، وشتان ما بين الحياتين .

وهناك أقوال كثيرة في الكذب وذمه مذكورة في كتابنا (تقويم الأخلاق - الجزء الأول) .

والكذب قسمان : كذب في الأقوال ، وكذب في الأفعال ، ولا فرق بينهما في تضليل العقول ، والعبث بالأهواء ، وخذلان الحق ، ونصر الباطل عليه .
مثال الأول : أن يكذب الرجل فيقول : إني ثقة أمين لا أخون ، ولا أخفر ذمتي ، فأقرضني مالا أرده إليك ، ثم لا يقوم بأداءه بعد ذلك .
ومثال الثاني : أن يأتي رجل إليك بسبحة في يده ، ويوهمك أنه تقي صالح فيخدعك بفعله هذا ، وينال منك مأربه .

ويدخل في كذب الأقوال : شهادة الزور ، واليمين الكاذبة ، وسيأتي الكلام عليهما .

ويدخل في كذب الأفعال : اختلاس الألقاب ، والنصب والاحتيال ، والتزوير ، أو الكذب كتابة (البلاغ الكاذب) وسيأتي الكلام عليها .

أولاً : كذب الأقوال

١ - شهادة الزور من أكبر الكبائر

شهادة الزور أو قول الزور والباطل ، من أكبر الكبائر ، وأعظم المصائب ، حيث تؤدي إلى أمور خطيرة يقف الإنسان حيران عند وصفها ، وبيان مقدار ضررها .

وحسبك أن شاهد الزور يقف أمام القاضي بغير خجل ولا استحياء

وبيتهم إنساناً من الأبرياء ، لم يرتكب ذنباً ولم يقترب إثماً .
فكم خرب شاهد الزور بيوتاً كانت عامرة ، فأصبحت خاوية على
عروشها ، وكم أذهب هذا الطاغية أرواحاً بريئة بشهادته ، وكم وكم مما
لا يحصى ولا يعد .

وقد نهى الله تعالى عن قول الزور فقال (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) .
« ٣٠ الحج » .

ووصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها من أكبر الكبائر
وأنها تعدل الإشراك بالله ففي الحديث الشريف : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَقْتَ أَنْ سُئِلَ عَنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ : (أَلَا أُبَيِّضُكُمْ
بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ ؟) قلنا : بلى ' يارسول الله . قال : « الإشراك بالله ،
وعقوق الوالدين ، وقتل النفس » وكان متكئاً فجلس .
وقال - فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .

« ألا قول الزور ، وشهادة الزور »

ومدح الله الذين لا يشهدون الزور ، وسماهم عباد الرحمن ، فقال تعالى :
(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) إلى أن قال -
(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) « ٦٣ ، ٧٢ الفرقان » .

وذلك لما يترتب على شهادة الزور من المفسد والمضار للخاصة والعامة
والأفراد والأمة .

مثاله . تحاكم اثنان أمام قاض فادعى أحدهما أن الآخر ضربه واغتصب ماله ، وأنكر المدعى عليه ذلك ، فأحضر المدعى شاهدين شهدا بصحة دعواه فحكم القاضى بسجن المدعى عليه ، وبرد المال المنتصب إلى المدعى .
والقاضى على كل حال يبنى حكمه طبعاً على الشهادة ، فإن كانت حقاً انبنى عليها رد المظالم إلى أهلها ، وعقوبة المعتدى ، وإقامة العدل ، وكانت عبرة للناس ، حيث لاقى الجانى جزاء ما يستحق .

وإن كانت الشهادة زوراً ترتب بها عقوبة البريء ، وإعانة الظالم ، وإعطاء المال لغير مستحقه ، وتقويض أركان الأمن ، إذ يجرؤ الناس على ارتكاب أنواع الجرائم ، اتكلاً على مثل هذه الشهادة . والقاضى مضطر إلى أن يحكم بها ما دامت صحيحة الظاهر .

حقاً إن شهادة الزور تزعج النفوس مطمئنة ، وتشير الضغائن الكامنة ، وتمحو المودات القديمة ، وتخرب البيوت العامرة ، وتزيل الأمن على الأرواح والأعراض والأموال .

ترى الرجل مطمئناً فى بلده ، متمتعاً بأهله وأولاده ، لم يقترب سيئة ، ثم لا يلبث أن تراه بعيداً عن أسرته ، مجرداً عن أملاكه ، أو ساكناً فى أعماق السجون ، أو محكوماً عليه بالإعدام ، كل ذلك بسبب شهادة زور تبرع بها فاسق . وبالجملـة فشاهد الزور مصيبة على العالم أجمع .

شاهد الزور لا يدري إلى من أساء إليه بشهادته ؟ أساء أولاً إلى نفسه فقد باع آخرته بدنيا غيره ، أساء إلى من شهد له ، فقد أعانـه على الظلم ،

وأوقفه في الإثم ، وأوقفه يوم الفزع الأكبر بين يدي جبار لا يرحم من ظلم ، ولا يغفر لمن أساء إلى خلقه .

أساء إلى من شهد عليه ، فقد أضاع حقه ، وخذله في وقت احتياجه إلى الناصر والمعين .

أساء إلى القاضي ، فقد أضله عن طريق الهدى ، وطمس عليه معالم الحقيقة ولولا شهادة هذا الأثيم لكان من المهتدين .

أساء إساءةً أكبر من ذلك كله ، أساء إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد خالف أمره ، ورفض هديه ، واتبع هواه ، ففسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

وقد اختلف العلماء في تأديب هذا الطاغية الجبار ، العنيد الكافر بنعمة الله . فقال أبو حنيفة رضي الله عنه : يعزر بالتشهير ، فينادى عليه في الأسواق والمساجد ، ويحذر الناس منه ، فيقال : هذا شاهد الزور فاحذروه .

وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله : يضم إلى التشهير في الأسواق والمساجد الضرب بالسوط ، واحتجا بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث إنه ضرب شاهد الزور ، وسخم وجهه ، وكان يقول : إن قول الزور من أكبر الكبائر .

فأين ذلك الآن في محاكمة الشرعية وغيرها ، ويوجد فيها كثير من شهود الزور وقوفاً بباب قضائهم انتظاراً لاستدعائهم لأداء الشهادة ، وهم معروفون لهم ؟ ولا يعاقبون على ذلك ، بل يؤجرون ، وتقبل شهادتهم

وتسجل في الدفاتر ، ويوقعون عليها ، وينصرفون فرحين بما اكتسبوا .
فويل لهم مما كسبت أيديهم ، وويل لمن بهم يستعين .
وليعلم شاهد الزور أنه ، وإن خفي أمره على القضاة في الحياة الدنيا ،
فلسوف يقف بين يدي أحكم الحاكمين ، المنتقم الجبار ، ويلاقى من
العذاب الأليم ما يستحقه ، وهناك يقول : ياليتني كنت من الصادقين .
أما صاحب الدعوى الذى يعلم بطلان دعواه ، ومع ذلك يدعى كذباً
وزوراً على خصمه ليوقعه في التهلكة ، ويقدم شهوداً زوراً على صحة دعواه
فقد اختلف العلماء في صحة إيمانه .

والحق يقال : إنه لا يقدم على مثل هذه الأفعال رجل يكون عنده مثقال
ذرة من الإيمان الصحيح ، وحسبك هذا الحكم عليه ، وكفى بالله حسيباً .
ولما كانت شهادة الزور من الكبائر المصرة التي يحرمها الدين
لكونها خطيرة ، ومضرة بالناس ضرراً بليغاً ، فقد عاقب القانون على تزوير
الشهادة في دعاوى التجارية المدنية ، لما يترتب عليها من ضياع حقوق الناس
وظلمهم ، كما أنه شدد العقوبة على شاهدى الزور في الجنايات ، بسبب الضرر
العظيم ، والخطر الناشئ من تلك الشهادة ، إذ ربما أثرت شهادات الزور على
رأى القضاة ، فيحكمون على برىء تارة بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وتارة بالسجن
المؤقت ، أو ربما أثرت شهادات الزور على القضاة فيحكمون ببراءة متهم
بجناية حالة كونه ارتكب الفعل الجنائى حقيقة ، ومن صالح النظام العام
معاقبته على فعله .

وخطر هذا على البلاد شديد جداً ، نظراً لكون الأحكام تصير ظالماً محضاً ، ومن الصالح العام أن يرتفع الظلم ، وتوطد أركان العدل والذمة والاستقامة في جميع البلاد بين العباد .

لهذا كله شدد القانون في العقوبة على شاهد الزور ، وكذا من حلف عيناً كاذبة ، منعاً للظلم ، وخراب العائلات ، وعدم الإضرار بالصالح العام .

العقاب على شهادة الزور

في قانون العقوبات

مادة ٢٥٤ — كل من شهد زوراً لمتهم في جناية أو عليه يعاقب بالحبس .

مادة ٢٥٥ — ومع ذلك إذا ترتب على هذه الشهادة الحكم على المتهم يعاقب من شهد عليه زوراً بالأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن . أما إذا كانت العقوبة المحكوم بها على المتهم هي الإعدام ونفذت عليه ، فيحكم بالإعدام أيضاً على من شهد عليه زوراً .

مادة ٢٥٦ — كل من شهد زوراً على متهم بجنحة ، أو مخالفة ، أو شهد له زوراً يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين ، أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً .

مادة ٢٥٧ — كل من شهد زوراً في دعوى مدنية يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين ، أو بغرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصري .

مادة ٢٥٨ — إذا قبل من شهد زوراً في دعوى جنائية، أو مدنية عطيةً أو وعداً بشئ ما يحكم عليه هو والمعطى، أو من وعد، بالعقوبات المقررة للرشوة، أو لشهادة الزور، إن كانت هذه أشد من عقوبات الرشوة .

مادة ٢٥٩ — من أكره شاهداً على عدم أداء الشهادة، أو على الشهادة زوراً يعاقب بمثل عقوبة شاهد الزور، مع مراعاة الأحوال المقررة في الأحوال السابقة .

خطبة في الحث على أداء الشهادة على وجهها

والنهي عن شهادة الزور

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيري

الحمد لله الذي رضى عن الصادقين ، وغضب على الكاذبين . سبحانه له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وإليه المرجع والمصير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، إن كل من فى السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله بشر المتقين بحسن المآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، وأنذر الفاسقين بسوء العاقبة والعذاب . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ما طلع نجم فى السماء وغاب .

قال تعالى وهو أصدق القائلين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ لِلَّهِ شُهَدَاءَ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا) .

وقال تعالى : (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) .

يا معشر المسلمين ، يأمرنا الله بذلك القول الكريم أن نشهد بالعدل والحق ، ولو على أنفسنا ، أو أقرب الناس إلينا ، ويحذرننا من شهادة الزور ، وينهانا عن الشهادة بغير الحق ، ومن يطع الله فقد وقع أجره على الله الذى لا يضيع أجر المحسنين .

ومن حاد عن الحق وأعرض عنه، وشهد الزور، فقد حارب الله، ويوشك أن يكون في عداد المشركين، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عدلت شهادة الزور الإِشراك بالله، ثلاث مرات، ثم قرأ: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، حنفاء لله غير مشركين به (رواه أبو داود). فهل تدبرنا ذلك حقاً؟ وهل علمنا أنه من أحسن الأدب، وأصل التربية؟ وهل أدركنا خطورة أداء الشهادة على وجهها؟ وهل علمنا أن سعادة الإنسان، ونظام الحياة متوقفان على ذلك؟ وهل عرفنا أن الظلم والفوضى وفساد الأخلاق نتيجة طبيعية لكتمان الشهادة وشهادة الزور؟ نعم إنه كذلك، وأنه لحق مثل ما أتم تنطقون، ولكن الناس عنه غافلون.

يا معشر المسلمين: احذروا شهادة الزور، فإنها جريمة من أشد الجرائم، وموبقة من شر الموبقات، كيف لا وهي خذلان للحق، ونصر للباطل، وسلاح للفجار وقوة للأشرار، ومعيينة للظالمين، ومشجعة للمجرمين، بها يهدد الناس في دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وبها تضيع الحقوق. فإذا فشيت في أمة من الأمم كانت من أخطأها أخلاقاً، وأنقصها تربيةً، وأبعدتها عن الرقي لذلك حذرنا منها رسولنا عليه الصلاة والسلام أشد التحذير فقال:

«أَلَا أَبْئُتُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَايَرِ؟ شَهَادَةُ الزُّورِ» (رواه البخاري ومسلم)

وقال: «لَنْ تَزُولَ قَدَمُ شَهِيدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ»

(رواه ابن ماجه والحاكم).

فياويل شاهد الزور، يوم يقف بين يدي أحكم الحاكمين؟ ياويله يوم يكون شريكاً في المسؤولية للظالمين! ياويله يوم يساق إلى جهنم مع المجرمين! ياويله يوم يطالب برد الحقوق التي سلبها مع المعتصبين! ياويله يوم لا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً .

أليس لشاهد الزور عقل يدرك به عظم جنايته؟ أليس له قلب يخاف من الله وغضبه؟

أليس له فكر يرشده إلى ما يترتب على شهادة الزور من الأوزار والآثام؟ تالله لو عرف ذلك المسكين ما أعدّه الله له من الخزي العاجل في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، لتمنى أن يقطع لسانه، ويذوب بدنه قبل أن ينطق بكلمة واحدة من شهادة الزور .

فياشاهد الزور تنبه، واعلم أنك إنما تسخر لغيرك كما تسخر الأنعام، ولا تكسب من وراء ذلك إلا النزر اليسير الذي لا يغني عنك شيئاً . فاتق الله في نفسك، وتب إلى ربك فإنه يقبل التوبة من عباده .

يامعشر المسامين: كما أن لشهادة الزور تلك الآثار الضارة، فكذلك الامتناع عن أداء الشهادة وكتمانها، فإن له تلك الآثار إذ هو مضيع للحقوق. ومعطّل للأحكام، معين للمجرمين على اقتراف الجرائم، لأنهم يأمنون العقاب فلا يبالون بارتكاب الجرائم، فيختل نظام الأمن، وتسود الفوضى، ويظلم القوى الضعيف بدون حساب .

لذلك قال نبينا عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا كَمَنْ شَهِدَ بِالزُّورِ » فاتقوا الله عباد الله وأدوا الشهادة على وجهها ولا تكتُموها كما أمركم الله تعالى » (رواه الطبراني) .

فإنكم لو فعلتم ذلك ، فقد أحسنتم إلى أنفسكم ، وبرهنتم على شجاعة أدبية وتربية صالحة ، وكنتم مثلاً حسناً ، وقدوة طيبة لأبنائكم وأحفادكم ، ورضى عنكم ربكم ، ومن رضى عنه ربه فلن يشقى أبداً ، وكان من الفائزين .
الحديث الشريف : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ شَهِدَ عَلَى مُسْلِمٍ شَهَادَةً لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (رواه أحمد) .

٣ - الأيمان الكاذبة

أما الأيمان الكاذبة : فضررها كثير ، قد انتشروا وعمّ الكبير والصغير والأمير والحقير .

إذهب إلى الأسواق في القاهرة وغيرها من مدن القطر لتساوم أحد الباعة عن شيء لتنظر ماذا يكون من أمره ؟ ترى أن البائع إذا طلبت منه شيئاً يبيعه إليك جاءك بالشئ في جملة أقسام يقسمها بالله تعالى إن هذا من أنفس وأعظم الأشياء ، وإنه لم يرد إلى هذا البلد سواه ، أو إن صانعه حين أتى على إتمامه توفاه الله ، أو إن هذا الشئ لم تحمل الأرض أحسن منه ، أو أنه ورد حديثاً من جهة كذا وكذا ، ولا يوجد في السوق إلا عنده ، فإذا

أبديت له عدم الرغبة متمللاً بعلّة من العلل، قال لك : إذا أتيتك بأعظم منه ، وأمتن منه صنعةً هل يسرك ذلك ؟ وهل تدفع لى قيمته ؟

ثم يخرج به بعينه فى غشاء من أيمان غلاظ شداد ، تذهب بالأيمان المتقدمة أدراج الرياح ، يحشرها إليك حسبةً ، ويزفها إليك زمراً ، دون أن تطالبه بشيء منها ، حتى إذا أعجبتك السلعة ، وأردت أن تساومه على الثمن ، رزم لك من الأيمان رزماً ، وجاء بها جماعات ووحداً ، مؤكداً لك أنه اشتراها بكذا درهماً ، وأنه لا يريد أن يفتن منها فائدة سوى عظيم ثقتك به ، واتخاذك إياه صديقاً أميناً ، تركزن إليه ، وتعول عليه .

فإذا بلغت بالثمن نصف ما قاله باعك إياها غير آسف ولا حزين ، مكرراً للأيمان السابقة بأن ثمنها لم يأت ، والله يشهد إنهم لكاذبون .

فما بالك بأنا قد جعل الله على قلوبهم وأبصارهم غشاوةً من الجهل والغفلة ، فصرقتهم عن الاعتبار بعظمة سلطان الله سبحانه وتعالى ، وهونت عليهم قهره وغضبه ، فصاروا يلوكون الأيمان بأفواههم ، دون خشية من عذابه ، واستكثروا منها ما شاءوا ، حتى إن الواحد منهم ، لو كان يدفع درهماً عن كل يمين كاذبة للفقراء لأصبح كل فقير (إن لم يكن حلفاً) غنياً .

قن المروءة أن يتحاشى الإنسان عن الأيمان ، صادقاً كان أو كاذباً ، لأن حلفه يدعو إلى توجه الظنون إليه بالسبوح والشك فى أخباره ، ولأن الإنسان إنما يأتى بالأيمان ليقوى ضعف الخبر الذى يورده ، لما يشعر به من إحساس السامع بكذب قوله ، فيجعل اليمين دعامة لما يسرده عليه ، وهو فى الحقيقة

يقوى جانباً ، ويفتح أبواب التهم عليه من حيث يريد إغلاقها ، ومن المأثور :
(إيمان الرجل يعرف بأيمانه) .

وقد شرعت اليمين في الشريعة المطهرة صيانة للحقوق من الضياع عند
عدم القدرة على إقامة البينات ، وإنكار الخصم على ذى الحق حقه ؛ لأن
بعض من لا خلاق لهم من العامة ، ربما طمعت نفوسهم ، في أكل أموال
الناس بالباطل ، وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، ومنّاهم الفوز بالغنى
وإدراك السعادة إذا ظفروا بهذا الحطام الفانى ، ولرقة إيمانهم ، وضعف
يقينهم يستسهلون هذا الأمر ، ويعدونّه من صفائر الأمور . فإذا طولب
الواحد منهم باليمين لكف يد خصمه فربما أدركته الخشية من الله فيتصور
عظمة شأن الله القاهر فوق عباده فتحصل منه الإنابة رهبةً من عقاب
البارئ عزت قدرته ، فيعطى الحق لمستحقه ، وتنحسم المنازعات .

هذه هي الحكمة التي لأجلها شرعت الأيمان . وقد ذهب الناس بها
في غير مذهبها وتجاوزوا الحد بها في موضعها وغير موضعها حتى كأن الأيمان
حادث من الطبيعي الذي لا يعترض على وجوده ، ولا يتعجب من رسوخه .
وانقسم الناس في جرى الأيمان على ألسنتهم إلى قسمين : فريق يأتي بها
في درج الكلام بينما هو يسرد حكاية ، أو يجيب عن سؤال دون أن يقصد
يميناً ، وهو لاء قد بين الله حالهم في قوله :

(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا

عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) « ٨٩ المائدة » .

غير أن الأجدر بمن درج على هذه الطريقة أن يجاهد نفسه ويلاحظها في هذا الأمر حتى يتخلى عن هذه الخصلة صيانة لاسم الله تعالى عن أن يكون مضغة في فمه .

وفريق ثان يأتي باليمين قاصداً إيقاع كلامه في نفس مخاطبه موقع الصدق وذلك لا يكون إلا عن معرفة الكذب من نفسه ، أو شهرة أمثاله به ، فيقسم اليمين شاهدة على صدقه في غيره ، وتبرير دعواه ، غافلاً عن أن ابتداءه بها من غير طالب وتكرارها بدون داع ، يزيد الارتياب في صدقه .

إن أهالي (الأفغان) على سذاجة طباعهم ، وبساطة اعتقادهم شديداً التمسك بالدين ، والواحد منهم يتحاشى الأيمان صادقة كانت أو كاذبة . ولذلك سادت بينهم الفضيلة ، وأمن كل ذي مال على ماله ، حتى أن الواحد منهم يترك حانوته بدون إغلاق لو ثوقه بأمانة القوم .

وإن بعض المسيحيين متمسكون بقول الإنجيل :

« أيضاً سمعتم أنه قيل للقديس : لا تحنث بل أوف للرب أقسامك » وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا البتة بالسماء ، لأنها كرسي الله ، ولا بالأرض ، لأنها موطن قدمه ، ولا (بأورشليم) (بيت المقدس) لأنها مدينة الملك العظيم ، ولا تحلف برأسك ؛ لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء بل ليكن كلامكم : نعم ، نعم ، أو لا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو في الشرير » ولذلك تجدهم يتحاشون القسم بالله سبحانه وتعالى ، حتى أن الواحد منهم إذا اضطر إلى التأكيد لمخاطبه قال له : بالذمة والشرف ، ولم

يجعل اسم الله تعالى عرضة للصدق والكذب ، وهذا من الفضائل ، ومن حسن القصد ، وسلامة النية .

قال الله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) « ٢٢٠ البقرة » .

وقال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) « ٧٤ آل عمران » .

روى أن عبد الله الحضرمي ادعى على امرئ القيس بن عابس قطعة من أرض ، ولم يكن عنده بينة ، فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس . فلما همّ بحلف اليمين قرأ رسول الله عليه الصلاة والسلام الآية فارتدع امرؤ القيس عن اليمين وسلم الأرض .

عظم الله سبحانه وتعالى جزاء الذين يشترون بأيمانهم ثمناً قليلاً ، وأوعدهم بحلول نعمته عليهم ، جزاء إجترائهم على التهاون بمقام الاقدام على الأيمان مع الإصرار على الكذب فإنها شعار الفسقة الفجار ، والمنافقين الاشرار ، الذين لا يراعون عهد الله ، ولا يرهبون سطوته ، كانوا في أمان من عذابه .

فقد بقاء في حق المنافقين قوله تعالى

(سَيَذَرُوكُم بِاللَّهِ إِلَٰهِكُمْ وَاللَّهُ اتَّخَذَ آلِهَتَكُمْ لَعَنَ صُوفَا عَلَيْهِمْ إِفَاعِرِ صُوفَا عَنْهُمْ

إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَخْلِفُونَ لَكُمْ
لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .
« ٩٥ ، ٩٦ التوبة »

وقد أمر الله تعالى بعدم إطاعة الشخص الكثير الحلف ، فقال تعالى :
(وَلَا تَطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّيْنِ) « ١٠ والقلم »
وقد أمر الله تعالى بعدم نقض الأيمان بعد توكيدها .
وذلك إن الحالف قد رضى الله سبحانه وتعالى أن يكون كفيلاً على
صدقه في جميع ما يأتي ، ويدع بمقتضى يمينه ، فإذا أخلّ بذلك فقد عرض نفسه
لسخط المولى عز وجل ، وخالف أوامر المهيمن تقديس اسمه في قوله تعالى :
(وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا)
« ٩١ النحل » .

كما أنه نهى عن اتخاذ الأيمان واسطة بيننا ، وحذر من سوء العاقبة .
فقال تعالى :

(وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)
« ٩٤ النحل » .

وقد رغب الله سبحانه وتعالى : في الوفاء باليمين ، والبرّ بها ، ورتب
الجزاء على من حلف على شيء ، ورأى الخير في الحنث ، وجعل كفارة اليمين

عتق رقبة مؤمنة ، أو إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ، أو صوم ثلاثة أيام فقال تعالى :

(فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ
أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ
أَيْمَانِكُمْ إِذَا خَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) « ٨٩ المائدة »

ولا يخفى ما يلحق الإنسان من مشقة القيام بإحدى هذه الكفارات
لمكان المشقة في الصوم ، وشح النفس ببذل المال إذا وجد . وقد خير الله
سبحانه وتعالى الإنسان بين البرِّ في يمينه ، وبين تقويم اعوجاج نفسه بالصبر
على الجوع ، ومشقة الصوم وإجامها عن شهواتها ، بين العود بفضل مازقه الله
من الغنى وأسبغه عليه من النعم على الفقراء والمساكين .

وهي حكمة بالغة إذ لا يخلو أحد هذه الأوصاف من منفعة للإنسان
أو بنى نوعه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ » وفي رواية « يمين
كاذبة ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » وفي رواية « فليتبوأ
مقعده من النار » عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رواه البخارى ومسلم .
فرسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن لنا في هذا الحديث الشريف :
« أن من أقدم على حلف اليمين الكاذبة ليهتضم بها حقوق الناس

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ لِقَائِهِ ، وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَسَيَأْتِي شَرْحَهُ .



وَتَنْقَسِمُ اليمين إلى لغو لا إثم فيه ولا كفارة عليه ؛ وإلى منعقدة وهي ما لها كفارة إذا حنت فيها ؛ وغموس ، وهي ما فيها إثم ولا تنفع فيها الكفارة .

أما اللغو في اليمين فإنه يشمل أمرين : الأول أن يحلف على شيء وهو يعتقد أو يظن أنه صادق ثم يظهر أنه كاذب ، كما إذا حلف أنه ما دخل دار فلان أمس معتقداً أو ظاناً صدق نفسه مع أنه دخلها ، أو يحلف بأنه لا تقود معه الآن ظاناً أنها ليست معه وهي معه ، ولم يفرقوا في ذلك بين الظن القوي والضعيف .

الثاني : أن يسبق لسانه إلى الحلف بدون قصد أصلاً ، أو قصد شيئاً وجرى لسانه إلى غيره ، كقوله : لا والله ، ولا يكون اللغو في اليمين بالله تعالى : أما اليمين بغير الله تعالى فإن أثره يبقى ، كما إذا حلف بالطلاق لغواً ، أو بالعتاق ، أو نذر صدقته فإنه يقع به الطلاق ويلزم العتق والنذر . أما اليمين المنعقدة فهي الحلف بالله أو صفته .

أما اليمين الغموس ، فهي الحلف بالله تعالى كذباً ، متعمداً الكذب ، وسميت غموساً ؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم الذي يستحق به النار .

وأقسام اليمين وشروطها والصيغة التي تنعقد بها ، تختلف باختلاف المذاهب ، وهى مفصلة ، فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (الجزء الثانى) للمرحوم الشيخ عبد الرحمن الجزيرى .

وقد عاقب القانون كل من التزم باليمين ، أو ردت عليه ، أو حلف كذباً بالمادة ٢٦٠ من قانون العقوبات وهى :

«من ألزم باليمين ، أو ردت عليه فى مواد مدنية ، وحلف كاذباً ، يحكم عليه بالحبس ، ويجوز أن تزداد عليه غرامة لا تتجاوز مائة جنيه » .

فى النهى عن اليمين الفاجرة

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ » وفى رواية يمين كاذبة « ليقطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله وهو عليه غضبان » وفى رواية « فليتبوأ مقعده من النار » .

فأنزل الله تصديق ذلك : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) « ٧٧ آل عمران » .

فدخل الأشعث بن قيس فقال : ما حدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فقالوا : كذا وكذا .

قال : في أنزلت : كان لي بئر في أرض ابن عم لي فجحدني فقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بينتك أو يمينه ، وفي رواية : فقال لي : شهودك . قلت : مالي شهود . قال : فيمينه . فقلت : إذن يحلف ويذهب بمالي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَافَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٌ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ » . . . الخ . رواه البخاري ومسلم

الشرح

عبد الله بن مسعود كان يحدث جماعة بحديث اليمين الكاذبة ، ويذكر الآية التي أنزلها الله في آل عمران تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه ، فدخل عليهم (الأشعث بن قيس) وسألهم عما يحدثهم ؛ أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود فقالوا : كذا وكذا يعنون حديث اليمين والآية المصدقة له فقال : هذه الآية نزلت في ، وذلك أنه كان لي بئر ضمن أرضي لابن عم لي فجحدني مالي ، ومنعني حق ، فاختمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفعت أمره إليه فقال : بينتك أو يمينه ، أي لك بينتك تقيمها على صدق دعواك ، أو يمين خصمك إن لم تكن لك بينة ، فإن حلف لم يكن لك عليه طلب ، وإن نكل كان لك ما ادعيت ؟

فقال : إنه إذا وجهت إليه اليمين حلفها زوراً ، ويذهب بمالي ، ويضيع على بئري . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلف على يمين صبر ... الخ ... أي أنه إن كذب عليك في اليمين واقتطع مالك فإن الله يتولى عقابه في الآخرة ، وسوف يعوضك الله من حَقِّك المال الكثير ، أو الثواب الجزيل ، ذلك ما يخص القصة .

ومعنى الحديث : أن من حلف على شيء حلفاً كاذباً أُلجأته إليه الخصومة ، وحمله عليه الجحود والمكابرة في الحق ، وهو بها محدث في دينه حدثاً ، وفاتق فيه فتقاً وخارج عن الحق خروجاً ، من حلف هذه اليمين ليساب بها مال إنسان أو حقه ، ويحول بينه وبينه ، لقي الله في القيامة وهو عليه غضبان ، فينتقم منه على كذبه ، واستيلائه على مال غيره ، بهذه الطريقة الخاطئة ، واليمين الفاجرة ، ويدخله ناراً ليتخذ له فيها منزلاً يصلى فيه ويقاسى جحيمه ، فإن كان الذي اقتطع ماله أخاً مسلماً كان الجرم أكبر والعقاب أعظم ، فإن واجب المسلم نحو المسلم مساعدته على استرداد حقوقه واسترجاع ماله . أما أن يقطع قطعة من ماله ظاهراً وعدواناً ، ويكذب في سبيلها ، ويمتحن اسم الله لسبيلها ، فذلك ما ينافي الإيمان ، فهذا التحليل عرفت أن ذكر المسلم لا يراد به التخصيص ، وقصر الحكم عليه ، وإباحة أموال غيره ممن لا يدين بدينه ، بل ذكره لتفطيع الجريمة ؛ وإن أخوة الإسلام تستدعى الصدق ، والتزام الحق ، وكذلك كلمة يمين في قوله : من حلف على يمين صبر . يراد بها المحلوف عليه ، وسمى يميناً لثقله بها أو تقول : على (زائدة) ، والمعنى من حلف يمين صبر .

الكذب في نفسه جريمة ؛ لأنه قاب للحقائق ، وتعمية على الناس ، وإضلال لهم عن الحقيقة ، وداعية فقد الثقة في المعاملة والحادثة ، فإن انضم إليه تأكيده بالإيمان الكاذبة الفاجرة التي فيها امتهان أسماء الله المقدسة ، وصفاته العالية كانت الجريمة أكبر . فإذا أضيف إلى ذلك قطع الحقوق عن أربابها ، والحيلولة بينهم وبينها ، كان فحش الجريمة نهاية ، فإن كان إلى ذلك وقوعها على أخيك في الدين ، وتركك في العقيدة كان الفحش نهاية النهاية ، وأقصى الغاية . فلا تعجب أن يكون غضب الجبار ، وأن يكون المتبوء النار . فإياك واليمين الفاجرة ، وإياك ومال أخيك ، واحترم للقضاء مكانته ، ولبارئك أسمائه وصفاته ، ولا تتبغ بها عرضاً في الدنيا ، غناؤه قليل ، وعقابه جسيم ، واقرأ الآية المرة تلو المرة ، وعد بأولها على آخرها وبآخرها على أولها ، ترعظم الجريمة ، وشدة العقوبة .

(الأدب النبوى)

حديث شريف

في النهي عن (الحلف بغير الله)

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركَ عمرَ بنَ الخطابِ في ركبٍ وعمرُ يحِفُّ بِأبيه فنَادَاهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمُ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » رواه مسلم

الشرح

قد يُبَاقى إنسان لآخر قولاً ، أو يذكّر له خبراً فلا يصدق السامع ؛ إما لمخالفته لما يعلمه من موضوع الحديث ، أو لغرابة عنده ، أو لغير ذلك من البواعث التي تحول دون وقوع ذلك الخبر موقع القبول ، أو يصدق . ولكن يحتاج من القائل إلى ما يؤكده ، ويزيده ثبوتاً وتحققاً ، فيضطر المتكلم إلى أن يؤكّد قوله ، ويوثق خبره ، بأنواع المؤكّدات ومنها اليمين . فالحلف على الشيء يفيد تأكيد الحلو ف عليه باقترانه بما يعظم عند السامع والمتكلم .

وفي هذا الحديث يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم بمن نحلف ، ونؤكّد أقوالنا إذا أردنا الحلف ، ومن نعظم ، ويبين لنا أن نحلف بالله ولا نحلف بآبائنا ، لأن التعظيم الحقيقي لا يكون إلا له سبحانه وتعالى ، وهو الجدير بالإجلال والإكبار .

ولما كان النهي يقتضى الحرمة فقد أفاد الحديث حرمة الحلف بالآباء ، وبكل ماسوى الله من نبيٍّ أو وليٍّ ، ونخصص الحلف بالله خاصةً ، لكن اتفق العلماء على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية .

والشهور من مذهب المالكية أن النهي عن الحلف بالآباء للكرامة لا للتحريم .
وعند الحنابلة للتحريم لقوله عليه الصلاة والسلام « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك »
ويرى بعض الأئمة أنه لا أثم في الحلف بغير الله ما لم يسو بينه وبين الله في التعظيم ،
أو كان الحلف متضمناً ككفرًا أو فسقاً . وأما ماورد في القرآن من القسم بغير الله
كالشمس والقمر والنجوم والطور ففيه جوابان : أحدهما أنه على حذف مضاف والتقدير :
ورب الشمس الخ ... والثاني أن ذلك يختص بالله سبحانه وتعالى فإذا أراد تعظيم شيء
من مخلوقاته أقسم به وليس لغيره ذلك .

حديث شريف

في النية في الحلف

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَخْلِفِ » رواه مسلم .

الشرح

يتخاصم اثنان أمام القاضي في حق لأحدهما على الآخر ، وایس لصاحب الحق منهما
بينة ، فيطلب يمين خصمه ، فيحلف بأمر القاضي ناوياً خلاف ما يحلف عليه .
ويكلف رجل آخر عملاً من الأعمال ، فيزعم أنه قام به ، ويقسم على ذلك ناوياً
في يمينه عملاً آخر ، أو معرضاً بشيء سوى ما حلف عليه ، فهل تعتبر في ذلك نية الحالف
أو نية المستحلف ؟

يدلنا الحديث على أن المعتبر مانواه المستحلف لا الحالف ، والحنث وعلمه على مانواه
المستحلف . فمن حلف ناوياً خلاف ما طلب منه الحالف عليه حنث في يمينه وعليه
كفارة اليمين .

وقد فصل العلماء في ذلك تفصيلاً . وخلاصة التفصيل أن المستحلف إن كان ظالماً أو كاذباً في دعواه فالعبرة ببينة الحالف ، وإلا فبينة المستحلف . وكذا إذا كان المستحلف هو القاضى أو نائبه فعلى نية المستحلف .

أما إذا كان بغير طلب أو بطلب غير القاضى ، أو في موضع لا يتعلق لأحد بحق قبل الحالف فعلى نية الحالف . والحاصل أن اليمين على نية الحالف في كل الأحوال إلا إذا استحلفه القاضى أو نائبه في دعوى توجهت عليه ، فتكون على نية المستحلف . وهذا مراد الحديث سواء كان اليمين بالله تعالى ، أم بالطلاق أم بالعتاق ، إلا إذا حلفه القاضى بالطلاق أو العتاق فتنفعه التورية ، ويكون الاعتبار ببينة الحالف لأن القاضى ليس له التحليف بهما وإنما يستحلف بالله تعالى .

حديث شريف

في سوء عاقبة من يحلف بالله كذباً

عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أَنَّهُ مِنْ ضَمَنِ الثَّلَاثِ الَّذِينَ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » - رجل أقام سلعة بعد العصر فقال : والله الذى لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل - وفي رواية - فصدقه وأخذها ولم يعط بها . رواه البخارى ومسلم .

الشرح

فالرجل الذي يغش المسلمين بامتهان اسم الله المقدس ، والحلف به زوراً ليندل عرضاً رائلاً وربحاً كاسداً وما هو بتائله ، فيعرض سلعته وقت قيام السوق - والظاهر أنها كانت تقام إذ ذاك بعد العصر أو خص هذا الوقت بالذكر لقرب العهد بالصلوة فكأن

الظاهر أن يرعوى بها عن الكذب ؛ ولكن لم يرعو فكأن جريمته عند الله أشد ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : بعد الصلاة — و يقيمها بالآيمان المغاظة ويروجها بالعبارات الكاذبة فيقول لرواد التجارة : والله الذى لا إله غيره لقد قدرت هذه السلعة ودفع لى فيها خمسة وعشرون ، أو ستة وعشرون أو وما قبات ، يريد بذلك ترغيب المشتري فى الأخذ بأزيد مما قال فصديق رجل فى يمينه التى أكدها أشد التأكد ، وأخذها منه بما قال أو بما زاد ، والواقع أنها لم تقدر بذلك ، ولم يعط بها الثمن الذى ذكر بل ، كذب على أخيه وغشه فى الثمن ، واستهزأ بالله إذ اتخذ اسمه وسيلة للكذب والتلبيس على الناس .

فمثل هذا الرجل لا نصيب له فى نعيم الآخرة ، ولا يكافئه الله كلمة رضا وعطف ولا ينظر إنيته نظر محبة ورعاية يوم القيامة ، ولا يشهد له بما ينجيه ويطهره فى الدنيا من الأوزار مادام عاكفاً على ما يلوث نفسه ، ويدنس فطرته ، ويعذبه فى الآخرة عذاباً أليماً فإن تاب وعمل صالحاً ، عاد عليه بالمغفرة والرحمة لقوله تعالى : وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى .

خطبة

فى النهى عن الحلف بالله ، وبالطلاق ، وبالمخلوق

الحمد لله له الأسماء الحسنى ' يدعوها بها المؤمنون ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين ، شهد بأمانته المشركون . أحمد الله وأستغفره ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله أمر بالصدق فى القول والعمل ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ضرب لنا بصراحته أحسن مثل . صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الصادقين . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) .

فالصدق في القول أساس الثقة ، والثقة عليها مدار التعامل والارتباط .
بالثقة الاطمئنان والمحبة ، وبالثقة تنجز الأعمال ، وتستقيم الأحوال ،
والمؤمن الحق صادق بطبعه صريح في كل أمره ، لا يكذب ، ولا ينافق ،
ولا يفتش ، ولا يخادع ، ليس له باطن يستره بمظاهر خادعة ، ولا ظاهر
يتكافه ليضل الناس .

يرى الرجولة أن يتمسك بالصدق ولو تضرر به ، ويرى العار والجن
في أن يستعين بالكذب ولو انتفع منه ؛ فهو إن حدث صدق ، وإن وعد أنجز ،
وإن أوتنم وفي ، وإن أحب شيئاً تجلى الحب في عينيه ، وإذا كره أمراً بان
الكره في وجهه ، ظاهره وباطنه سواء .

المؤمن يعتز بشخصيته فلا يسقطها بالكذب ، ويتعصب لرجولته فلا
ينقصها بالتلون ، لا ينكر حقاً لديه ، ولا يغتال مალأ وصل إليه ، طاهر الذيل ،
نقى السريرة ، يزن ما يقول ، ويقدر ما يعمل ، فهو في غنى عن الحلف ، يؤكد
به قوله ، وعن الأيمان المغاظة يصل بها لغرضه ، وعن القسم يبرر به عمله ،
لا يجعل اسم الله مضغة في فمه ، ولا يحلف إلا لضرورة ، ولا يقسم إلا
ليؤكد كلامه عند السامع ، فإن اسم الله جليل عظيم ، لا يتهجم عليه المؤمن
دائماً ، ولا يصدق باليمين إلا نادراً ، فالله يقول : (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ
عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) « البقرة »

لكن الناس زادت أطماعهم فنقص إيمانهم ، وكثرت آثامهم ، فقل
خيرهم ، وعم الكذب بينهم ، فضاعت ثقتهم ببعضهم ، وضاعت أمانتهم ،

وفقدوا كرامتهم ، فلعجئوا للآيمان الكاذبة يحلفون جُزافاً ، وتجرءوا على أسماء الله تهاوناً واستخفافاً ، وكلموا أوغلوا في الكذب أكثروا من الآيمان ، وكلموا انكشفوا لا يخلق أقسموا باطلاً بالخالق ، فكرههم الناس وسخط عليهم ربهم .

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) (٣٢ الزمر)

إذا كان الله نهانا عن اسمه الكريم نجعله عرضةً لأيماننا ولو حقاً ؛ وإذا كان الله أوجب علينا كفارة لليمين المنعقدة إذا لم ينفذها الحالف . فكيف يستبيح قوم الحلف بالله كذبا ، والقسم باسمه تضليلاً عمداً ؟ حتى رخص اسم الله في أفواه التجار يروجون به سلعتهم ، وهان اسم الله عند المغتابين يدافعون به عن غيبتهم ، وضاعت هيبة الدين من القلوب فلا كت الألسن أسماء الله بكل تبجح وجُرأة ؛ حتى لتكاد تسمع لكل كلمة يميناً ولكل جملة قسماً ، وصار من عادة الكثيرين تكرار الآيمان وترديدها ، حتى لو أحصيت حديثه لرأيت أغلبه أيماناً وحلفاً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وَيْلٌ لِلتَّاجِرِ مِنْ تَأَلَّهِ وَبِاللَّهِ » ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم : « الْحَلْفُ مُنْفِقَةٌ لِلسَّاعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْكَسْبِ » وقال أيضاً : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالٍ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » ثم قرأ مصداقه من كتاب الله ؛ (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) « ٧٤ آل عمران »

عمت الغفلة ، وعميت القلوب ، واستقل المسلم اسم ربه ، وما قدروا الله حق قدره ، فاخترعوا أيمانًا كثيرةً بغير الله ، وأقسامًا عديدةً مبتدعة ؛ فحلف المسلم برأس أبيه وقبر أمه ، وحلف بشاربه وبالحية ، وحلف بعينه ورقبته ، وابنه وابنته .

والحلف لا يكون إلا بمعبود نخشاه ، وإله نخاف عدم البر باسمه ، والكذب عند الحلف به .

الحلف تعظيم وتقديس ، وإقرار بأن المحلوف به له علينا قدرة وسلطان ، وله في صدورنا موضع التسليم والإذعان ، وذلك لا يكون إلا للواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

فهل أدرك المسلم ذلك عند يمينه وقسمه بترية والده ؟ وربما كان أشد الأبناء عقوقاً بأبيه . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْهَىكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمِتْ » .

وظن قوم أن الحلف بالأمانة مباح في الديانة ، والحديث النبوي يقول : « مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » وحلف قوم بالله كاذبين حاشين متعمدين

فإذا اعتزموا البر في اليمين حلفوا بالأولياء ، أو قبور الصالحين يخشون الناس أشد من خشية الله ، ويستبيحون اسم خالق الولي ، ويخافون من الولي ومن ضريح الولي ، وعتبة بابه ، وسجاده ، وحلقة مقصورته ، وبعد ذلك نضحك من العرب ونقول : كانوا عبدة أصنام وأوثان .

سمع ابن عمر رضى الله عنهما رجلاً يحلف بالكعبة فقال له : لا تحلف
بغير الله فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ
اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » .

اعتدنا المبالغة فى القول حتى عددنا اليمين قولاً فبالغنا فيه ، فحلف بعضنا
بأنه برىء من دينه ، وأنه مسيحي أو يهودى . والرسول صلى الله عليه
وسلم يقول : « مَنْ حَلَفَ فَقَالَ : إِنِّى بَرِىءٌ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ
كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا » .
والداهية العظمى فى الحلف بالطلاق ، ولا يُصدق الناس إلا من حلف
بالطلاق ، ومن أقسم بالله شكوا فى قسمه ، وطلبوا منه يميناً ، يُحرم عليه
زوجه ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا حَلَفَ بِالطَّلَاقِ مُؤْمِنٌ ،
وَلَا اسْتَحْلَفَ بِهِ إِلَّا مُنَافِقٌ » .

الطلاق شرع إذا استحكمت نزاع الزوجين ، وتمكن البغض بينهما ،
وتعسر إصلاحهما ، وتنافرت طبائعهما ، وتباعدت نفوسهما وأصبح عيشهما
محالاً ، ووافقهما بعيداً .

الطلاق أباحه الله لتلك الحال ، ومع ذلك كرهه وأبغضه (أبغض
الحلال إلى الله الطلاق) ولذلك جعله على ثلاث دفع لعل النفوس تصفو
بعد كدر ، وتهبأ بعد غضب ، وجعل الهزل به جدّاً واقعاً ، وأمرأ نافعاً ،
ونهى عن الطلاق والحلف به ، فالزوجية أقدس رابطة وأشرف صلة عليها
عماد الكون ، بها بقاء النسل والنوع الإنسانى ، بها تتكون الأسر ، وتكون

المصاهرة والنسب ، والله يعلم أن كثيراً من المصريين يعيشون مع نساءهم في الحرام لكثرة أيمان الطلاق ، استهتاراً برابطة الزواج العظيمة ، وتهاوناً بواجباتها الشريفة . إذا كانت المرأة في بعض أوساطنا لا تساوى قرشاً يرجوه البائع يمين الطلاق ؛ وإذا كان الكثير يحلفون به ، ولم يُستحلفوا ، ومنهم من يشور كالبركان بدون سبب ، ويهيج لأقل أمر ، فيخرج الطلاق من فيه بالستين وبالتسعين ، ثم يذهب غضبه الزائف ، وتنطفئ الثورة ، تروح الفورة ، وتأتى الحسرة ، فيلجأ للحيل الملعونة يرد بها يمينه ، ويترك باب الخداع ليدخل على زوجه : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) « ٩ البقرة » .

يعيش معها في الحرام ، ويقع في المنكر والآثام ، وينقص عيشه ، ويتعب بيته وأهله ، ولو اتبعنا ديننا لحفظنا ألسنتنا ، وضبطنا قولنا ، وما حلفنا إلا اضطراراً . فإذا اضطررنا لا نحلف إلا بالله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : الطلاق يلزمنى إذا فعلت كذا ، فرؤيت الكراهية في وجهه وقام وهو يقول : أتلعبون بدين الله ، وأنا بين ظهرا نيكى ، ألا من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيْبًا مِنْ أَرَاكَ » (عن كتاب الوعظ) لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على أحمد

ثانياً - كذب الأفعال

أما الكذب بالأفعال فهو النصب والاحتتيال ، واختلاس الألقاب والوظائف ، والدجل ، والتزوير ، والبلاغ الكاذب ، وسيأتي الكلام على كل منها : فإذا سمي شخص نفسه باسم كذب ، أو اتصف بصفة كاذبة أو لبس ملابس لا تختص به ، وكان الغرض من ذلك الكذب والغش والاحتتيال على شخص آخر ، للحصول منه على مبلغ ، أو أى شيء آخر ، فيكون ما وقع من ذلك الشخص ، هو نصب واحتتيال يعاقب عليه القانون مثال ذلك : إذا توجه شخص إلى رجل مزارع في أرض مملوكة لأحد الأعيان وسمى نفسه كذباً باسم أحد أتباع ذلك الفنى ، وادعى أنه مرسل من طرفه ، وتحصل بهذه الوسيلة على إيجار الأرض ، وأخذته وتوجه به إلى حال سبيله ثم ضبط فيكون ما وقع منه هو احتتيال واختلاس .

كما أنه إذا ادعى رجل كذباً أنه طبيب ، وهو فى الحقيقة لم يكن طبيباً وليس له معرفة بفن الطب ، ولا المعالجة ، وإنما جعل ذلك وسيلة لأخذ مال الناس بالباطل ، وصار يستعمل هذه الحرفة ، حتى قبضت عليه الحكومة فعمله هذا يعد نصباً واحتيالاً ، لأنه اتصف بصفة كاذبة وهى صفة الطبيب التى لم تعط له .

وكذلك إذا ادعى شخص أنه وكيل أشغال ، أو وكيل محام ، أو مساعد

مهندس ، وهو في الحقيقة لم يكن كذلك ، وإنما ادعى ذلك للحصول على مبلغ من النقود واستولى عليه ظلمًا ، وفرّ به هاربًا ، يعتبر ما أجراه اختلاسًا للألقاب والوظائف .

وقد عاقب القانون ، كل من ارتكب فعلًا ، من ذلك بالمادة ١٣٦ من قانون العقوبات وهي :

« كل من تداخل في وظيفة من الوظائف العمومية ملكية كانت ، أو عسكرية من غير أن تكون له صفة رسمية في الحكومة ، أو إذن منها بذلك ، أو أجرى عملاً من مقتضيات إحدى هذه الوظائف يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهًا مصريًا » .

وكذا من لبس ملابس لا تنطبق على حالته بقصد النش ، والتدليس والنصب والاحتيال فيعاقب بالمادة ١٣٧ وهي :

« كل من لبس علانية كسوة رسمية خاصة برتبة أعلى من رتبته أو لبس مطلق كسوة رسمية ، من غير أن يكون حائزًا لرتبتها ، أو تقلد بنيشان من غير أن يكون حائزًا له ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنة أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهًا مصريًا » .

١ - النصب والاحتياال ، واختلاس الألقاب

إن بعض الناس يسعى بطرق النصب ، والاحتياال ، لسلب ثروة الغير ، كلها أو بعضها : إما باستعمال طرق احتيالية من شأنها إيهام الناس بوجود مشروع كاذب ، أو واقعة مزورة ، أو إحداث أمل بمحصول ربح وهمي . وإما بالتصرف في مال ثابت ، أو منقول ليس ملكاً له ، ولا حق له في التصرف فيه ، كأن يدعى أن الأطيان التي يريد بيعها ، أو رهنها ، هي ملك له ، والحقيقة أنها لغيره .

وإما باتخاذ اسم كاذب أو صفة غير صحيحة كأن يدعى أنه من رجال البوليس ، أو من الوجهاء ، ويتضح أنه كاذب في دعواه . فمثل هذا يعد نصاباً محتالاً ويعاقبه القانون بالمادة الآتية :

٢٩٣ - « يعاقب بالحبس ، أو بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيناً مصرياً ، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط ، كل من توسط إلى الاستيلاء ، على نقود أو عروض ، أو سندات دين ، أو سندات مخالصة ، أو أى متاع منقول ، وكان ذلك بالاحتياال لسلب كل ثروة الغير ، أو بعضها ، إما باستعمال طرق احتيالية من شأنها إيهام الناس بوجود مشروع كاذب ، أو واقعة مزورة ، أو إحداث لأمل بمحصول ربح وهمي ، أو تسديد المبلغ الذي أخذ بطريق الاحتياال ، وإيهامهم بوجود سند دين غير صحيح ، أو سند مخالصة مزورة ، وإما

بالتصرف في مال ثابت أو منقول ليس ملكاً له ، ولا له حق التصرف فيه ، وإما باتخاذ اسم كاذب أو صفة غير صحيحة .

أما من شرع في النصب ولم يتممه ، فيعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً .

ويجوز جعل الجاني ، في حالة العود تحت ملاحظة البوليس مدة سنة على الأقل ، وسنتين على الأكثر .

أمثلة تطبيقية

ضابط بوليس مزيف

يفاجئ أحد القرويين بالضرب

ثم ينشل نقوده بمعاونة آخر

بينما كان القروي خايل إبراهيم ، من أهالي مركز ابنوب يسير أمس في شارع الملكة نازلي إذ فوجئ بصفعة قوية على مؤخرة عنقه ، كادت تلقيه على الأرض ، فالتفت مذعوراً ، وإذا به يجد شخصاً ، وقد بدت عليه مظاهر السلطة ينظر إليه مغضباً ويقول :

إنت ليه مبطلتش شم الكوكابين . فذهل القروي وأدرك أنه أمام أحد ذوى الحل والربط ، فأخذ يوء كد للرجل أنه « غاطان » ولا بد أنه يقصد شخصاً آخر ، ولكن الرجل اتهره قائلاً :

اخـرص . . هو أنا تايـه عنـك !

ولـما حـاول القـروى الكـلام ضـربه الرـجل بـقبضـة يـده عـلى صـدره وأمره بالسـكوت ثم التفت إلى شـخص مـعه يـرتدى المـلابـس البـلديـة وخاطبـه قائلـاً .
— تعالـى يا بوليس .

فاقترب الرـجل مـنهما ثم حيا التـحية العـسكريـة وقـال :
— أفندم يا حضرة الضابط .

فقال الضابط المزعوم :

— فـتش الـراجـل الشـمام ده . .

فصدع « رـجل البوليس » المزعوم بالأمر ، وأخذ يفتش القروى بينما كان لا يفتأ يقسم للضابط أنه لم ير الكوكابين فى حياته ، وأنه « مش وش كده » ثم أخذ يتوسل إليه أن يطلق سراحه حتى لا « يبهـدل » فى القسم .
ولـكن الضابط كان يتغاضى عن توسلاته ، وهو يتظاهر بالغضب حتى أتم رـجل البوليس المزعوم تفتيشه ، وأعلن أنه لم يجد معه مخدرات .

وإذ ذاك قال الضابط للقروى :

— عـلى كـده تـبقى بطلـت « الشـم » .

فعاد القروى يقسم له أنه لم يتعاط المخدرات فى حياته .
فأمره الضابط أن ينصرف فهـرول القـروى مـبتعداً عنـهما ، وهـو لا يكاد يصدق أنه نجا من شرهما .

وبعد أن قطع مسافة طويلة خطر له أن يشتري شيئاً فأخرج حافظة

نقوده من جيبه . وما كاد يلتقي نظره على محتوياتها حتى كاد يحن . فقد وجد أن المبلغ الذي كان بداخلها وقدره سبعة جنيهات قد استبدل بقصاصات من ورق الجرائد .

فأدرك أن « الضابط » وزميله ليسا إلا محتالين اغتتما سذاجته ، ونشلا نقوده بالطريقة المتقدمة .

ولم يجد ما يفعله سوى أن يقصد إلى قسم بوليس الأزبكية ويقدم إليه بلاغاً بالحادث .
(الأهرام في ١٠ / ٩ / ٣٧)

مهندس رى مزيف

يسرق لحماً ونقوداً

بركة السبع في ١٠ - لمراسل الأهرام - حضر إلى حانوت قصاب في بركة السبع شخص يرتدى بدلة أنيقة ، وأوهم صاحبه أنه مهندس في مشروعات الرى . ثم ابتاع رطلين من اللحم ، وطلب نقوداً فضيةً عبارة عن « بقية جنيه » فقدمها إليه القصاب دون أن يأخذ الجنيه . وبعد ذلك أعطى القصاب قروشاً ، وطلب إليه شراء خضر فتركه ، وذهب لشرائها . ولكنه لما عاد لم يجده ، فأيقن أنه محتال ، وأبلغ الحادث إلى البوليس . (الأهرام في ١١ / ٩ / ٣٧)

اعتقال طبيب مزيف

امبابه في ١٢ - لمراسل الأهرام - حضر إلى بلدة (البراجيل) الملحقة بمركز امبابه شاب أنيق الملبس ، واستأجر منزلاً ، وأنشأ فيه عيادة لطب

العيون ، وأخذ المرضى 'يترددون على عيادته للمعالجة ، فكان يعاملهم بالحسنى' مما جعلهم يقبلون عليه ، ولكنه أخطأ في معالجة عدد منهم وأصيب بعضهم بفقد قوة إبصاره .

وقد نعى 'إلى الدكتور شاكر جريس ، مفتش الصحة ، أن هذا الشاب يحترف الطب بلا ترخيص ، فاستصحب الملازم عبد المحسن محمد باشا أفندى وذهبا إلى عيادته وفتشها فعثرا فيها على عقاقير وسوائل فضبطاها واقتاداه إلى المركز للتحقيق معه ، فتبين أنه من أبناء مديرية أسوان واسمه على محمود عثمان ، وأنه كان يشتغل ممرضاً في عيادة أحد الأطباء ثم فصل ، كما يتبين أنه كان قد أجرى عمليات لأشخاص فأصيبوا بعمات مستديمة في أعينهم .

خطبة في الاحتيال والمحتملين

الحمد لله الذى لا تخفى عليه حيلة ماكر ، ولا خديعة محتال ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من أخلص فيها تنزهه عن الاحتيال ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذى أخبر أن المكر والخديعة فى دار النكال ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه خير أصحاب وآل . أما بعد : فيا عبد الله ، لقد كثر أهل النصب والاحتيال فى هذا الزمان ، كثرة تخيف المرء منهم أينما كان ومتى كان ، وللكل حيل شتى ليس حصرها فى الإمكان .

وإني ذاكر لك اليوم حيلاً منها لتعرفها لتحرص على مالك من أولئك

المحتالين ، فتارةً يختلط بك المحتال ، ويظهر لك من اللطف ، ما به تطمئن له كل الاطمئنان ، وحينئذ يقدم لك قطعة حلوى ، أو (سجارة ، أو قهوة) أو غير ذلك من تحيات الإخوان . فإذا تناولتها أغمى عليك لما بها من مخدر يفعل فعله في العقول والأبدان ، فإذا صرت هكذا سلبك ، وتركك مُلقى على الأرض سخرية للنساء والأطفال ، وتارةً يظهر لك بمظهر الأولياء ، الذين تحصل بهم للعباد البركات ، ويكون حوله (مناحيس) يحتفلون به ويعظمونه تعظيم العبادات ، وهؤلاء يحرضونك على تقديم كيس نقودك ليدعو لك فيه بالبركة قطب البريات ، فإذا قدمته اختلس ما به وتركك في انتحاب وإعوال .

وحينما يعيش بجانبك واحد فيلقى آخر أمامكما كيساً فيه أشياء ، فيبادر هذا الماشى معك إلى التقاطه ويقول لك : نقسمه بعدل الفضلاء ، ثم يلاحظك ذلك الآخر ويقول : أخذتما مالى أفشكما أو أشكوكما لولاة الأمور الأجلاء . فإذا فتشك سلبك وقال لك : أنت رجل برىء مفضال . وحينما يختطف واحد من حانوتك شيئاً وأنت موجود تراه ، فإذا عدوت وراءه أخذ آخر ما بعت به دون ممانعة ولا مماراه . ومرة يذهب إلى بيتك ويطلب لك مبلغاً بأمانة عرفها عنك ليس فيها اشتباه ، وحينئذ يأخذ المبلغ واللوم عليك لا على ربات الحجال .

ومرة يدعى أنه يقلب المعادن ذهباً لأنه من رجال الكيمياء ، وربما خدعك بتجربة هو أعلم بحاله فيها من دهاء ، ثم يطلب منك من وقت

لآخر مبالغ ثمناً للوازم ذلك ، ويوصيك بإخفاء أمره كل الإخفاء ، ثم تلتفت
فلا تجد له أثراً لا في السهول ولا في الجبال .

ومرة يظهر أمامك بالغنى المفرط ، ويبعثر في الجنهات ، فإذا اغتررت
به وأمنت به وثب عليك بشر الخيانات . وساعةً يصرخ بأنه يعلم الغيب بتنجيئه
أورمله ، أو ودعه ، أو يعيون قلبه الثاقبات ، فتسارع أنت إلى منحه ليخبرك
بما يكون لك في الاستقبال .

هذه أمثلة من الحيل ، فاعرفها وعامها حتى النساء ، واحترس منها ، ومن
أمثالها كما يحترس ذور الفطانة النبلاء ، ولا تطمئن أبداً إلا لمن تجزم أنه
من ذوى الاستقامة الأوفياء ، وإلا اختل حالك بوقوعك في فخاخ النصابين
ذوى الاحتيال .

(حديث) « مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكْرَ بِهِ » (رواه الترمذى) .

(آخر) « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ » .

(رواه الطبراني وابن حبان)

(من ديوان منتهى آمال الخطباء)

٢ - التزوير ، أو الكذب كتابة وعقابه قانوناً

التزوير أو الكذب كتابة : كل كذب حصل كتابةً ، في شروط

أو عقد ، أو شهادة ، أو جواب ، بحيث يحصل تغيير الحقيقة وإخفاءها ، والمعنى
المقصود منها بقصد إلحاق الأذى والضرر بالغير يقال له : تزوير .

مثال أو إذا اتفق شخص مع آخر على أن يبيع له بيتاً بمقتضى عقد أو حجة ، وبعد أن كتب العقد ووقعا عليه غير أحد المتعاقدين بدون اطلاع الآخر وعلمه وبديل في الشروط المكتوبة والمختومة من الطرفين بأن زاد عليها أشياء تغير المعنى الأصلي ، وتضر بصالح الطرف الآخر . فالذى حصل من الطرف الأول يقال له : تزوير .

مثال ثان : إذا استلم شخص من الحكومة شهادة بعدم لياقته للخدمة صحياً ، أو عدم نجاحه في امتحان من الامتحانات العمومية ، وغير فيها وأخفى الحقيقة ، فيعتبر عمله هذا تزويراً يعاقب عليه القانون .

مثال ثالث : إذا زور إنسان على لسان آخر جواباً أو تقريراً باتهام أحد الموظفين بارتكاب جريمة رشوة أو خيانة ، وقدم هذا التقرير للحكومة باسم الشخص المزور عليه وهو لا يعلم .

ثم اتضح بعد ذلك أنه هو الفاعل المزور ، فيحكم عليه بعقوبة التزوير إذا كان فعل ذلك بغير رضا المزور عليه وبدون علمه أو اطلاعه .

وأما إذا ثبت أن المنسوب له ذلك لا يعرف القراءة والكتابة ، ورجا بذلك الشخص ، أو دفع له أجره ليكتب له ما ذكره ، فكتبه وأعطاه له أو أرسله من عنده لجهة الاقتضاء ، فلا يقال إنه مزور ، لحصول ذلك برضا نفس صاحب الورقة .

والتزوير إما أن يكون في المحررات العمومية ، أو في أختام الحكومة وإما أن يكون في المحررات الخصوصية وفي الأشياء الخصوصية . فإن كان

فى القسم الأول فالقانون أوجب التشديد فى العقوبة لكون الضرر الناشئ من التزوير واقعاً على المصلحة العمومية ، وأما الثانى فلكون الضرر خاصاً بشخص معين فيعاقب عليه بعقوبة أقل .

ثم إن مرتكبى التزوير إما أن يكونوا من موظفى الحكومة ، أو من آحاد الناس ، فإن كان ارتكاب التزوير حاصلًا من موظفى الحكومة فيما هو من خصائصهم فتشدد العقوبة عليهم نظرًا لكونهم لم يضرُوا بالواجبات العمومية فقط ، بل خالفوا وأضرُوا بالواجبات الخصوصية ، وهى واجبات الأمانة المفروضة عليهم بصفتهم من موظفى الحكومة .

وإليك أحكام التزوير فى قانون العقوبات الأهلى :

مادة ١٧٤ — يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن كل من قلّد ، أو زوّر شيئًا من الأشياء الآتية سواء بنفسه أو بواسطة غيره ، وكذا كل من استعمل هذه الأشياء ، أو أدخلها فى البلاد المصرية مع علمه بتقليدها أو بتزويرها ، وهذه الأشياء هى :

فرمان أو أمر عال أو قرار صادر من الحكومة .

ختم الحكومة أو ولى الأمر .

أختام ، أو تمغات ، أو علامات ، إحدى المصالح ، أو إحدى

جهات الحكومة .

ختم أو إمضاء أو علامة أحد موظفى الحكومة .

أوراق مرتبات ، أو بونات ، أو سراكي ، أو سندات أخر صادرة من خزانة الحكومة ، أو فروعها ، أوراق البنوك المالية التي أذن بإصدارها قانوناً تمغات الذهب ، أو الفضة .

مادة ١٧٥ - يعاقب بالحبس كل من استحصل بغير حق على أختام الحكومة الحقيقية ، أو أختام إحدى المصالح ، أو إحدى جهات الإدارة العمومية ، واستعملها استعمالاً مضرراً بمصلحة الحكومة ، أو بلادها ، أو آحاد الناس .

مادة ١٧٦ - يعاقب بالحبس ، كل من قلّد ختماً ، أو تمغةً ، أو علامةً لإحدى الجهات أياً كانت ، أو الشركات المأذونة من قبل الحكومة ، أو أحد البيوت التجارية وكذا من استعمل شيئاً من الأشياء المذكورة مع عامه بتقليدها .

مادة ١٧٧ - كل من استحصل بغير حق على الأختام أو التمغات أو النياشين الحقيقية المعدة لأحد الأنواع السالف ذكرها ، واستعملها استعمالاً مضرراً بأي مصلحة عمومية ، أو شركة تجارية ، أو أى إدارة من إدارات الأهالي ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين .

مادة ١٧٨ - الأشخاص المرتكبون لجنايات التزوير المذكور بالمواد السابقة يعفون من العقوبة ، إذا أخبروا الحكومة بهذه الجنايات قبل

تمامها ، وقبل الشروع في البحث عنهم ، وعرفوها بفاعليها
الآخرين ، أو سهلوا القبض عليهم ، ولو بعد الشروع ،
في البحث المذكور .

مادة ١٧٩ — كل صاحب وظيفة عمومية ارتكب في أثناء تأدية وظيفته
تزويراً في أحكام صادرة ، أو تقارير ، أو محاضر ، أو وثائق ،
أو سجلات ، أو دنائر ، أو غيرها من السندات والأوراق
الأميرية ، سواء كان ذلك بوضع إمضاءات ، أو اختتام مزورة ،
أو بتغيير المحررات ، أو الأختام ، أو الإمضاءات ، أو بزيادة
كلمات ، أو بوضع أسماء أشخاص آخرين مزورة يعاقب
بالأشغال الشاقة المؤقتة أو بالسجن .

مادة ١٨٠ — كل شخص ليس من أرباب الوظائف العمومية ، ارتكب
تزويراً مما هو في المادة السابقة يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة
أو بالسجن مدة أكثرها عشر سنين .

مادة ١٨١ — يعاقب أيضاً بالأشغال الشاقة المؤقتة ، أو السجن كل موظف
في مصلحة عمومية ، أو محكمة ، غير بقصد التزوير موضوع
السندات أو أحوالها في حال تحريرها المختص بوظيفته سواء
كان ذلك بتغيير إقرار أولى الشأن الذي كان الغرض من تحرير
تلك السندات إدراجه بها ، أو بجملة واقعة مزورة ، في صورة

واقعة صحيحة مع عامه بتزويرها ، أو بجمعه واقعة غير معترف بها
في صورة واقعة معترف بها .

مادة ١٨٢ - من استعمل الأوراق المزورة المذكورة في المواد الثلاث
السابقة ، وهو يعلم تزويرها ، يعاقب بالأشغال الشاقة أو بالسجن
من ثلاث سنين إلى عشر .

مادة ١٨٣ - كل شخص ارتكب تزويراً في محررات أحد الناس بواسطة
إحدى الطرق السابق بيانها ، أو استعمل ورقة مزورة وهو عالم
بتزويرها يعاقب بالحبس مع الشغل .

مادة ١٨٤ - كل من تسمى في تذكرة سفر ، أو في تذكرة مرور ، باسم غير
اسمه الحقيقي ، أو كفل أحداً في استحصاله على الورقة المشتملة على
الاسم المذكور ، وهو يعلم ذلك ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد
عن سنتين أو غرامة لا تتجاوز عشرين جنياً مصرياً .

مادة ١٨٥ - كل من صنع تذكرة مرور ، أو تذكرة سفر مزورة ، أو زور
في ورقة من هذا القبيل ، كانت صحيحة في الأصل ، أو استعمل
إحدى الأوراق المذكورة مع عامه بتزويرها ، يعاقب بالحبس
أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنياً مصرياً .

مادة ١٨٦ - كل صاحب لو كائنة ، أو قهوة ، أو أود (غرف) أو محلات
مفروشة معدة ، للإيجار ، وكذلك كل صاحب خان أو غيره ،
ممن يسكنون الناس بالأجرة يومياً ، قيد في دفاتره الأشخاص

الساكنين عنده بأسماء مزورة ، وهو يعلم ذلك ، يعاقب
بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاثة شهور أو بغرامة لا تتجاوز
عشرة جنيهات مصرية .

مادة ١٨٧ - كل موظف عمومي أعطى تذكرة سفر ، أو تذكرة مرور
باسم مزور مع علمه بالتزوير ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد
عن سنتين أو بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرية فضلاً
عن عزله .

مادة ١٨٨ - كل شخص صنع بنفسه ، أو بواسطة شخص آخر شهادة مزورة
على ثبوت عاهة لنفسه أو لغيره ، باسم طبيب ، أو جراح ، بقصد
أنه يخلص نفسه أو غيره من أى خدمة عمومية يعاقب بالحبس .

مادة ١٨٩ - كل طبيب أو جراح شهد زوراً بمرض أو بعاهة تستوجب
الإعفاء فى أى خدمة عمومية بسبب الترجى ، أو من باب مراعاة
الخطا ، يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تزيد عن مائة جنيه مصرية
وأما إذا سبق إلى ذلك بالوعد له بشىء ما ، أو باعطائه هدية
أو عطية ، فيحكم عليه بالعقوبات المقررة للرشوة ، ويحكم على
الراشين بالعقوبات التى تستوجبها جنائتهم .

مادة ١٩٠ - العقوبات المبينة بالمادتين السابقتين يحكم بها أيضاً إذا كانت
تلك الشهادة معدة لأن تقدم إلى المحاكم .

٤٣ - البلاغ الكاذب وعقابه قانوناً

البلاغ الكاذب : من أبلغ المحاكم القضائيين ، مثل رؤساء البوليس والنيابة العمومية وغيرهم ، ممن اعتبرهم القانون من مأموري الضبطية القضائية بأمر نسب وقوعه إلى شخص ، فإن كان ما أبلغهم به هو صدق ، ولم يقصد بتبليغه إلا تنفيذ القانون ، وإجراء مقتضيات الأصول ، مراعاةً لصالح الهيئة الاجتماعية ، فلا يعاقب بعقوبة ما ، ولو ثبت فيما بعد براءة ساحة من نسب إليه ذلك ، لعدم وجود الإثبات الكافي لمعاقبته على ما ارتكبه . وأما إن كان أبلغ بأمر كاذب ، أى أنه لم يحصل بالكافة ، ولم يقع ممن نسب إليه ، فينظر إن كان قصده بهذا البلاغ إساءة من نسب له الأمر الكذب حتى يقع تحت أحكام العقوبات القانونية ، ولكي تتعطل أشغاله ، ويغرم مصاريف كثيرة حالة كونه بريئاً مما نسب إليه ، فالمبلغ بهذا البلاغ الكاذب يعاقب بمقتضى المادة ٢٦٤ من قانون العقوبات وهى :

« وأما من أخبر بأمر كاذب مع سوء القصد فيستحق العقوبة ولو لم يحصل منه إشاعة غير الإخبار المذكور ولم تقم دعوى بما أخبر به » .

لأنه لعب بالمحاكم والحكام ، وغشها وكذب عليها . وإنما يلزم لتطبيق العقوبة المذكورة أن يكون أولاً البلاغ كتابةً . ثانياً أن يكون الشيء الذى نسب للشخص كذباً محضاً لا أصل له وهو برىء منه . ثالثاً أن يكون قصد المبلغ سيئاً ، وهو غش المحاكم والوصول لتنفيذ أغراضه السيئة ، وهى إغالة

الشخص المبلغ ضده لسبب من الأسباب ، أو التوصل إلى حبسه للانتقام منه أو غير ذلك مما يدعو إليه الحقد والغل والحسد .

وكذا كل من ينشر أخباراً كاذبةً بواسطة الصحف والمطبوعات ، أو في المحال العمومية ، منسوبةً لأشخاص بقصد تكدير السلم والراحة والإخلال بالنظام العام ، يعاقبه القانون بالمادة ١٦٢ وهى :

« من نشر بسوء قصد بواسطة إحدى الطرق « المبينة بالمادة ١٤٨ وهى الكتابة أو المطبوعات أو الصياح أو التهديد فى محل أو محفل عمومى » المتقدم ذكرها ، أخباراً كاذبةً ، أو أوراقاً مصطنعةً أو مزورةً ، أو منسوبةً كذباً لأشخاص ، سواء كان ذلك من تلقاء نفسه ، أو نقلاً عن مضبوطات ، أخرى ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثمانية عشر شهراً وبغرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصرى ، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط ، متى كانت الأخبار أو الأوراق يترتب عليها تكدير السلم العمومى .

حسن الخلق

آثاره ومزاياه في معاملة الناس

الإنسان في معاشرته لإخوانه ، ومعاملته لأبناء جنسه ، مفتقر لمخادتهم ، وحسن معاملتهم ، فإن كان حسن الخلق أحبه الناس ، واحترمه الخلقاء والجلال ، وأقبلوا على معاملته ، فيصبح سعيد الحال ، منظوراً منهم بعين الاحترام والإجلال .

وحسن الخلق : هو أن يكون حلو اللسان ، طيب الكلام ، صادق القول والفعل ، سهل المعاملة ، حسن المعاشرة ، لين الجانب ، رحب الصدر ، نقي القلب ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل النفور من الناس ، ميالاً للألفة والائتناس ، حافظاً للود ، وفياً بالعهد .

حسن الخلق هو أن يكون المرء لطيفاً متواضعاً ، وقوراً صبوراً ، حليماً شكوراً ، رفيقاً شقيقاً ، أميناً عفيفاً ، ليس بكذاب ولا عيَّاب ، ولا سباب ولا مغتاب ، ولا همار ولا لمار ، ولا نمام ولا حقود ، ولا حسود .

وبالجملة حسن الخلق : هو أن يكون الإنسان حسن المعاملة لأهله وأصدقائه وللناس ، لحبه لهم ، ورأفته بهم ، وشفقته عليهم ، والصدق معهم في القول ، والإخلاص لهم في العمل ، والصراحة في الحق قولاً وفعلًا ، وبذل المهمة في مساعدتهم ومعونتهم ، ونجدتهم في وقت الضيق والشدة .

كل هذه صفات الرجل الطيب الحسن الخلق .

فاذا حسنت أخلاق الإنسان كثر أحابيه وأصدقائه ، وقل أعداؤه ، وسهلت عليه الأمور الصعاب ، ولانت له القلوب القاسية ، وعاش عيشة هادئة ، وأصبحت نفسه راضية مطمئنة ، تلك النفس التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله :

(يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي) « ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ الفجر »

وقد مدح الله حسن الخلق بقوله لنبيه وصفيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، مثنيًا على حسن خلقه ، ومظهرًا نعمته لديه (وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ) « ٤ ن »

وقال عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

وقال أيضًا : « إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَكْرِمُوهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَكْمَلُ إِلَّا بِهِمَا » .

وقال أيضًا : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَاللَّهُ يَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ » . رواه الترمذی .

وقال أيضًا : « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَسْوَأُكُمْ أَخْلَاقًا الثَّرَثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيِّقُونَ » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام :
« عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَطُولِ الصَّمْتِ ، فَإِنَّ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ
مَا تَجَمَّلَ الْخُلَاقُ إِلَّا بِهِمَا . وفي رواية : إِلَّا بِمِثْلِهِمَا » .
وبالاختصار : إن صاحب الأخلاق الحسنة الطيبة المرضية ، هو أفضل
الناس ، وأحبهم عند الله ، وإن شر الناس إنما هو ذلك الشخص الذى تسوء
أخلاقه ، وتخبث فى معاملة الناس نفسه ، وإن حسنت صورته الظاهرية .
ونكتفى بما ذكر . ومن أراد المزيد فليطالع على هذا الباب فى الجزء الأول
من كتابنا « تقويم الأخلاق » .

شرح حديث شريف

فى حسن الخلق

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :
« إِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » . وفى رواية : « إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ
أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا » رواه البخارى :

فى هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار المسلمين من
حسنات أخلاقهم ، وكرمت صفاتهم . أما من ساءت منهم الأخلاق ،
وقبحت الصفات ، فأولئك الأشرار ، وإن كانوا يصلون ويصومون
ويحجون ، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين ، وصيامهم مجارة ، وحجهم
رياء ، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مرء كرم الأخلاق ، فإن

الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصيام الخالص داعية الصبر والكرم ، والحج المبرور ينمى خلق الصبر ، وحسن العشرة والمعونة .

فبرهان الصديق في العبادات والاخلاص فيها كرم الأخلاق ، وآية التقصير فيها سوءها ، ولأن حسن الخلق من العلو بمكان مدح الله به خير خلقه فقال : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

وكان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، كما قالت زوجته عائشة رضى الله عنها ، فكان أدبه آدابه ، وخلقه أخلاقه ، من صبر وحلم وكرم وعفو ، وإخلاص وشجاعة ، وعدل وحكمة . . . الخ .

وإن مما يثمره حسن الخلق في هذه الحياة تيسير الأمور لصاحبه ، وموافاة الرغائب ، وحب الخلق له ، وثناءهم عليه ، ومعاونتهم له ، والابتعاد عن أذاه ، وقلة مشاكله في الحياة ، واطمئنان نفسه ، وطيب عيشه ، ورضاه به .

أما الثمرة في الحياة الآخرة : فجنة نعيم ، وقرب من رب العالمين .
روى الترمذى من حديث جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا » وسبق ذكره .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على مكارم الأخلاق . منها :
حديث النواس بن سميان : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ » رواه مسلم . وحديث

أبي الدرداء : « مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ » وسبق ذكره
رواه الترمذی وابن حبان وصحاحه . ورواه أبو داود .

وحديث أبي هريرة : « إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ
وَلَكِنْ يَسْعَهُمُ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » رواه البزار .

وحديث أبي هريرة « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . رواه
البزار ورواه أحمد بلفظ : صالح ، بدل : مكارم .

ومن محاسن الأخلاق : الصدق ، والشهامة ، والنجدة ، وعزة النفس
والتواضع ، والثبوت ، وعلو الهمة ، والعفو ، والبشر ، والرحمة ، والحكمة ،
والشجاعة ، والوقار ، والصيانة ، والحرية ، والدعة ، والصبر ، والورع ،
والحياء ، والسخاء ، والنزاهة ، وحفظ السر (كتمان السر) ، والقناعة ،
والعفة ، والإيثار ، وسيأتي الكلام على أغلبها .

ومن مساوئها : السفه ، والرياء ، والغيبة ، والنميمة ، والتبذل ، والغدر
والخرق ، والحق ، والكذب ، والجهل ، والمكر ، والخبث ، والطيش ،
والحقد ، والقححة ، والحسد ، والشراسة ، والعجب ، والجبين ، وضعف الهمة ،
والكبر ، والعبوس ، والغضب ، والدعر ، والكسل ، والهزل ، والزهو ،
والحرص ، والشماتة ، والمجون ، وإفشاء السر ، والشره ، والفجور (وسيأتي
الكلام على بعضها) .

فاحرص أخى على مكارم الأخلاق ، واتخذها حليفتك ، وتجنب سفاسفها
لتكون من الخيار الذين يألفون ويؤلفون .

سوء الخلق ومضاره وعقابه قانوناً

ما أقبح الشخص السىء الخلق ؛ وما أشد كراهية الناس له ، ونفورهم منه ! وما أبغضه عند الله والناس أجمعين !

وسوء الخلق : هو أن يكون المرء بذىء اللسان ، فاحش القول ، شرس الطباع ، سىء الأدب ، خشن الجانب ، تأخذه ثورة الغضب لأقل إساءة ، وتبدر منه بوارد الحدة والغلظة لأدنى إهانة ، غليظ القلب ، سبّاب عيَّاب .

سوء الخلق يوجب المباعدة من الناس لصاحبه ، والبغض والكراهة له ؛ لأن شراسة الطباع تضرم نار الفتن ، وتوقد الشرور ، وتورث المهالك والفجور ، وتعقب الندم ، وتفقد السكينة ، وتعرض المرء للهزاء والسخرية والاحتقار . فتحط من مقامه ، وكرامته واحترامه ، وتليحقه بؤرة السفهاء الغوغاء .

فمن ساءت أخلاقه ، وسفلت طباعه ، وأساء إلى الناس ، فقد قطع منهم حبل المودة والصحبة بل والقراية ، وأفسد النظام بينهم ، فلا ريب أن عاقبة أمره وبال ، ومصيره إلى الخسران ، وسوء الحال ، وسيبقى جزاءه الشديد من الرب المتعال .

١ - قال الله تعالى لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) « ١٥٩ آل عمران » .

٢ - وقال عليه الصلاة والسلام « سُوءُ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ » .

٣ - وقال صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلَا اللَّعَّانِ ، وَلَا الْفَاحِشِ ، وَلَا الْبَذِيءِ » .

أى أن المؤمن الذى امتلأ قلبه بحلاوة الإيمان والإسلام ليس من أخلاقه ولا من شيمته الطعن ، أى القدح والخوض فى أعراض الناس بدم أو غيبة ، ولا هو ذو فحش فى منطقته ، ولا تقيصة فى أقواله وأفعاله ، فلا تنطق شفتاه ببذاءة ولا يأتى بدنيئة .

فمن أوصاف الكاملين فى الإيمان ، والكاملين فى الآداب ، الترفع عن هذه الأرجاس ، والتعالى بالنفس عن تلك الأدناس ، من الشتم والسب واللعن وفحش القول ، وبذاءة اللسان ؛ لأنها كلها عيوب محقرة لصاحبها مشينة للمتصف بها . وسيأتى الكلام على الفحش وبذاءة اللسان ، واللعن أيضاً .
ولقد جاء فى حديث آخر صحيح : « إِنَّ الْفُحْشَ وَالْفَحْشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ إِسْلَامًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا » .

وقال الحسن بن مطير يفخر بأدابه من هذا القبيل :

أحب مكارم الأخلاق جهدى وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفيح عن سباب الناس حاميا وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال فهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

والأحاديث والأقوال كثيرة في هذا الموضوع ، فانكثف بما ذكر ، ومن أراد المزيد فليطالع على هذا الباب في كتابنا تقويم الاخلاق ، الجزء الأول من صفحة ٢٢ إلى صفحة ٣٣ .

أما القانون فيعاقب كل من سب شخصاً ، أو أهانه ، وقذف في حقه بالمواد الآتية :

مادة ١٥٥ - كل من انتهك بواسطة إحدى الطرق المبينة آنفاً في المادة ١٤٨ حرقة الآداب ، أو حسن الأخلاق ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنة أو بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً .

مادة ٢٦١ - يعدُّ قاذفاً كل من أسند لغيره ، بواسطة إحدى الطرق المبينة بالمادة ١٤٨ من هذا القانون أموراً لو كانت صادقة لأوجب عقاب من أسندت إليه بالعقوبات المقررة لذلك قانوناً ، أو أوجبت احتقاره عند أهل وطنه .

مادة ٢٦٢ - يعاقب على القذف بالحبس ، أو بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً ، إذا كان ما قذف به جنائياً ، أو جنحةً ، وأما في الأحوال الأخر فلا يزيد الحبس عن ستة شهور ولا الغرامة عن ثلاثين جنيهاً مصرياً .

مادة ٢٦٥ - كل سب غير مشتمل على إسناد واقعة معينة ، بل كان مشتملاً على إسناد عيب معين ، أو على خدش الناموس ، أو الاعتبار ، بأى

كيفية كانت من الأحوال المبينة بالمادة ١٤٨ يعاقب عليه بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر ، أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً الخ .

العيب في حق أولى الأمر والعقاب عليه

من المعلوم أن ولي الأمر وشخصه يستوجب احتراماً واعتباراً زائداً بالنظر لما اكتسبته رياسته من المجد ، وعلو الشأن ، فوجب على القانون إذن مراعاةً للصالح العام ، تمييزه عن غيره فيما يلزم لجنابه الرفيع ، من الاحترام والاعتبار ، لانتظام الأحوال ، وسير الأعمال ، على وجه الكمال .

فإذا عاب أحد في حق أولى الأمر (بالطرق المبينة بالمادة ١٤٨ السالفة الذكر) أى بواسطة النشر في الصحف ، أو في محل عمومي ، أو في محفل عام ، أو بكتابة نشرات وإعلانات ملصقة على الحيطان أو غير ملصقة ، ومعرضة لمنظر العموم ، بسب ، أو شتم ، أو غير ذلك ، فيعاقب بالمادة الآتية :

١٥٦ - كل من عاب في حق ذات ولي الأمر بواسطة إحدى الطرق

المذكورة يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز ثمانية عشر شهراً ، أو بغرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصري .

العيب في حق أحد ملوك الدول

أو أحد رؤساء الحكومات الأجنبية

لا يخفى أن ملوك الدول ، ورؤساء الحكومات الأجنبية ، واجب احترامهم واعتبارهم ، بمقتضى أصول قانون الدول ، لأجل استمرار العلاقات الودية السامية بين الحكومات بعضها ببعض .

فإذا حصل عيب من أحد الرعايا في حق ملك من ملوك الدول ، أو في حق أحد رؤساء الحكومات الأجنبية ، فيترتب على ذلك - إذا لم تحصل معاقبة العائب بعقوبة شديدة - انقطاع تلك العلاقات الودية السامية ، ولربما يترتب على ذلك حصول عداوات تتول إلى وقوع حرب بين الدولتين عاقبتها ضياع الرجال والأموال ، ويكون السبب في ذلك كلمة عيب صدرت من شخص من الرعايا وهنا ينطبق المثل « رب كلمة أسالت دماء » .

فلهذا السبب وكون القانون من شأنه صيانة العلاقات الودية السامية واستمرارها بين الحكومة المصرية وبين الدول الأجنبية ، عاقب على العيب الذى يحصل علناً في حق أحد ملوك الدول أو أحد رؤساء الحكومات الأجنبية بالمادة الآتية :

١٥٧ - كل من عاب في حق أحد ملوك الدول ، أو أحد رؤساء

الحكومات الأجنبية بواسطة إحدى تلك الطرق ، يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز ثمانية عشر شهراً أو بغرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصرى .

العيب في حق أحد أعضاء العائلة المالكة

أما من عاب في حق أحد أعضاء عائلة الحضرة الخديوية ، أو العائلة المالكة الآن فيعاقب بالمادة الآتية :

١٥٨ - كل من عاب في حق أحد أعضاء عائلة الحضرة الخديوية بواسطة إحدى الطرق المتقدم ذكرها يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة أشهر أو بغرامة لا تتجاوز ثلاثين جنيهًا مصريًا .

عقاب من أهان موظفًا عمومياً ومثله

١٥٩ - يعاقب بالعقوبات المذكورة كل من أهان موظفًا عمومياً ، أو إحدى رجال الضبط ، أو أى إنسان مكلف بخدمة عمومية ، أو افترى عليه أو سبه بإحدى الطرق السالفة الذكر بسبب أمور تتعلق بوظيفته أو خدمته مادة ١٦٠ - يجازى 'بتلك العقوبات أيضاً كل من وقع منه بواسطة إحدى الطرق المذكورة إهانة في حق إحدى المحاكم ، أو الهيئات النظامية ، أو جهات الإدارة العمومية .

مادة ١٦١ - يجازى 'بتلك العقوبات أيضاً كل من تصدّى بواسطة إحدى الطرق السابق ذكرها إلى سب وكلاء الدول السياسيين ، أو القناصل ، أو الجنرالات المعتمدين لدى الحضرة الخديوية (الملكية) أو الافتراء عليهم بسبب أمور تتعلق بوظائفهم .

السب البسيط الغير على

المادة ٣٤٧ — يجازى 'بغرامة لا تزيد عن جنيه واحد مصرى ، أو بالحبس مدة لا تتجاوز أسبوعاً .

أولاً : من ابتدر إنساناً بسب غير على ، أو غير مشتمل على إسناد عيب أو أمر معين .

ثانياً : من وقعت منه مشاجرة ، أو تعد ، وإيذاء خفيف ، ولم يحصل ضرب أو جرح .

حديث فى النهى عن سب الرجل و والديه

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ . رواه البخارى ومسلم .

اللّعن : الطرد من رحمة الله ، والسب : الشتم الوجيع .

بيّن هذا الحديث أن سب الرجل أبويه من أكبر الكبائر ، وأعظم الذنوب ، لأنه الإساءة فى موضع الإحسان ، والإثم الكبير مكان البرّ العظيم ، والشتم الذمّ عوض القول الكريم . وهل هو إلا كفر بنعمة التّربية منهما ونمط لحقوقهما ، ودناءة نفس ، وخسة طبع . وهل يرجى من شخص يسىء إلى أبويه اللذين ربياه صغيراً أن يحسن إلى أحد من الناس ؟ كلا فهو مصدر شرّ ، ومبعث فساد ، فلا جرم أن كان ذنبه عظيماً ، ووزره خطيراً .

ولذلك عجب الصحابة واستغربوا وقالوا : كيف يسب الرجل والديه ؟ استبعاداً أن يكون فى بنى الإنسان من يقدم على هذا الجرم العظيم ، فبيّن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سب غير مباشر ، بأن يسب شخص أباه شخص آخر فيسب هذا أبويه ، انتصاراً لنفسه ، وانتقاماً مضاعفاً لغرضه ، فذلك سبّ من الأول لأبويه ، لأنه تسبب فيه .

فإذا كان المتسبب فى ذلك من أكبر الكبائر فما بالك بمن يسبهما

كفاحاً ، بَلَّةٌ من يؤذيهما ويضربهما ! إن ذلك للوزر الأكبر لا يفوقه إلا الشرك .

والأصل في الحديث قوله تعالى : (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا (ظالماً) بِغَيْرِ عِلْمٍ) « ١٠٨ الأنعام » فنهى المسامحين عن سب الآلهة التي يعبدونها المشركون مخافة أن يسبوا الله انتصاراً لآلهتهم .
الأدب النبوى (الحديث ٤٢)

الفحش و بذاءة اللسان واللعن

من الأسباب المثيرة للغضب إطلاق العنان للسان ، فلا يبالي أن يسب هذا ، ويلعن ذاك ، وينال من إخوانه في غيبتهم ، وينم عليهم ، ويشي بهم بدون أن يحسب لأحد حساباً أو يخشى على عمله عقاباً .
ولا ريب أن ذلك من شر الأسباب التي تولد الأحقاد والضغائن ، وتثير غضب الناس على من يفعل ذلك .

فيجب على كل عاقل أن يضبط لسانه دائماً ، ولا يهوده على السب واللعن حتى مع خادمه وولده الصغير ، ودوابه وأنعامه ، فإنه إذا تمود ذلك ، فلا يأمن أن ينال ممن يقابله بمثل قوله أو يزيد عليه ، فيثور غضبه ويطغى ، ويسوقه إلى مالا تحمد عقباه .

وكذلك يجب عليه أن يصون لسانه عن الفحش والغيبة والنميمة ، فإنه إذا جرى لسانه بفحش القول ذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه ، كان شراً ووبالاً على الناس ، لا يبالي أن ينال من أعراضهم وكرامتهم ، وذلك

من أكبر الأسباب التي تثير الضغينة ، وتهيج الغضب ، ومثل ذلك الغيبة والنميمة ، فإن المغتاب والنمام يغرس بعمله هذا بذور العداوة والبغضاء ، ويؤسس أركان الحقد والضغينة ، وذلك من أكبر الأسباب التي تثير غضب الناس وسخطهم ، ومحاربة بعضهم بعضاً بالقول والفعل .

من أجل ذلك نهت الشريعة الإسلامية عن كل هذه الأمور نهياً شديداً ، وإليك البيان :

حد الفحش ، هو أن يعبر عن الأمور المستقبحة شرعاً وعقلاً وطبعاً ، بالعبارات الصريحة ، كما يفعل الرعاع ، وفاسدو الأخلاق ، حين يتكلمون عن الوقاع وما يتعلق به بعبارات الفحش التي يستقذرها الطبع السليم ، ويستلذها أرباب الطباع الفاسدة .

والفاحش هو الذي يتكلم بالفحش ، ويأتى الفاحشة . أما البذيء فهو الذي ينطق بالفحش ، ولم يأت الفاحشة ، وقد يكون صادقاً فيما يقول .

وقد نهت الشريعة الإسلامية عن النطق بالفحش ، كما نهت عن إتيان الفاحشة ، وإن كانت عقوبة الثانية أشد ، وإثمها أعظم .

أما ما ورد من الأحاديث في النهي عن ذلك فكثير . منه ما رواه الترمذى ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ » .

فالمطعمان هو الذى يطعن فى أعراض الناس بالذم والاغتياب ، ونحو ذلك ، واللعان هو الذى يكثر اللعن للناس كما سيأتى ، وقد علمت معنى الفاحش والبذى .

وفى هذا الحديث زجر شديد لمن كان له قلب يتأثر بموعظة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه عليه الصلاة والسلام قد نفى الإيمان عمن يتصف بهذه الصفات ، ومهما قيل فى تأويل هذا وأمثاله بأن المراد منه نفى الإيمان الكامل فلن يجديه ذلك نفعاً ، لأن نقص الإيمان مصيبة لا تعدلها مصيبة ، فإن ناقص الإيمان الذى لا يبالى باقتراف الجرائم والآثام لا يزال فى مقت الله وغضبه ، وسينال جزاء ما اكتسب من الآثام عذاباً أليماً .

ومن ذلك ما رواه الحاكم وغيره من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ » . وقد علمت حدّ الفحش ، فهو اسم للردائل التى يأبأها الطبع السليم ، وينكرها العقل ، وينهى عنها الشرع .

أما التفحش فهو تعمد الفحش . ومن ذلك ما رواه أحمد وابن أبى الدنيا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ إِسْلَامًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا » .

ذلك بعض ما قاله رسوانا الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام ، وتلك هى تعاليمه الرشيدة ، ونواهيه الحكيمة ، فهو قد نفى الإيمان عن الفاحش والبذى . وقال : إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام فى شىء .

ذلك لأن الاسلام دين الفضائل ومكارم الأخلاق ، فهو منزّه عن كل ما ياباه الطبع السليم ، وتتأذى منه الفضيلة ، فهلا يزدجر أولئك المفسدون الذين يستعذبون الفحش ، ويستلذون الفاحشة ، والألفاظ المستهجنة بدون حياء من الله والناس ؟ وهلا يعتبر هؤلاء الذين يأتون الفاحشة ، ويفعلون المنكر بذلك الزجر الشديد ؟ فإذا كان التعبير بألفاظ الفحش جريمة يستحق صاحبها نفي الإيمان عنه ، فما ظنك بمن يأتى الفاحشة ويفعل الموبقات ؟ ألا إن إثمه لكبير ، وإن عقابه لشديد ، فله الويل والشبور ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

اللعن

معنى اللعن : الطرد من رحمة الله تعالى والإبعاد من حضرة . فمعنى لعن الله الظالم : أبعده من رحمته ، وطرده من محرم رحمته . ولا ريب في أن ذلك حكم على الله تعالى بأنه فعل ذلك ، فينبغى أن يتبع فيه ما ورد عن الشرع وإلا كان جرأة شديدة على الله تعالى لا يقرّها الدين .

والذى ورد في الشرع هو اللعنة بالأوصاف العامة كلجنة الله تعالى على الكافرين ، أو الظالمين ، أو الفاسقين ، ونحو ذلك . أما لعن الأشخاص فإنه لا يجوز إلا إذا ثبت أنهم كفار (كأبي جهل وأبي لهب) ونحوهم ممن ظهر لنا أنه مات كافراً .

فإذا قال قائل : لعن الله فلاناً اليهودي ، أو النصراني ، أو المجوسى ، فإنه لا يجوز ، لأنه لا يدري مصيره ، ولا يعرف ما أراد الله له في نهاية أمره ،

فقد يتوب الله عليه كما حصل مع (أبي سفيان) وغيره ممن لعنهم رسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فنزل قوله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) الآية فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لعنهم .

روى أحمد والبخاري وغيرهما من حديث ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد :

اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية ، فنزلت الآية : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) فتبيب عليهم كلهم ، وكذلك كان عليه الصلاة والسلام يلعن الذين قتلوا أصحاب (بئر معونة) . فاما نزلت هذه الآية ترك ذلك .

فإذا كان لا يجوز لعن فلان الكافر ، فكذلك لا يجوز لعن الفاسق أو الظالم من باب أولى . نعم يجوز ذلك بالأوصاف العامة كأن يقول : لعنة الله على الزناة ، أو على الكذابين ، أو على النمامين ، ونحو ذلك ، على أنه لا يجوز لعن الأشخاص الذين ثبت موتهم على الكفر إذا ترتب على لعنهم إساءة أحد من أهلهم وأقاربهم من المسلمين ، أو ترتب عليه فتنة ، أو كان سبباً في ضرر اللاعن أو نحو ذلك .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مرثبه وهو يريد الطائف ، فقال أبو بكر : هذا قبر رجل كان عاتياً على علي الله ورسوله وهو سعيد بن العاص ، فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال :

يا رسول الله ، هذا قبر رجل كان أطمع للطعام ، وأضرب للسهم من أبي قحافة .

فقال أبو بكر : يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : اكفف عن أبي بكر . فانصرف ، ثم أقبل على أبي بكر فقال : يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فعمموا ، فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء ، فكف الناس عن ذلك ، رواه أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتِ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ » رواه الترمذي وأحمد والطبراني .

ومثل صفة اللعن في الخطر ما يدل على معناه كقوله : غضب الله عليه ، أو أحرقه بنار جهنم ، أو طرده من رحمته ، ونحو ذلك مما يفيد معنى الإبعاد من حضرة الله والطرده من رحمته .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا تَلَاَعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا بِغَضَبِهِ وَلَا بِجَهَنَّمَ) ، أي لا يلعن بعضهم بعضاً ، سواء كان ذلك بلفظ اللعن ، كأن يقول : لعن الله فلاناً ، أو هو ملعون أم لا ، كجعله الله من أهل النار ، أو غضب الله عليه ونحو ذلك .

وكما لا يجوز لعن الإنسان ، كذلك لا يجوز لعن الحيوان والجماد . قال أنس رضي الله عنه : كان رجل يسير مع النبي صلى الله عليه وسلم على بعير فلمن بعيره . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا عبد الله لا تسر معنا على

بعير ملعون ، فكان ذلك إنكاراً من النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الرجل ، والحديث رواه ابن أبي الدنيا .

وبعد ، فإن ذلك من محاسن الإسلام ومكارمه التي لا تقف عند حد ، فهو يعلم الناس الأدب ، ويأمرهم بصيانة ألسنتهم عن كل ما يثير غضباً أو يولد حقداً ، أو يؤذى حياً ، أو يهين ميتاً ، إلا ما كان ضرورياً يستدعيه الزجر والتأديب ، فخير بذلك الدين الحنيف أن يظل قائماً إلى يوم الدين ، وحرام على المسامين أن يخرجوا عن آدابه ، وينتهكوا حرمانه ، ويتخطوا حدوده .

حرام عليهم أن ينهزم دينهم عن كل رذيلة ، ولكنهم فيها ينغمسون ، ويأمرهم بكل فضيلة ، ولكنهم عنها مبعدون ، ثم بعد ذلك تراهم يشكون ذلاً ، ويسامون خسفاً ، ولو أنهم اتبعوا ما أمرهم به دينهم ونهزم عنه ، لكانوا أسعد خلق الله أجمعين ، وأوفرهم حظاً يوم يبعثون .

نسأل الله تعالى صلاحاً وتوفيقاً

عبد الرحمن الجزيري

(من مجلة نشر الفضائل — العدد ٣١ السنة السابعة)

السر وكتمانه

كتمان السر هو حفظه ، وعدم إظهاره وإباحته ، وهو دليل الوفاء ، وعنوان كرم النفس والأمانة ، ودليل الفوز والنجاح ، فمن استودع سرَّ غيره ، وجب عليه أن يكون واسع الصدر رحباً ، ليحل فيه هذه الوديعة محلها اللائق بها من الاحتفاظ عليها ، مهما كلفه ذلك من المشاق والعناء . ومن أمعن النظر يرى أن الأمم التي رسخت قدمها في الحضارة ، وبرعت في الاستعمار ، فأصبحت ذات سطوة قوية ، وتجارة رابحة ، هي التي تكتم أسرارها ، ولا تظهر من أحوالها أصراً قررت تنفيذه إلا حيث يظهره عملها ، وذلك هو النجاح في مضمار الحياة .

وإن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق عالم ، واستشارة ناصح مسالم ، فليختر العاقل أسرته أميناً ، إذا لم يجد إلى كتمان سبيلاً ، وليتحرر في اختيار من يأتئنه عليه ، ويستودعه إياه ، فليس كل من كان على الأموال أميناً ، كان على الأسرار مؤتمناً ، والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار .

لأن الإنسان قديز سر نفسه ببادرة لسانه ، وسقط كلامه ، ويشح باليسير من ماله حفظاً له ، وضناً به ، ولا يرى ما أضاع من سره كبيراً في جنب ما حفظه من يسير ماله ، مع عظم الضرر الذي يصيبه . فمن أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشد تعذراً ، وأقل وجوداً من أمناء الأموال ،

وكان حفظ المال أيسر من كتمان الأسرار ، لأن أحرار الأموال منيعة .
وأحرار الأسرار بارزة ، يذيعها لسان ناطق ، ويشيعها كلام سابق .
وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : القلوب أوعىة الأسرار ،
والشفاه أقفأها ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره .
ومن صفات أمين السر : أن يكون ذا عقل صاّد ، ودين حاجز ، ونصح
مبذول ، وودّ موفور ، وكتوماً بالطبع ، فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة ،
وتوجب حفظ الأمانة .

وليحذر صاحب السر أن يودع سره من يتطلع إليه ، ويؤثر الوقوف
عليه ، فإن طالب الوديعة خائن .

وقال صالح بن عبد القدوس :

لا تدع سراً إلى طالبه منك فالطالب للسر يذيع

واعلم أن صدرك أوسع لسرك ، وأحفظ ما أئتمنت عليه من سر ،
فإن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك ، ومن استودع سراً فأفشاه فقد
خان الأمانة .

وإفشاء السر هو إظهاره وإباحته ، وهو من الأمور التي تستقبحها
المروءة ، وبغضها ذوو الهمم العليا ، وهو دليل الخيانة ، وهو حرام إذا كان
فيه إضرار بالغير ، ولو لم يكن فيه إضرار .

وقد عاقب القانون كل من أفشى سراً من أسرار الحكومة كما سيأتى

في موضوع إفشاء السر .

كتمان سر الفرد والجماعة

من الأمور ما يعد سراً يجب كتمانها ، لأنه قد يكون في إفشائه إضرار بصاحبه أو بغيره .

فالتاجر الذي يفشى سر تجارته للناس يقلّ ربحه ، وينصرف الناس عنه بما تمكن في نفوسهم من الرغبة الشديدة في الاستيلاء على الشيء بأقل ثمن ممكن .

ومن الناس من تراهم يتحدثون عن غيرهم ، ويروون الأحاديث ينسبونها إلى العظماء ، ويرون أن من دواعى اتصافهم بالعلم والإحاطة بالأخبار أن يفشوا لك أسرارهم ، ويقفوك على ما بطن من أمورهم .

هؤلاء وأشباههم ممن تنقص بهم المجالس ، وتمتلى بهم المجامع ، تجدهم في المجالس مردولين محتقرين ، لا يقبل عليهم أحد إلا للتسلى بسماع أحاديثهم حتى إذا استوفوا ما عندهم لووا وجوههم ، ورأيتهم يصدون عنهم وهم ساخرون ، وإذا هموا بالانصراف شيموهم بالسخط وعبارات الاستهزاء .

ومنهم من يصل به الحال إلى ذكر أحاديث بيته مما هو خاص به وبأسرته ، وقد يتجاوزون هذا إلى ذكر أحاديث ما أكلوه وما شربوه وما لبسوه ، وغير ذلك من سفاسف القول وردئته : كمداعبته لطفله الصغير وكلامه له ورده عليه ، وما إلى ذلك مما يعد البوح به ازدراء بالشخص وخطأ من كرامته ، ونقصاً في مداركه .

إن الذى يفشى سره لغيره يحكمه فى نفسه ، ويجعل زمامه بيديه ، فإن يرفق به يحتفظ بسره ولا يفشه ، وإن يرد إعناته أفشاه ، فأضرّ به ، وعطل مصالحه ، كذلك تجده دائماً يتملق له ، ويظهر له ميله واحترامه ، وهو المغيظ المحق ، وإذا رأى منه إغراضاً ، أو أحس منه جفوةً ، لم يستطع البقاء على ذلك طويلاً ، وسعى إليه يترضاه مخافة أن يبوح بسره فيؤذيه ، وإذا لم يكن صاحب السر معنياً بحفظه ، حريصاً على صونه . فأى الناس تجده أحق بذلك وأولى ؟ كما قال الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذى يستودع السر أضيق
فعلى صاحب السر أن يبالغ فى كتمانهِ ، بقدر ما يعلم من الضرر الذى يلحقه إذا هو أفشاه ، حقاً قد تدعو الضرورة بعض الناس إلى الإفشاء بأسرارهم إلى بعض خاصتهم من خلائهم وأصدقائهم للاستعانة برأيهم . فعلى هؤلاء أن يحتفظوا بما أوثمنوا عليه من السر وإلا كانوا خائنين .

وعلى صاحب السر ألا يختار منهم لسره غير واحد صادق أمين ، يستشيرهم فإذا جاوزه إلى ثان عد هذا منه إفشاء للسر .

إذا جاوز الاثنين سر فانه بث^(١) وتكثير الحديث قمين^(٢)

وقديماً تمدح العرب الأسرار ، قال شاعرهم :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير أنى جماعها
لكل امرء شعب^(٣) من القلب فارغ وموضع نجوى^(٤) لا يرام^(٥) اطلاعها

(١) إذاعة . (٢) حقيق . (٣) جانب . (٤) سر . (٥) يقصد ويسطاع .

يظالون شتى^(١) في البلاد وسرهم إلى صخرة أعيال الرجال^(٢) انصداعها^(٣) إن الذي يُعرف بكتمان السريثق به الناس ويأتمنونه ويلتفون حوله ، ومن كان بموضع ثقة ومحبة كان أقدر على تحصيل الخير لنفسه ودفع الضرر عنها . وكما أن للأشخاص أسراراً يحتفظون بها ، فالحكومات أيضاً أسراراً ينبغي صونها ، بل أن ضرر إفشائها أنكى ووقعه أبلغ ، إذ يتعدد بتعدد أفراد الأمة . من أجل هذا كان إفشاء أسرار الحكومات من الآثام الكبرى التي تعاقب عليها الحكومات بالقتل .

وإنك لتعلم مقدار الضرر الذي يحقق بجيش حملت أسرارها إلى أعدائه فباتوا عالمين بخطط دفاعه ، وقوة حصونه ، ومواطن قوته وضعفه ، وتعلم فداحة ما يتبع هذا من الضرر الذي يصيب الأمة كلها بعد ذلك ، إذ تنتهك حرمتها وتؤخذ أموالها ، وتساق جنودها أسرى مقرنين في الأصفاد ، ثم تصير إلى العبودية والذل والهوان .

قد يكون بعض الناس ممن لا خلق لهم ، عوناً للأجنبي على أمته ، فيتقرب إليه بإفشاء أسرارها ، وتوقيفه على مواطن الضعف منها ، وهو لاء أحق بمقت الناس وسخطهم ممن كانوا ينتفعون منهم بهذه الأسرار .

حدثوا أنه عرض (لنا بليون) في إحدى غزواته ، رجل كان يتقرب إليه بإفشاء أسرار جيش دولة ، وما تعزم حكومته أن تفعله لصد غاراته ، حتى إذا دارت الدائرة على تلك الأمة ، فهزم جيشها ، وتمزقت أوصاله ، سعى ذلك

الرجل إلى (نابليون) فرحاً مستبشراً، وهو يظن أنه قد نال الزلفى عنده والفوز، فلما دخل عليه واقترب منه، ذوى وجهه عنه، وأخذ بطرف عصاه كيساً فيه مال، كان قد أعدّه خصيصاً لذلك من قبل، ثم ناوله إياه قائلاً: هذا جزاؤك! فانصرف مذموماً مدحوراً، بعض بنان الندم على ما أصابه وأصاب أمته.

من أجل ذلك قيل: كتمان الأسرار، من شيم الأحرار، وشمائل الأبرار، وهو أبعد الأفعال من الضرر، وأحق الخصال بالظفر، يدل على وفور العقل، وكثرة الصبر، وكمال المروعة.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ».

وقال المهذب بن أبي صفرة: أدنى أخلاق الشريف كتمان السر، وأعلىها نسيان ما أسر به إليه.

ومن كلام الحكماء: كتمان السر يوجب السلامة، وإفشائه يعقب الندامة.

وقال بعضهم: من شح على سره فقد أعان على بره.

وقال علي رضي الله عنه: سرّك أسبرك، فإذا فضحت سرّك أسيره.

وقال سقراط: كتمان سر غيرك متعين عليك، وكتمان سرّك سبب

صياتتك، والشكور من كتم سرّاً لم يستكمنه، ومن خان في سر نفسه، فهو في غيره أخون.

ومن كلام بعض الحكماء : لا تودع سرّك إلا حافظاً ، فإن قلوب الأحرار ، حصون الأسرار .

وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لما استعملني عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخلت على أبي سفيان فقال لي : يا بني إن هذا الرهط من قریش سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فصاروا قادة ، وصرنا أتباعاً ، وأرى هذا الرجل قد استعملك فاحفظ مني ثلاثاً : لا يجرّبن عليك كذباً ، ولا تفشين له سرّاً ، ولا تطو عنه نصيحةً وإن استثقلها .

قال : ثم دخلت على أمي هند فقالت لي : يا بني إنه قلما ولدت الأحرار مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما يوافقك ، أحببت ذلك أم كرهت فانك تجرى إلى أمر لو قد بلغت لنفسك عليه (حسدت) فعجبت لاتفاقهما في المعنى وإن كانا قد اختلفا في اللفظ .

وأعجب من ذلك ما توسمت هند في معاوية فما أخطأت فراستها ، ولا خاب قياسها ، ولبعض الشعراء :

لا يحفظ السر إلا كل ذي كرم والسر عند لئام الناس مبذول
وفي الحكم المنشورة . كن جواداً بالمال في موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار
على جميع الخلق .

ومن أمثال الحكماء : سرّك من دمك ، فلا يخرج من تحت قدميك ، وما تحلى ذو فضل وبرّ وعدل وخير ، بأحسن من كتمان السر .

وقال بعض الحكماء في هذا المعنى : من حصن بالكتمان سره ، تم له تدبيره

وكان له الظفر بما يريد ، والسلامة من العيب والضرر ، وإن كان أخطأه
التمكن والظفر . والحازم يجعل سره في وعاء يكتمه عن كل مستودع ، فإذا
اضطره الأمر وغلبه أودعه العاقل الناصح له ، لأن السرامانة ، وإفشاءه خيانة
والقلب وعاءه ، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع ،
والافراط في الاسترسال بالأسرار عجز ، وما كتبه المرء من عدوه يجب ألا
يظهره لصديقه ، ومن استودع حديثاً فليستره ولا يكن مهتماً ولا مشياً ،
لأن السر إنما سمي سراً لأنه لا يفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن
لا يفشيه ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده . ومن أنبأ الناس بأسراره هان
عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكتم السر استحق الندم ومن استحق الندم ، صار
ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل . فتحصين السر للعاقل أولى به
من التلief بالندم بعد خروجه .

مصطفى خفاجي

(مجلة نشر الفضائل — العدد ٢٢ السنة السادسة)

إفشاء السرِّ ومضاره

مما يثير الغضب ، ويولد الضغائن والأحقاد ، في نفس الناس ، ويرفع الثقة من بينهم إفشاء السرِّ . فإن الذي يودع عند الآخر سرًّا يأمنه عليه لا بد أن يشور غضبه إذا علم أنه أفشاه ، ولم يصنه ، ويسعى في أن ينال منه ، ما يستشفى به ، فيثور غضب الآخر لذلك . وعند ذلك لا تؤمن غائلة الغضب ولا يتقى شره الذي بيناه فتكون العاقبة شرًّا ووبالاً من كل الوجوه . وكفى بذلك ذمًّا لإفشاء السرِّ ، لأن فيه إيذاء يدفع إلى إهاجة الغضب ، وتزايد العداوة والبغضاء ، وهو خيانة مذمومة كل الذم ، في نظر الشريعة الإسلامية .

قال رسول صلى الله عليه وسلم : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ فَقِيلَ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ » رواه مسلم وغيره .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

ومعنى الحديث الأول : أن الخائن الذي يخون الناس ، ويندر بهم فلا يبالي أن يفشى أسرارهم ، ويخون عهودهم ، أو يغدر بهم ، في أمورهم سيفتضح

يوم القيامة ، ويشهر به ، ويعان عن خيائته ، مبالغةً في النكابة به ، وتشديداً في عقوبته ، وذلك هو الحسران المبين .

ومعنى الحديث الثانى : أن الخائن الذى لا يؤمن على أسرار الناس ، وأموالهم وأعراضهم ، ويفدر بهم فى عهودهم ، لا إيمان عنده ولا دين له .

ومن المعلوم أن نفي الإيمان فى هذه الحالة ، يدل على عظم الجريمة ، وشذتها ؛ فإنه مهما قيل فى تأويله : من أن المراد نفي الإيمان الكامل ، فكفى بذلك تحذيراً وزجراً ، وكفى مرتكبها ذمّاً ، بأنه ناقص الإيمان يستحق عليه سوء العقاب .

أما الآثار السيئة التى تترتب على إفشاء السر ، فمنها ما هو متعلق بالفرد ، ومنها ما هو متعلق بالجماعة ، ولا ريب فى أن ضرر الثانى أشد ، وخطره أعظم ، ومثاله : ما إذا كان متعلقاً بتدبير شعب ، أو إصلاح جيش ، أو تنفيذ نظام ، أو تربية فريق من الناس ، أو نحو ذلك ، فإفشاء السر فى مثل هذا خيانة عظيمة ؛ وخيانة كبيرة فى نظر الشريعة الإسلامية ، يستحق عليها نفي الإيمان عنه ، وله على ذلك عذاب الجحيم .

وكذلك ما يتعلق بإفشاء سر الفرد ، فإنه شديد الضرر ؛ لأنه قد ينقصه فى نظر قومه ، وقد يقطع عليه منفعة عظيمة ، وقد يثير عليه غضب من يؤذيه إيذاءً شديداً ، وقد يعرضه للخطر الشديد إلى غير ذلك .

ولهذا حذر العقلاء من أن يسر الإنسان إلى غيره ، ما يخشى من إذاعته على نفسه ، أو كرامته .

نقل جرير بن حمزة الزيات عن علي رضي الله عنه أنه قال :

لا تقش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحًا

فإني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديمًا صحيحًا

ومعناه : أنك إن رأيت أن لك نصيحًا تفضي إليه بسرك فإن له أيضًا

نصيحًا يفضي إليه بما أسرت إليه به ، فلا تظن أنه يظل مكتومًا عنده ،

ومعنى البيت الثاني ظاهر .

فإذا كان في إفشاء السر ضرر يعود على الفرد كما بينا فإنه يكون

كبيرة شديدة وجريمة من شر الجرائم . أما إذا لم يكن فيه ذلك الضرر فإنه

يكون لوّم في الطبع ، وسوء أدب ، ويكون حرامًا إذا اعتاده ، فخره ذلك

الاعتیاد إلى إفشاء السر الذي يترتب عليه الإضرار .

روى أن معاوية بن أبي سفيان ، أسرّ إلى الوليد بن أخيه عتبة بن أبي

سفيان حديثًا ، فقال الوليد لأبيه عتبة : « يا أبت إن أمير المؤمنين أسرّ

إلى حديثًا ، وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك » .

فقال عتبة لابنه : فلا تحدثني به فإن من كتم سرّه كان الخیار له ، ومن

أفشاء كان الخیار عليه .

قال : قلت يا أبت ، وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه .

قال : لا والله يا بني ، ولكن أحب أن لا تزل لسانه بأحاديث السرّ .

قال الوليد : فأتيت معاوية فحدثته بما جرى .

فقال : يا وليد أعتقك أخى من رق الخطأ .

« أخرجه ابن أبي الدنيا فى الصمت » .

هذا ولا يلزم أن يقول من يتحدث إلى غيره بسر : إن حديثى سرّ فلا تدعه ، فإنه متى حدثك أحد بحديث خاص بينك وبينه ، كان ذلك الحديث أمانة لا يصح لك إذاعته إلا بإذنه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مُطْلَقُ الْحَدِيثِ يَنْتَكُمُ أَمَانَةٌ »

رواه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ التَّفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ » رواه أبو داود والترمذى .

ومعناها : أنه إذا أسرّ فى أثناء الحديث ولو بالتفاتة فإنه يكون أمانة وكذلك إذا لم يسر بشيء فإنه يكون أمانة أيضاً .

تلك هى آداب الشريعة الإسلامية وأخلاقها ، فمن ذا الذى لا يتأدب بتلك الآداب ، ولا يتخلق بهذه الأخلاق التى من تمسك بها ، سعد فى دنياه وآخرته ، وكان عند الله من المقرّبين م

عبد الرحمن الجزيرى

(من مجلة نشر الفضائل — العدد ٢٤ — السنة السابعة)

العقاب على إفشاء السر

١ - إفشاء سر الحكومة والعقاب عليه

إفشاء سر الحكومة للدول الأجنبية ، مضر ضرراً بليغاً ، فقد يحصل أن الحكومة تكون شائعة في أمر يعود على الوطن بالصلاح ، وبإفشاء سر المخبرة - بدون إذن - للدول الأجنبية ، يفسد المشروع ، أو تكون الحكومة موجهة فرقة عسكرية ، إلى جهة من الجهات ، لإجراء أى أمر فيه صالح للحكومة ، وبإفشاء السر للدول الأجنبية ، يترتب عليه أن يخيب الغرض المقصود الذي يعود على الحكومة بالنفع .

فلذلك اعتبر كل من أفشى سر الحكومة بقصد الخيانة خائناً للوطن ، عدواً للحكومة يعاقب بالمادة الآتية «من قانون العقوبات طبع سنة ١٩١٣»
٧٤ - يعاقب بالإعدام كل من كان من أرباب الوظائف العمومية ، أو من مأمورى الحكومة ، أو غيرهما ، أودع إليه سر مخبرة ، أو إرسالية عسكرية ، من عساكر الحكومة ، أو علم ذلك بطريقة رسمية ، أو بسبب وظيفته ، وأفشاء بقصد الخيانة مباشرة ، أو بواسطة ، إلى مأمور دولة أجنبية أو معادية للحكومة بدون أن يؤذن له بذلك .

٢ - إفشاء سر المهنة والعقاب عليه

كل من كان مودعاً إليه بمقتضى صناعته ، أو وظيفته ، سر خصوصى ائتمن عليه ، وهذا ما يعبر عنه بسر المهنة ، فأفشاءه في غير الأحوال التى يلزمه القانون فيها بتبليغ ذلك يعاقب بالمادة الآتية (من القانون المذكور)

٢٦٧ — كل من كان من الأطباء ، أو الجراحين ، أو الصيادلة ، أو القوابل ، أو غيرهم مودعاً إليه بمقتضى صناعته ، أو وظيفته سر خصوصي ، ائتمن عليه فأفشاه في غير الأحوال التي يلزمه القانون فيها بتبليغ ذلك يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور ، أو بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً . والسبب في كون القانون ، يعاقب على إفشاء السر هو : أن إفشاء السر المودع لديهم بالنظر لصناعتهم ، أو وظيفتهم يترتب عليه دائماً فضيحة وكسر شرف ، وناموس الشخص الذي ائتمنه على سره ، ويترتب عليه ضياع الأمانة التي يلزم اتصافه بها للنفع ، لا للضرر ، ويترتب عليه أيضاً أن الناس إذا رأوه لم يصن السر المودع عنده من أحدهم ، بل أفشاه ، يخشون على أنفسهم أو يحصل لهم ما حصل لغيرهم من الفضيحة ، وإهانة الشرف ، فيلتزمون جانب السكوت على إيداع السر عند غير أهله .

أما إذا كان القانون يلزم الطبيب ، أو القابلة بتبليغ ذلك السر فكتمانه له في هذه الحالة يعد مشاركة للمجرم في جريمته لا ائماناً على سر .

فالطبيب الذي يعلم بمرض وبأى ، ولا يبلغ عنه يساق إلى المحاكمة ، ولا ينفع فيه قوله : إن في الأمر سرّاً فنياً وأنه علمه من تلك الطريق .

كذا إذا عالج امرأة حبلى وعلم بعدئذ أنها أعطيت دواء لإسقاطها ثم طالب للشهادة فلا يجوز له أن يحتج وراء السر الفنى أو سر المهنة .

أما ما كان على خلاف هذا من الأسرار ، فلا يصح له إباحته ، وإذا دعى إلى الشهادة أمام محكمة مدنية ، أو جنائية ، فله أن يرتضى تأديتها ويقول : أن ما أعلمه ، علمته بواسطة صناعتي وفنى فلا أقول .

ذلك واجب محتم عليه ، لا خيار له فيه ، فإذا أفشى السرّ عوقب وحق لمن أفشى سرّه أن يطالبه بعوض .

وليس الأمر مقصوراً على الأطباء ، والصيادلة والقوابل ، بل يتعداهم إلى المحامين والوكلاء والموظفين ، فإذا علم المحامي بأمر ما ، أو بتوضيحات عن ذلك الأمر ، بواسطة مهنته لا يجوز له في أى حال من الأحوال إفشاؤه أو أن يبوح بالتوضيحات ، ولو بعد انتهاء مهنته ، إلا إذا كان الغرض في تبليغ ذلك إليه ارتكاب جريمة ، أو إذا طلب منه المبلغ أن يفشى الأمر .

كذلك الموظف إذا استودع سرّاً أو علم أمراً في أثناء تأدية وظيفته فليس له أن يفشى هذا السر ، إذا رأى في ذلك ضرراً على المصلحة العمومية ، ولا يجوز له أن يؤدى شهادة عما تضمنته ورقة من الأوراق المتعلقة بأشغال الحكومة إلا إذا كانت هذه الورقة قد نشرت وأذيعت ، أو إذا أذنت له الإدارة المختصة بالإفشاء .

كذلك رجال العدل (الحقانية) من قضاة أو مأمورى الضبطية القضائية إذا علموا أموراً مرتبطة بفعل يستوجب عقوبة قانونية فلا يجبرون على أن يبوحوا بمصدر علمهم بهذا الشيء .

والخلاصة أنه يجب على المحامين والوكلاء ، والأطباء ، والقوابل ، والصيادلة والموظفين ، أن يحافظوا على الأسرار التى يعاملونها بسبب مهنتهم ولا يجعلونها موضوع أحاديثهم لدى الغير كما يفعل الكثير منهم ، فهذا واجب قانونى وأدبى واجتماعى لا يعادله واجب .

المحرمات المنهية عنها شرعا

الصادرة عن القلب والأذن والعين واللسان

هذه المحرمات هي : سوء الظن بالناس ، والتجسس عليهم ، وذكرهم في غيبتهم بما يكرهونه ، والسعي بالوشاية والنميمة في حقهم لإفساد مقاصدهم ، وهي مذكورة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) « ١٢ الحجرات » .

وفي قوله تعالى : (وَلَا تُطِيعُوا كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ، هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنِيمٍ ؛ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) « ن ١٠ ، ١١ ، ١٢ » .
ولتكنم على كل منها :

١ - سوء الظن

يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) .

المعنى : يا أيها الذين آمنوا تباعدوا عن كثير من الظن ، وهو مجرد التهمة التي لا سبب لها ، ولا دليل عليها ، كأن تتهم غيرك بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يثبت ذلك ؛ لأن بعض الظن يكون إثمًا عرماً فليجتنب

الكثير منه احتياطاً ، لأنه يعد كذباً وافتراءً كما قال صلى الله عليه وسلم :
« إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » .

ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منهم التستر
والصلاح والأمانة .

وأما من يقترف المعاصي ، والمجاهرة بالخبائث والمنكرات ، ويسلك
مسالك التهم والريبة ، كالدخول والخروج في حانات الخمر ، وصحبة الغواني
الفاجرات ، وفاسدى الأخلاق ، فلا يحرم سوء الظن به في نحو ما يظهر
منه فقط ، كما جاء في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَلَكَ
مَسَالِكَ التُّهْمِ اتُّهِمَ وَلَا أُجْرَ لَهُ » .

٢ - التجسس

التجسس ثمرة من سوء الظن ، وسوء الظن يخلق في قلب الإنسان الشرور ،
ويبعث الأحقاد والضغائن .

قال الغزالي : التجسس ألا يترك عباد الله تحت ستر الله ، فيتوصل إلى
الاطلاع وهتك الستر ، حتى ينكشف له ما كان مستوراً منه .

ويقول الله تعالى : (وَلَا تَجَسَّسُوا) أى لا تبحثوا عن عورات الناس
وعيوبهم ، ولا تستكشفوا عما ستروه ، فإن ذلك فضيحة لهم ، وتعرضاً لما
لا يعنى ولا يفيد . ولقد أنكر الشرع ذلك ، وحرمه ونهى عنه .

وهب أن ذلك الباحث اطلع على جميع عورات أخيه ومعاييه ، فأى فائدة

تعود عليه من ذلك سوى أنه كالذباب يتتبع القاذورات ، والمواضع الفاسدة من الجسد وغيره .

وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك : « لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » .

ولقد روى أن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه : تسلق دار رجل فرآه على حالة منكرة مكروهة ، فأنكر الرجل عليه ذلك وقال له : يا أمير المؤمنين إن كنت عصيت الله في واحدة ، فقد عصيت الله في ثلاث : ١ - تجسست على وقال تعالى : (وَلَا تَجَسَّسُوا) .

٢ - وتسورت من السطح وقال تعالى : (وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) .

٣ - ماسمت وقال تعالى : (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) .

انظروا - رحمكم الله - إلى تلك الديعراطية في الاسلام أن يحاج عاص ولى أمره أمير المؤمنين ويقرعه بالدليل القرآنى ، فيتركه عمر رضى الله عنه على شريطة توبته لله عز وجل .

ثم شاور الصحابة في أمره رضى الله عنهم فأشار على رضى الله عنه أن إقامة الحد بعد لين ، فلا يكفى فيه واحد .

يا عجباً ! الإمام والحاكم المطلق ونافذ الأمر يخطب على المنبر ويسأل المسلمين . لقد شاهد الإمام بنفسه منكراً ، هل يقيم الحد ؟ فقرر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المسألة الفقهية .

« من أغلق باب داره ، وتستر بحيطانه ، فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه ؛ وكل من ستر معصية في داره ، وأغلق بابَه لا يجوز أن يتجسس عليه » .
وقد نهى الله تعالى عن التجسس وحرّمه ؛ لأنّ نتيجته التباغض والتحاسد والتدابير كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة :
« وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وليس من الدين تتبع الزلات وإذاعتها ، أو العورات وإشاعتها ، كما قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) « النور ١٩ »

والجاسوس هو الذي يبحث عن الأخبار ويتسمعها من وراء ستار ، ويذيعها إلى الحكام وغيرهم .

ومذيعو الأخبار باللسان يعاقبهم الله في الدنيا بحمد القذف ، وفي الآخرة بالنار ، لأن الله يحب الستر على عباده كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

التجسس وعقابه القانوني

والقانون يعاقب على التجسس ونقل الأخبار للعدو بقصد الخيانة والغدر بالإعدام .

جاء بالمادة ٧١ من قانون العقوبات .

« كل من ألقى الدسائس لدولة أجنبية أو لأحد مأموريها أو تخابر معها أو معه بقصد إيقاع العداوة بينها وبين الحكومة ، أو بقصد تحريضها على محاربتها ، أو تمكينها من الوسائل الموصلة لذلك يعاقب بالإعدام ، ولو لم ينشأ عن فعله محاربة .

وبالأشغال الشاقة على من يخفي عنده أحد الجواسيس كما جاء بالمادة

٧٦ وهي :

« كل من أخفى عنده أحداً من الجواسيس أو العساكر المرسلين من طرف العدو للكشف والريادة ، وهو يعرفهم بهذه الصفة ، أو حمل غيره على إخفاء من ذكر يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة » .

هذا ، ويباح التجسس إذا كان القصد منه الوصول إلى معرفة أخبار اللصوص والقتلة وأما كنههم ، والمديرين لعصابات السرقة ، لأخذ الحيلة ضدّهم والقبض عليهم واعتقالهم ، ومنعهم من ارتكاب جرائمهم . ولهذا تعنى الحكومات بتعيين مخبرين وظيفتهم التجسس والبحث عن المجرمين للقبض عليهم قبل وقوع الجريمة أو بعدّها حفظاً لأرواح العباد وأموالهم ، واستتباباً للأمن العام ، وقطعاً للفساد والمفسدين .

المادة ٧٢ — وكذلك يعاقب بالإعدام كل من استعمل دسائس أو تخابر

مع العدو بقصد تسهيل دخوله في أراضى الحكومة ، أو تسليمه مدناً أو حصوناً ، أو محطات عسكرية ، أو موانئ أو مخازن ، أو ترسانات أو سفناً

مما هو مملوك لها ، أو بقصد إمداده بعساكر أو نقود أو مؤونات ، أو أسلحة أو ذخائر ، أو تسهيل تقدم سير العدو إلى أرضها ، أو ازدياد قوة عساكره على عساكر الحكومة ، سواء كل ذلك بتوهين صداقة عساكرها لحاكمهم ولوطنهم ، أو بأي وسيلة أخرى .

المادة ٧٣ - إذا كانت المراسلة مع بعض رعايا دولة معادية للحكومة لم يقصد منها ارتكاب جنائية من الجنايات المذكورة بالمادة السابقة إلا أنه نشأ عنها وقوف العدو على أخبار مضرّة ياحدى حالى الحكومة السياسية أو العسكرية ، أو بحال معاهديها يعاقب فاعلها بالسجن .

المادة ٧٤ - يعاقب بالاعدام كل من كان من أرباب الوظائف العمومية أو من مأمورى الحكومة أو غيرهما ، أودع إليه سر مخبرة ، أو إرسالية عسكرية من عساكر الحكومة ، أو علم ذلك بطريقة رسمية ، أو بسبب وظيفته وأفشاه بقصد الخيانة مباشرة ، أو بواسطة إلى مأمور دولة أجنبية أو معادية للحكومة بدون أن يؤذن له بذلك .

المادة ٧٥ - وكذلك يعاقب بالاعدام كل صاحب وظيفة أو مأمور من مأمورى الحكومة كلف بمقتضى وظيفته بحفظ رسومات الاستحكامات أو الترسانات أو الموانى ، فسلم جميع تلك الرسومات أو أحدها للعدو أو لمأموريه .

وأما إذا سلمها بدون إذن الحكومة إلى مأمورى دولة أجنبية معاهدة للحكومة أو ملتزمة الحيادة فيعاقب بالسجن .

المادة ٧٦ - كل من أخفى عنده أحداً من الجواسيس أو العساكر المرسلين من طرف العدو للكشف والريادة ، وهو يعرفهم بهذه الصفة ، أو حمل غيره على إخفاء من ذكر يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة .

٣ - الغيبة وتحريمها شرعاً

الغيبة : هي ذكر الإنسان غيره بما يكره ، سواء كان في دينه أو بدنه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو عرضه أو غير ذلك مما يتعلق به .

وهي خيانة وهتك سر يحدثان عن حسد وغدر ، وهي من الخصال الذميمة التي تدل على لؤم الطبع وسوء الخلق .

وقد نهى الله تعالى عنها بقوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) «١٢ الحجرات»

وهذه الآية الكريمة تدل على بشاعة الغيبة ، وأنها من الأعمال السيئة

الواجب اجتنابها ، ومعناها : أن الله تعالى يقول للمؤمنين : يجب أحذكم - أيها القوم - أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتاً ، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرم ذلك عليكم ، وهو (أكل الميتة) ، فكذلك لا تحبون أن تقتابوه في حياته ، فاكرهوا غيبته حياءً كما كرهتم لحمه ميتاً ، فإن الله حرم عليكم ذلك . ولولم يكن في الغيبة من القبح إلا ما شبهها الله بأكل لحم الإنسان الميت

لكفى' في قبجها ، ولو لم يكن فيها بعد بيان ما يترتب عليها من كراهة الخالق والخلق لكفى' في ذمها ، ولا شك فإنها تنبئ عن قلة الدين .

ولا يخلو حال المغتاب من أحد أمرين : إما أن يكون صادقاً ، وإما أن يكون كاذباً في خبره ، فإن كان كاذباً فما أفضع ذنبه ، وإن كان صادقاً فقد سعى لأخيه في فضيحتته وهتك سره ، وعلى كلا الحالين فقد أساء إلى نفسه وإلى أخيه المؤمن وإلى السامعين لقوله .

وقد أوعد الله المغتاب بالهلاك فقال تعالى : (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) والهمز : الغيبة بالاشارة يداً أو لساناً ، واللمز : التكلم بالعيب . فالها من واللامز المغتاب المظهر لعيوب غيره .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ » أي ظلمته .

وقال عليه الصلاة والسلام : لما عرج بي ربي عز وجل (في ليلة الاسراء) مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم : أي المغتابون .

وقيل : إن امرأة دخلت على السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أي أنها قصيرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اغتبت بها .

وعن أبي هريرة قال : أن رجلاً قام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا في قيامه عجزاً فقالوا : يا رسول الله ما أعجز فلاناً ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلتم لحم أخاكم واغتبتموه .

ولقد مرَّ عمرو بن العاص على جيفة ملقاة ، فقال لأصحابه : والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يمر به خير له من أن يأكل لحم أخيه ميتاً .

وكما أنه يحرم على المفتاب ذكر الغيبة ، كذلك يحرم على السامع استماعها . فالواجب على من يحضر إنساناً يغتاب آخر أن ينهأه عن ذلك إن لم يخف منه ضرراً ، فإن خافه وجب عليه مغادرة المجلس إذا أمكن ، وإلا فلينكر فعله بقلبه .

ولا تباح الغيبة إلا في ست مواضع :

- (١) في التظلم من ظالم لمن له قدرة على إنصافك .
 - (٢) الاستعانة على تغيير منكر ورد معصية .
 - (٣) التحذير من شر خشية الوقوع فيه .
 - (٤) التعريف للألقاب الأصلية كالأعرج وما شاكله .
 - (٥) المشاورة في مصاهرة ، أو عقد شركة ، أو معاملة ، فتذكر حقيقة ما تعرف دون زيادة أو نقص .
 - (٦) ذكر كرك الفاسق بما فيه لعله ينتهي عنه ولذا قيل : لا غيبة في فاسق .
- وقال الحسن البصري رضي الله عنه : لا غيبة في ثلاثة : فاسق مجاهر ، وإمام جائر ، وصاحب بدعة .

أحاديث أخرى في الغيبة

(١) وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فارتفعت ريح منتنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ » .
« رواه أحمد وغيره »

(٢) وفي حديث آخر عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزَّنا قِيلَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ يَزْنِي ثُمَّ يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ » ، أى حتى يعفو عنه المغتاب في حقه .

الله أكبر ، الوقوع في جريمة الغيبة أشد وقعاً عند الله سبحانه وتعالى من فاحشة الزنا ، لأن حق المسلم مبنى على رضاه وهو شحيح ، وحق الله مبنى على المسامحة والكرم .

(٣) وعن أبي بكر رضى الله عنه قال : « بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي ، وَرَجُلٌ عَنْ يَسَارِهِ . فَإِذَا نَحْنُ بِقَبْرَيْنِ أَمَامَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمَا لَيَعَذَّبَانِ ،

وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ بَلَىٰ فَأَيْسُرُكُمْ يَأْتِينِي بَجَرِيدَةٍ ؟ فَاسْتَبَقْنَا فَسَبَقْتُهُ ،
فَأَتَيْتُهُ بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا نِصْفَيْنِ ، فَأَلْقَىٰ عَلَىٰ ذَا الْقَبْرِ قِطْعَةً وَعَلَىٰ ذَا الْقَبْرِ
قِطْعَةً . قَالَ : إِنَّهُ يَهْوَنُ عَلَيْهِمَا مَا كَانَا رَطْبَتَيْنِ وَمَا يُعَذِّبَانِ إِلَّا فِي الْغَيْبَةِ
وَالْبَوَلِ . « رواه أحمد وغيره » .

المعنى : أى أنهما يعذبان فى أمر كبير يعاقب الله عليه ، وقد عاقبهما
فى القبر بعد موتهما . فعاقب الأول لأنه كان يفتاب الناس ويقع فى أعراضهم ،
وعاقب الثانى لأنه كان لا يستبرى من بوله ، وأن هذا العمل كان يعذبه صغيراً
لا يأبهان به فى حياتهما ، معتقدين أن الله يسمع ويصفح ، ويعفو عنهما ،
ولكن الله تعالى حرم الغيبة ، وجعل من شروط صحة الصلاة الطهارة ،
والنقاء من النجاسة .

(٤) وعن يعلى بن سيابة رضى الله عنه ، أنه عهد النبى صلى الله عليه وسلم ،
وأتى على قبر يعذب صاحبه فقال : « إِنَّ هَذَا كَانَ يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ
(أى يفتاب الناس فى حياته) ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ فَوَضَعَهَا عَلَىٰ قَبْرِهِ .
وَقَالَ : لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مَا دَامَتْ هَذِهِ رَطْبَةً » « رواه أحمد » .

وبشاعة ذلك كله ، واستنكار أمره ، ومبلغ ضرره ، فى إيقاد نارالفتن ،
وتقطيع روابط الألفة أمر معلوم ، لا يحتاج إلى بيان ؛ وقد ذكرنا
فى كتابنا تقويم الأخلاق الجزء الثانى ، من الأقوال والأمثال
ما فيه الكفاية .

تحریم سماع الغيبة

كما أنه يحرم على المختاب ذكر الغيبة ، كذلك يحرم على السامع استماعها .

فالواجب على كل من يحضر شخصاً يغتاب آخر ، أن ينهأ عن ذلك ، إن لم يخف منه ضرراً ، فإن خاف وجب عليه مغادرة المجلس إذا أمكن ، وإلا فليذكر فعله بقلبه ، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » .

نفايق بأهل الفضل والأدب ، أن لا يلقوا بأنفسهم في تيار الغيبة مع الذين يغتابون الناس ، بل لتكن فيهم شجاعة أدبية يقفون بها موقف الحق والاعتدال ، بأن يكفوا المختاب عن الغيبة ، أو يقوموا من المجلس .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لِيُرْذَكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ » أى إذا أردت الطعن فى الناس ، ففكر أولاً فى نفسك ، تجدد فيها عيوباً ، ربما كانت أبشع وأسوأ ، مما تذكر عنهم ، وإذا ذاك تنزجرتكف عن الغيبة والوقعة فيهم ، كما قال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

إذارمت أن تحيا سليماً من الردى وذنبك مغفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوياً فدعها وقل : يا عين للناس أعين

وهذه الطريقة من أنجح أدوية داء الغيبة لمن وفقه الله لاستعمالها .
ومن أقبح أنواع الغيبة هجو الناس ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن
هذا النوع خاصة فقال :

« أَرُبِّي الرَّبَّاءَ شَتْمُ الْأَعْرَاضِ ، وَأَشَدُّ الشَّتَائِمِ الْهَجَاءُ ، وَالرَّأْوِيَةُ
أَحَدُ الشَّتَائِمِ » .

وجملة القول : أن الغيبة خصلة ذميمة ، هي خيانة ، وهتك ستر ، وقد
حرمها الشرع ، وحظرها الإسلام ، لأن فيها خطأ من أقدار الناس ،
والمغتاب لا يستحق سوى احتقار كل شريف النفس .

فنهش الأعراض ، وثاب النفوس ، وما إلى ذلك ، تأباه روح العدالة
والإنسانية ، وتحتقره الآداب الإسلامية ، وتعهده من سموم الأخلاق الدنيئة ،
وأقدار النفوس الشريرة .

العقاب القانوني

وتنتهى الحال بالمغتاب إلى أن يعيش ذليلاً محتقراً .
ووراء ذلك كله القانون العادل الذى يشدد العقاب على القذف والطعن ،
وثاب الأعراض ، فقد جاء فى قانون العقوبات القديم فى باب القذف
والسب ما يأتى :

المادة ٢٦١ — يعد قاذفاً كل من أسند لغيره بواسطة إحدى الطرق
المبينة بالمادة ١٤٨ من هذا القانون.

وهي : نشر مقالات ، أو صياح ، أو تهديد في محل ، أو محفل عمومي ، أو بكتابة ، أو مطبوعات ، أو إعلانات ملصقة على الحيطان ، أو غير ملصقة ، ومعرضة لنظر العامة ، أموراً لو كانت صادقةً ، لأوجبت عقاب من أسندت إليه بالعقوبات المقررة لذلك قانوناً ، أو أوجبت احتقاره عند أهل وطنه الخ .

المادة ٢٦٢ - يعاقب على القذف بالحبس سنة ، أو بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً ، إذا كان ما قذف به جنائية أو جنحة . وأما في الأحوال الآخر فلا يزيد الحبس عن ستة شهور ، ولا الغرامة عن ثلاثين جنيهاً مصرياً .

المادة ٢٦٣ - لا يحكم بهذا العقاب على من أخبر بالصدق ، وعدم سوء القصد ، المحكام القضائيين أو الإداريين بأمر مستوجب لعقوبة فاعله .

المادة ٢٦٤ - وأما من أخبر بأمر كاذب ، مع سوء القصد ، فيستحق العقوبة ، ولو لم يحصل منه إشاعة ، غير الأخبار المذكورة . ولم تقم دعوى بما أخبر به .

وقد يقصد المغتاب إظهار مهارته في المجالس بمعرفة أخبار الناس ، ثم لا يحنى إلا احتقار من يسمعون .

والواجب أن يشتغل بعيوبه قبل عيوب الناس ، وأن يبدأ بمداواة نفسه بدلاً من الاجتهاد في ذم غيره ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ امرءاً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى حِفْظِ اللِّسَانِ ، طَوْبِي لِمَنْ شَفَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ » .

والغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

ولو علم المغتاب الذي يأنس بإظهار معايب أخيه ، ويُسر بكشف عوراتهِ ، وانتهاك عرضه ، أنه تعطى حسناته لمن اغتابه ، ويتحمل عن سيئاته لبكى كثيراً ، وضحك قليلاً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَسْتَحْلِلْهَا مِنْهُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَرِيدَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ »

« من حديث أبي هريرة »

والخلاصة : ما فشت الغيبة في قوم ، إلا أسرع إليهم الفساد والدمار ، فتناfert قلوبهم ، وتفرقت كلمتهم ، وكشفوا لعدوهم عن مواضع الضعف فيهم ، فأصاب مقاتلهم من حيث لا يشعرون .

كفارة الغيبة

(أو عقابها الشرعى)

ذكر الفزالي رحمه الله في كتاب إحياء علوم الدين : أن الواجب على المغتاب أن يندم ، ويتوب ويتأسف على ما فعله ، ليخرج به من حق الله سبحانه ، ثم يستحل ممن اغتابه ليحله ، فيخرج من مظلمته .

وينبغي أن يستحلّه ، وهو حزين متأسف ، نادم على فعله ، إذ المرأى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ، وفي الباطن لا يكون نادماً ، فيكون قد قارف معصيةً أخرى .

وقال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ، وربما استدل على ذلك بما روى أنس بن مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَفَّارَةٌ مِّنْ اغْتَبَتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ » .

وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك ، أن تثنى عليه ، وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح ، عن التوبة من الغيبة ؟ قال : أن تمشى إلى صاحبك فتقول له : كذبتُ فيما قلتُ ، وظلمتك وأساءت ، فإن شئت أخذت بحقك ، وإن شئت عفوت ، وهذا هو الأصح .

وقول القائل : العرض لا عوض له ، فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال ، كلام ضعيف ، إذ قد وجب في العرض حد القذف ، وثبتت المطالبة به ، بل في الحديث الصحيح ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عَرَضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَسْتَحْلِلْهَا مِنْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِلَّا نَمَّا يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَتْ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فزِيدَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ » من حديث أبي هريرة السابق ذكره .

وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى : إنها طويلة الذيل :
قد اغتبتها فاستحلها .

فإذن لابد من الاستحلال (أى طلب العفو وعدم المؤاخذة) إن قدر
عليه ، فإن كان غائباً أو ميتاً ، فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ، ويكثر
من الحسنات .

فإن قلت : هل التحليل واجب ؟ فأقول : لا ؛ لأنه تبرع والتبرع
فضل ، وليس بواجب ، ولكنه مستحسن ، وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء
عليه ، والتودد إليه ، ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه ، فإن لم يطب قلبه كان
اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له ، يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة ، وكان
بعض السلف لا يحلل .

قال سعيد بن المسيب : لا أحلل من ظمئى .
وقال ابن سيرين : إني لم أحرمها عليه ، فأحلها له ، إن الله حرم الغيبة
عليه ، وما كنت لأحل ما حرم الله أبداً .
فإن قلت : فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : ينبغي أن يستحلها ،
وتحليل ما حرم الله تعالى غير ممكن .

فنقول : المراد به العفو عن المظامة ، لأن ينقلب الحرام حلالاً .
وما قال ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة ، فإنه لا يجوز له أن
يحلل لغيره الغيبة . وعلى الجملة فالعفو أفضل .

قال الحسن : إذا جئت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا
ليقيم من كان له أجر على الله ؟ فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا .

وقد قال الله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا الْعَفْوَ ؟ قال : إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ
حَرَمَكَ » .

وروى عن الحسن : أن رجلاً قال له : إن فلاناً قد اغتابك ، فبعث إليه
رطباً على طبق ، وقال : قد بلغني أنك أهديت إلى من حسنتك ، فأردت أن
أكفئك عليها ، فاعذرنى فإنى لا أقدر أن أكفئك على التمام .

ج - النميمة أو الوشاية

النميمة هي السمي بين الناس بالفساد ، ونقل الحديث إليهم على سبيل الدس لايقاع المداوة والبغضاء ، والنفرة والشحناء بينهم ، وإلقاء بذور الشقاق والخصومات ، وإيقار الصدور ، وتوليد الشرور ، سواء أكان ذلك بين شريكين متفقين ، أو خيلين متصاحبين ، أو أخوين متحابين .

وهي فساد محض ، ولؤم بحث ، لأنها تفرق بين المرء وزوجه ، والوالد وبنيه ، والأخ وأخيه .

فكم أفضت إلى تخريب بيوت ، وتفريق جموع ؟ فهي عدوة للناس والإنسانية ، عدوة للمحبة والسلام ، عدوة للوفاق والوئام .

وهي من الخصال الذميمة ، والصفات الحقيرة ، لأن صاحبها ذنى ، منحط النفس ، ينهى عن ضعته ، ويدل على خسته ولؤمه ، وأنه شغوف بهتك الأستار ، وإفشاء الأسرار ، وجلب الأضرار .

وربما أدت النميمة إلى سفك الدماء ، وقتل الأبرياء ، وانتهاك المحارم ، وزيادة المآثم ، وجذب المغارم ، واستباحة الأموال ، وإذلال الرجال .

فالتمام مكروه ممقوت ، يتحاشاه جميع الناس ، ويتعدون عنه غاية الابتعاد ، حذراً من أضراره ، وسيء أطواره .

وهو كالحية يسمى بين الناس بالوشايات ، لتفريق الجماعات ، وقطع الصلات ، لأن دأبه هتك حرمة الأسرار ، وكشف الستر عن معائب البشر .

وباليتنه يقتصر على نشر معايب حقيقية ، وتقل أمور خفية ، بل يختلق من عندياته ما يريد اختلاقه ، فينسب إلى الناس ما لم يقولوه ، ويسند إليهم ما لم يفعلوه ، ويحول كلامهم لغير ما يقصدوه ، فهو يستوجب لذلك لعنة الله والناس له أجمعين ، ويعاقب بالطرد والجفاء من كل إخوانه ، ومن رحمة الله .

ولو فرض ، وكان النمام صادقاً ، فهو خائن فيما أوّمن عليه من السر ، وإن كان كاذباً فهو خائن للمروعة والإنسانية .

والنمام لا يعرف للشهامة سبيلاً ، ولا للمروعة طريقاً . وقد قيل : إن النمام والشيطان سواء .

والنمام عضو ضار في الهيئة الاجتماعية يجب بتره ، خوفاً من سريان ضرره إلى سائر أعضاء المجتمع الإنساني .

ولنذكر الآن الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، التي وردت في النيمة والنمام ، وأقوال العلماء والأدباء :

١ — الآيات الكريمة التي تدل على وخامة عاقبة النيمة

(١) قال تعالى : (وَلَا تَطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُغْتَدٍّ أَثِيمٍ ، عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) (١٠، ١١، ١٢، ١٣ من سورة القلم)
المعنى : لا تطيع كل من يحلف كثيراً (ميهين) أى حقير (هماز) أى كثير الهمز ، وهو الطعن (مشاء بنميم) أى كثير المشى والسعى بالنيمة (عتل) أى غليظ الطبع جاف القول (زنيم) أى دعى منسوب لغير قومه .

قال عبد الله بن المبارك : الزنيم : ولد الزنا الذي لا يكتُم الحديث ، وأشار به إلى أن كل من لم يكتُم الحديث ، ومشى بالنميمة ، دل على أنه ولد زنا ، استنباطاً من قوله عز وجل : (عتَلَّ بِمَدِّ ذَٰلِكَ زَنِيمٌ) والزنيم هو الدعي المنسوب لغير قومه .

(٢) وقال تعالى : (وَيَلْبِسُ كُلُّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً) الهمزة .

قيل : الهمزة . النمام ، أى وعد الله النمام بالهلاك . وكذا الذى يلامز الناس ، أى كثير الطعن فى أعراض الناس .

(٣) وقال تعالى : (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) « ٣٠ ، ٤ ، ٥ من سورة المسد » .

وامراته حمالة الحطب . قيل : إنها كانت نمامة حاملة للحديث .

(٤) وقال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَهُمْ فِي غِيَابِ عَنِّمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئٌ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) « ١٠ من سورة التحريم » .

قيل : كانت امرأة لوط كانت تخبر بالضيغان ، وامرأة نوح تخبر أنه مجنون

٢ — الأحاديث الواردة فى النهى عن النميمة

(١) عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ » ، وفى رواية قَتَّاتٌ « رواه البخارى ومسلم .

(٢) وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ صاحبيهما بقبرين يعذبان فقال : « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ » ،

بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ » رواه البخاري ، وسبق ذكره في الغيبة .

(٣) وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « النَّمِيمَةُ وَالشَّتِيمَةُ وَالْحَمِيَّةُ فِي النَّارِ » .
أى النميمة والشتيمة ، وهى السباب ، والأذى باللسان ، وقبح الألفاظ ، والحمية : هى الأنفة فى باطل ، واستعمال عزة الجانب فى المعاصى والظلم ، وهتك أعراض الناس .

(٤) وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، الْمُوْطَأُونَ أَكْنَائًا ، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ ، الْمُتَمَسِّسُونَ لِلْبُرْآءِ الْعَثَرَاتِ .

(٥) وعن عبد الرحمن بن غنم : يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم : خيارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ لِلْبُرْآءِ الْعَنْتُ . (رواه أحمد)

ومعنى إذا رءوا ذكر الله ، أى إذا رآهم الناس اعترفوا بوجود الله ، فأثنوا عليه .

ومعنى : الباغون للبرآء العنت : أى الطالبون العيوب القبيحة للشرفاء الأبرياء ، المنزهين عن الفواحش .
أى صفات الأشرار ثلاثة :

١ - السعى بالفساد ، وحب الشقاق ، والصيد في الماء العكر ، وإيقاد نار العداوة .

٢ - إزالة كل مودة ، وإماتة كل محبة ، بالتفريق والخصام والتنافر ، بين الأخوين المتصافيين .

٣ - كيل التهم جزافاً للأبرياء ، وإرخاء العنان للسب والشتم ، وذكر القبايح ، والهنات للطاهرين والطاهرات .

(٦) وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : الْمَشَاءُونَ بِالْغِيْمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَيْبَ » من حديث أبي مالك الأشعرى .

(٧) وقال أبو ذر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لَيْشِينَهُ بِهَا بَغَيْرُ حَقٍّ شَانَهُ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
عن أبي الدنيا

(٨) وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرِيٌّ لَيْشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذَيِّبَهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ » .
ويستدل من هذه الأحاديث أن النمام :
أولاً : يحرم من نعيم الجنة .

ثانياً : يعذب في قبره ويشابه الذي يتساهل في الاستبراء من البول ولم يستكمل ، فقد يخرج منه ما ينقض وضوءه ، وبذا لا تقبل صلاته ، فكأنه

تاركها ، وترك الصلاة كبيرة . وقيل : إن ثلث عذاب القبر من النعمة
ثالثاً : أن النعمة تدخل صاحبها النار .

رابعاً : تشن غارة العداوة ، فيحمي وطيسها بين المتآلفين .
خامساً : تؤذي وتضر وتؤلم ، وتجلب الخصام والنفور والشبور .

٣ - أقوال العلماء والأدباء في النعمة

أما أقوال العلماء والأدباء في النعمة فهي كثيرة . وقد ذكرناها في الجزء
الثاني من كتابنا تقويم الأخلاق فليرجع إليها .

النعمة وما يجب في ردها كما جاء في إحياء علوم الدين

اعلم أن اسم النعمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى
القول فيه كما تقول : فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا . وليست النعمة
مختصة به ، بل حدها كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه ،
أو المنقول إليه ، أو كرهه ثالث . وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة
أو بالرمز ، أو بالإيماء . وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال .
وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه ، أو لم يكن ، بل حقيقة النعمة
إفشاء السر ، وهتك الستر ، عما يكره كشفه ، بل كل ما رآه الإنسان من
أحوال الناس مما يكره .

فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لسلم أو دفع معصية ، كما
إذا رأى من يغتال مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، فأما

إذا رآه يخفى لنفسه ما لا فذكركه فهو نعمة وإفشاء للسر ، فإن كان ما ينم به نقصاً وعبثاً في المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة .

فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكى عنه ، أو إظهار الحب للمحكى له ، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل .

وكل من حملت إليه النميمة وقيل له : إن فلاناً قال فيك كذا ، أو فعل في حقك كذا ، أو هو يدبر في إفساد أمرك ، أو في ممالأة عدوك ، أو تقبيح حالك ، أو ما يجري مجراه . فعلية ستة أمور :

الأول — أن لا يصدقه ، لأن النمام فاسق ، وهو مردود الشهادة .
قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)
الثاني — أن ينهأ عن ذلك وينصح له ، ويقبح عليه فعله . قال تعالى :
(وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ)

الثالث — أن يبغضه في الله تعالى فإنه يبغض عند الله تعالى ، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

الرابع — أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى : (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) وسبق الكلام عليه .

الخامس — أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقيق اتباعاً لقوله تعالى : (وَلَا تَجَسَّسُوا) وسبق الكلام عليه .

السادس — أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ، ولا تحكى بنميمة

فتقول : فلان قد حكي لي كذا وكذا ، فتكون به نماماً مغتاباً ، وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت .

وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أنه دخل عليه رجل ، فذكر له عن رجل شيئاً . فقال له عمر :

إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) «٦ الحجرات» وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) «١١ ن» وإن شئت عفونا عنك . فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبداً .

وقال لقمان لابنه : يا بني أوصيك بخلال ، إن تمسكت بهن لم تزل سيداً : أبسط خلقك للقريب والبعيد ، وأمسك جهلك عن الكريم والليليم ، واحفظ إخوانك ، وصل أقاربك ، وآمنهم من قبول قول ساع ، أو سماع باغ ، يريد فسادك ، ويروم خداعك ، وليكن إخوانك إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

وفي الأمثال : من نقل إليك ، فقد نقل عنك ، ومن أطاع الواشى ضيع الصديق .

والأمثال والحكايات كثيرة في ذكر النيمة والنمامين فنكتفي بما ذكر . والنمام لا يفتقر عن التقاط أخبار الناس ، واستكشاف أسرارهم ، واستقصاء أعمالهم ، لينشرها بين الغير ، مضيفاً إليها ما عليه عليه سوء خلقه ، ولؤم طبعه ، وخسة نفسه ، وسفالة قصده .

وياليتهم يقتصر على نشر معائب حقيقية ، ونقل أمور واقعية ، بل يختلف من عندياته ما يريد اختلاقه ، فينسب إلى الناس ما لم يقولوه ، ويسند إليهم ما لم يفعلوه ، ويؤوّل كلامهم بما لم يقصدوه ، فهو يستوجب بذلك لعنة الله والناس له ، ويعاقب بالطرد والجفاء من كل معاونة ، ومن كل رحمة ، ولو فرض وكان النمام صادقاً فهو خائن فيما أوّتمن عليه ، وإن كان كاذباً فهو خائن للمروءة .

والنمام لا يعرف للشهامة سبيلاً ، ولا للمروءة طريقاً ، وقيل : إن النمام والشيطان سواء .

والنمام عضو ضار في الهيئة الاجتماعية يجب بتره خوف سريان ضرره إلى سائر أعضاء المجتمع الإنساني .

فالنمام إذن عدو للإنسان والإنسانية ، وقد قيل :

احذروا أعداء العقول ، ولصوص الحوادث ، وهم الواشون النمامون .
فإياك إياك أن تأخذ قوله مسلماً ، أو ترتب عليه عداً وتخاصماً ، فإنه فاسق ، وقد أمرنا الله بالتثبت في خبره ، والتحري عن صدقه . فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) « ٦ الحجرات » .

وفي هذا الكفاية ، ومن أراد المزيد فليطلع على هذا الباب في كتابنا «تقويم الأخلاق الجزء الثاني» .

حديث في النهي عن النيمة وعقابها

عن حذيفة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » . رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي

الشرح

قال الله تعالى : (وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ خَلْفٍ مَّهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) فهى سبحانه وتعالى عن طاعة الهماز الطعان ، العياب المختاب ، الذى يمشى بين الناس بالوشاية والإفساد ؛ لأنه باعث الفتن ، وزارع الإحن ، ومقطع الصلات ، ورفق الجماعات ؛ يجعل الصديقين عدوين ، والأخوين أجنبيين ، والزوجين متنافرين ، والولد حرباً لأبيه ، والأب ضد ابنه . فهو غراب بين ، ونذير شر ، وحمال حطب ، ومشعل لمب ، فكانت طاعته حراماً ، ونهيه لازماً .

فإياك أن تأخذ قوله مسلماً ، وترتب عليه عداً وتخاصماً ؛ فإنه فاسق ، وقد أمرنا الله بالتثبت فى خبره ، والتحرى عن صدقه كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) بل إن كنت مؤمناً كريماً فلا تشغل نفسك بحديث الإنماء ، ولا تضع وقتك فى تسمع أخبار السفهاء ، وظن الخير بإخوانك وأقربائك ، واتهم النمام الجهول ، بل قبح له عمله ، وبغض إليه نمّه ، وقل له : لا تفسد بينى وبين إخوانى ، ولا تبغض إلى أعوانى ، وخير لك أن تذكر ما يزيد الصلة متانةً ، وعُرا الإخاء وثاقةً ، وإن من ينقل عن غيرك إليك أحاديث سوء ينقل عنك إلى غيرك ، فلا تجعله موضعاً لثقتك ،

واجعل وشايته دبراً أذنك .

واعلم أن نقل الأنباء ، قد تكون فيه مصلحة شرعية ، ومنفعة عمومية ، كمن ينقل إلى شخص مكيدة يدبرها له الخصوم من قتل أو سرقة ، وكمن يعرف الأئمة والملوك سيرة الحكام الظالمين ، والموظفين الخائنين ، فهذا لا حرج فيه ؛ بل ذلك واجب ، حقناً للدماء والأموال ، ونصحاً للرعية والولاة ، (والدين النصيحة) .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجنة لا يدخلها قتات (نمّام) لأنها دار المتقين ، وهذا من الجرمين ، ما لم يكن له من الحسنات ما يمحو السيئات ، أو الغرض من العبارة التحذير من الفت والتنبية إلى خطر النم ، أو المراد : لا يدخلها أوّل الأمر حتى يطهر بالنار من خبث الوزر ، ثم يدخلها طاهراً طيباً .

(الأدب النبوى ص ١٥١، ١٥٢)

خطبة لفضيلة السيد محمد الببلاوى

فى التحذير من الغيبة والنميمة

الحمد لله الذى أسبل ستره على من لطف به من عباده ، ورفع درجات من اتقى الله فى خلقه ، وشغله إصلاح عيوبه عن البحث عن عيوب غيره ، وأشهد أن لا إله إلا الله العليم بما نخفى وما نعلن ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الهادى إلى طريق السلامة .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين كانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وإذا مروا باللغو مروا كراماً .

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا) .

عباد الله : إن صفات الشر ، وخصال السوء ، ما وجدت فى قوم إلا كانوا أهلاً لنضب الله وسخطه ، فاستحقوا الشقاء والذل فى الدنيا والآخرة . وإن أقبح الخصال ، وأشنع الخلال : الغيبة والنميمة .

وقد أوقع الناس بهما ولوعهم بما به حفظ الحياة ، فليس عجيباً أن يرسل الله عليهم عذابه فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

يستمتع المرء من أخيه الكلمة يسرها إليه ، ليفرج بها من كربته ، ويخفف بها من آلامه ، فينقلها إلى صاحبها قصد الإيقاع والتفريق بين عباد الله المؤمنين .

هذه يا عباد الله غاية الدناءة ، ومنتهى الخسة ، ألا شهامة تحمل النمام

على كتمان سر أخيه ؟ ألا مروءة تمنعه من أن ينم عليه ؟

إن النمام لا يعرف للشهامة سبيلاً ، ولا للمروءة طريقاً ، إن النمام والشيطان سواء ، إن من ينم على الناس ليبدل الود جفاءً ، والمحبة بغضاً ، والصفو كدراً ، ويفتح أبواب الشرور والجنايات بين الناس من أكبر المصائب ، وأشد الرزايا على هذا المجتمع الإنساني ، إذا لم يتب من ذنبه ، ويستغفر من سيئته ، لا يقبله الله ، ولا ينظر إليه ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فليتب النمام من نميمته ، وليتب المغتاب من غيبته ، فإن الغيبة تأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب .

لو علم المغتاب الذي يأنس بإظهار معايب أخيه ، ويُسِرُّ بكشف عوراته ، وانتهاك حرمة ، أنه يعطى حسناته لمن اغتابه ، ويتحمل عنه من سيئاته ، لبكى كثيراً وضحك قليلاً .

يا عباد الله : إن خسران المرء حسناته ، وتحمله سيئات الغير إلى سيئاته خسران مبین ، لا تعوضه عليه الدنيا بما فيها .

يا عباد الله : ما فشت الغيبة والنميمة في قوم إلا أسرع إليهم الفساد والدمار ، فتنافرت قلوبهم ، وتفرقت كلمتهم ، وكشفوا لعدوهم عن مواضع الضعف فيهم ، فأصاب مقاتلهم من حيث لا يشعرون .

يا عباد الله : اتقوا الله في إخوانكم ، ولا تبحثوا عن معايبهم وعوراتهم ، فلا أحد منا إلا وقد شمله العيب من رأسه إلى قدمه ، فليشتغل كل منا بإصلاح عيوب نفسه ، وليتق الله في إخوانه ، وليكف عن سواه ، وليقدم ما ينفعه

(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).
« ٣٠ آل عمران »

الحديث : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَاتِهِ ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَاتِهِ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ يَتِّهِ » .

السخرية والاستهزاء بالناس

من سوء المعاملة ، وقلة الحياء والأدب ، السخرية والاستهزاء بالناس ،
ولقد نهى الله عن ذلك بقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ ، عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأُنْجَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (١١ الحجرات)

ينهى الله تعالى عن السخرية بالناس ، والسخرية معناها : الاستهانة بالمرء واحتقاره ، والتنبيه على عيوبه ونقائصه ، بحالة تشف عن الاستهزاء والتهمك ، وهي محرمة شرعاً .

فلا ينبغي أن يستهزئ أحد من أحد سواء كان من الرجال أم من

النساء ، لأنه ربما كان المسخور منه أعظم قدراً عند الله من الساخر ، فلا يحل
لمؤمن أن يسخر من مؤمن ، والاستخفاف به ، بمجرد أنه رآه رث الهيئة ،
أو فقيراً ، أو ذا عاهة في بدنه ، أو غير لبق في محادثته ، أو نحو ذلك ، فلعله
أخلص ضميراً ، وأتقى قلباً ممن هو على ضد صفته ، كما ثبت في الصحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَصُ النَّاسِ ،
وَيُرْوَى غَمَطُ النَّاسِ » .

والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام ؛ فإنه قد يكون
المحتقر أعظم قدراً عند الله تعالى ، وأحب إليه من الساخر منه ، المحتقر له .
ولهذا نهى الله عن ذلك بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّنْ
قَوْمٍ) الآية .

وأمرنا باحترام غيرنا ، والمحافظة على سمعته وكرامته وشعوره ، وأن
نعرف أقدار الناس ، ونكف عن أذاهم ، بأي نوع من أنواع الأذى ،
قولاً وعملاً .

وقد ضرب الله لنا مثلاً عن السخرية ، فجاء في سورة هود عن نوح عليه
السلام لما أمره الله بصنع السفينة . فقال تعالى :

(وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَ مَرْءً عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ
إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) « هود ٣٨ و ٣٩ »

ومعناها يقول الله تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مرَّ عليه

جماعة من كبراء قومه، سخر وامنه هزءاً، ويقولون له: اتحولت نجاراً بعد النبوة وتعمل السفينة في البر؟ فيقول لهم نوح: إن تسخروا منا، وتهزءوا بنا اليوم فإننا نسخر منكم، ونهزأ بكم في الآخرة، كما تسخرون منا في الدنيا. فسوف تعلمون إذا عاينتم عذاب الله من الذي كان إلى نفسه مسيئاً منا؟ وينزل به عذاب من الله يحزیه، ويقع عليه عقاب مستديم.

وقال تعالى في سورة الأنعام: (وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) «آية ١٠»
أى لقد استهزأ الكافرون من كل الأمم بالرجال الذين أرسلوا من قبلك يا محمد، فنزل بالذين سخرُوا منهم وبال استهزأهم.

وقال تعالى في سورة البقرة: (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) «آية ٢١٢»

أى زين الشيطان للكافرين الحياة الدنيا، وتراهم يسخرون، أى يهزءون بالذين آمنوا، وهم فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب.

وجاء في الأخبار: أن رجلاً طاعناً في السن تقدم لامتحان العالمية، مع طالبة أصغر منه سناً، وكان ذا لحية طويلة، ودخل غرفة الامتحان لابساً حذاءً بالياً، وبذلة رثة، ويده عكاز طويل. فاما نظر إليه الطالبة، سخرُوا منه، وضحكوا من هيئته، وظنوا أنه سيكون من الساقطين، ولبثوا منتظرين بفارغ الصبر دوره، ليروا كيف تكون إجابته؟

ولما جاء دوره وقف أمام لجنة الامتحان ، رابط الجأش ، وأخذ يجاوب على كل سؤال يوجهه إليه الممتحنون ، بكل طلاقة ومهارة ، تدل على حدة ذكائه ، وفطنته ، وتمام استعداده ومعرفته ، ففاز بذلك على المستهزئين به ، وكان أول الناجحين ، وأعلنت لجنة الامتحان ، أنه جاز الامتحان بتفوق ، وحاز الدرجة الأولى مع الشرف ، ونال شهادة العالمية ، التي يستحقها عن جدارة واستحقاق .

وليس هذا بعجيب على قدرة الله الذي وهبه العلم والمعرفة والحكمة ،
(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)
« البقرة ٢٦٩ »

فالواجب ألا ينظر الإنسان إلى صور الناس ، بل ينظر إلى أعمالهم ،
كما جاء في الحديث الشريف :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » .

ورب شخص تراه نحيف الجسم هزيلًا ، فتحسب أنه جبان ، خائر القوى ، ولكن إذا بحثت عن أمره ، لوجدته أسدًا شجاعًا ، كما قال الشاعر :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مخيف

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السخرية بالناس ، فجاء في حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » .

ومعناه : المسلم لا يؤذى الناس بلسانه ، بسباب ولا شتم ، ولا اغتيال ،

ولا نعمة ، ولا يأمر بمسكر ، ولا ينهى عن معروف ، ولا يكذب على الناس ، ولا يغرر بهم ، ولا يقول بغير علم ، ولا يحرك لسانه سخريةً بأحد ، بل لسانه حلو ، لا يصدر منه للناس إلا الخير .

وكذلك المسلم لا يؤذى الناس بيده ، فلا يقطع زرعهم ، أو يسم حيوانهم ، أو يهدم بنيانهم ، أو يغير صدورهم ، أو يضربهم ، أو يقتلهم ، أو يسلب أموالهم ، أو يكتب بيده في ثلم أعراضهم ، والحط من كرامتهم ، والتضليل لهم ، أو يعين عليهم عدوهم ، أو يحرش الظامة بهم ، بل يده شريفة نزيهة ، لا تعمل إلا الخير ، ولا تخط إلا الحق .

وقد خص النبي اللسان واليد بالسلامة من شرهما ، دون باقى الأعضاء ، لأن أكثر الإيذاء بهما ، وإن كان بغيرهما أيضاً محرماً .

فكذلك المسلم لا يؤذى الناس ببصره ، أو سمعه ، أو صوته ، أو رجله ، أو غيرها من أعضائه ، بل كله للناس سلم ، وهو لهم خير .

والسخرية إنما تحرم إذا كانت في حق من يتأذى بها ؛ أما من جعل نفسه سخريةً ؛ وربما فرح بالسخرية منه ، كما يفعل السفلة من الناس ، فإن السخرية عنده من جملة المزح ، وليس ذلك بمحرم في حقه ؛ وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به ، على أية صورة جاءت من قول ، أو فعل ، أو إشارة .

وجاء في حديث طويل عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم :

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ بِحَسَبِ

أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ » والمراد بأخوة المسلم للمسلم ، توثق العلاقة بينهما توثقاً يستدعي المحبة ، والمودة ، والرفق ، والشفقة ، والملاطفة والمؤانسة ، والتعاون في الخير ، مع صفاء القلب ، وبذل النصيحة ، وهذه الأخوة تستدعي نفى الصفات التي بعدها ، فلا ينتقص المسلم حقوق أخيه ، فلا يظلمه ، ولا يخذله إذا دعاه لنصرته في الحق ، ولا يستصغره ويحتقره ، فإن ذلك قاطع للأخوة ، باعث للعداوة . ويكفي المسلم شراً ذلك الاحتقار الذي يقطع العلاقات ، ويشير العداوات .

ولا شيء أدعى إلى الاحتقار في انتقاص أقدار الناس ، والاستهزاء بهم ، والاستخفاف ، والسخرية بهم ، والإنسان الذي لا يحترم غيره ليس جديراً بالاحترام مهما أوتي من العلم والثروة (عامل الناس كما تحب أن يعاملوك به).

٦ - النهي عن اللمز ، والتنايز بالألقاب

نهى الله عزَّ وجلَّ عن أن يعيب أحد غيره بقوله : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أى لا يعيب بعضكم بعضاً ؛ لأن الناس كنفس واحدة ، فمتى عاب الإنسان أخاه فكأنما عاب نفسه .

وهذا أدب كبير أدب الله به عباده ، وبه تكون ألفتهم واتحادهم ، وارتباط قلوبهم بحبل المودة ، ووثيق المحبة .

قال ابن عباس وغيره : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أى لا يطعن بعضكم بعضاً ونهى الله سبحانه وتعالى عن أن يذكر المرء أخاه بلقب يعيبه ؛ لأنه

يزرع في القلوب الضعيفة ، ويمكن فيها الحفيظة . قال تعالى : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) أى لاتدعوا بالألقاب ، وهى التى يسوء الشخص سماعها ، وقد سمي جلّ شأنه التنابز بالألقاب الذى هو داعية الحقد والبغض فسقاً ، فقال تعالى (بِئْسَ الْأُسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) : أى بئس الصفة ، والاسم الفسوق ، وهو التنابز بالألقاب ، كما كان أهل الجاهلية يتعايرون بالألقاب السوء ، بعد أن دخلتم في الإسلام وعقلتموه ، وصرتم مؤمنين به .

وخلاصة مجمل الآية : أن من يفعل ما نهيناه عنه ، ويقدم على معصيتنا بعد الإيمان ، فيسخر من المؤمنين ، ويأمر أخاه المؤمن ، وينزهه بالألقاب ، فهو فاسق ، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان . أى لا تفعلوا ذلك فتستحقوا إذ فعلتموه أن تسموا فساقاً .

وإنّ من لم يتب من نبز أخاه بما نهى الله عن نبيه به من الألقاب ، أو لمزه إياه ، أو سخريته منه ، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم ، فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه ، وحرمه عليهم . كما قال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) « ١١ الحجرات »

الإخلاص في المعاملة أس النجاح

يغلب على الناس المكر والدهاء ، وحب الخلبة ، والسيطرة على غيرهم : ولكن إذا علموا أن معاملة الناس بعضهم لبعض إنما هي معاملة لمولاهم ، وأنه هو الذي سيسألهم عن ذلك ، وأنهم كلهم عبيده سواسية كأسيان المشط ، لافضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى .

لو علموا ذلك وراقبوا هذه المعرفة ، ونمواها في أنفسهم ، ولاحظوها في حركاتهم وسكناتهم ، أو شك أن تصدر أعمالهم ، ومعاملاتهم بعضهم لبعض خالصة لوجه الله ، لا مكر فيها ، ولا رياء ، ولا إرادة سوء حتى يحل الإخلاص بينهم محل الخصومة ، والمعاداة الباطنة ، عند ذلك تصلح المعيشة وتطيب العشرة ، وينتفع الناس بعضهم من بعض .

وهذا بالنسبة لإخلاص الناس بعضهم مع بعض في المعاملة التي عليها مدار الحياة .

وإن من أنواع المعاملات التي لا تصلح إلا على الإخلاص : الطب ، والهندسة ، والوكالة ، وأعمال المحامين ، والوظائف ، وأرباب الخبرة في كل فن : الإجارة ، الشركات ، الأعمال الفنية ، مثل صناعة الساعات ، وصناعة الآلات بأنواعها .

والإخلاص بين الزوجين ، والإخلاص في التعليم ، والإخلاص في القيام على مصالح الأمة الداخلية والخارجية .

وبالجملة فالإخلاص هو روح الاجتماع ، إذا تم لأمة أحب بعضها بعضاً ؛ وإذا أحب بعضها بعضاً ، قويت ونهضت ، وأخذت مكاتها بين الأمم .

وقد مدح الله تعالى به سيدنا موسى قبل وصفه بالنبوة والرسالة فقال :
(وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)
« مريم ٥١ »

(وقال المرحوم سعد باشا زغالول : يعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل) .

والإخلاص شرعاً : كلمة دالة على الصفاء ، وإخلاص النية ، وتوحيد العقيدة ، وبذل الجهد في إتقان الأعمال ابتغاء ثواب الله جلّ وعلا ، لقوله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) « ه البينة »
(وَمَا أُمِرُوا) في كتابهم التوراة والإنجيل (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (حُنَفَاءَ) مستقيمين على دين إبراهيم ، ودين محمد عليهم الصلاة والسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : (الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي) .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « لَا تَهْتَمُّوا لِقَلَّةِ الْعَمَلِ ، وَاهْتَمُّوا لِلْقَبُولِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَعَاذِ بْنِ جَبَل : « أَخْلِصِ الْعَمَلَ يُجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أَوَّلُ مَنْ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ :

(١) رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى : ما صنعت فيما علمت ؟ فيقول

يا رب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى :

كذبت ، وتقول الملائكة كذبت : بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك .

(٢) ورجل آتاه الله مالاً فيقول الله تعالى : لقد أنعمت عليك فماذا

صنعت ؟ فيقول : يا رب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول

الله تعالى كذبت ، وتقول الملائكة كذبت ، بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك .

(٣) ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى : ماذا صنعت ؟

فيقول : يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قُتِلْتُ . فيقول الله تعالى : كذبت

وتقول الملائكة كذبت ، بل أردت أن يقال فلان شجاع ، ألا فقد قيل ذلك

وذكر الغزالي حادثة عابد عبد الله دهرًا طويلاً ، وبجواره شجرة

تعبد من دون الله تعالى ، فغضب العابد ، وأخذ فأسه على عاتقه ليقطع

الشجرة ، فجاءه إبليس في صورة شيخ فتصارعا ، فطرحه العابد إلى الأرض

وقعد على صدره فاسترحمه فأطلقه ، واتفق معه على دفع دينارين في كل ليلة

وقال له : لتنفق منها على نفسك وعيالك ، فيكون ذلك أنفع من قطع

الشجرة فرضى العابد ، فاستمر إبليس يعطيه كل ليلة دينارين ، ثم قطع ،

فغضب العابد ، وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس أيضاً ، وتعاركا ،

فصرعه إبليس ، وصار العابد كعصفور بين رجليه ، وقعد إبليس على صدره وأعلمه أن غضبه في أول مرة كان لله ، وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك . وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك .

ومصدق ذلك قوله تعالى : (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) (٥٠؛ الحجر) إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص .

وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول : يا نفسي أخلصي تتخلصي . « ص ٣٢٣ ج ٤ : إحياء »

قال سهل رحمه الله : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خالصة .

وقال إبراهيم بن أدهم : الإخلاص صدق النية .

وقال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات . والإخلاص

كما في حديث مسلم : « آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِيمَ » .

مصطفى عمارة

مجلة نشر الفضائل العدد ٣٠ السنة السادسة

خطبة في الإخلاص

الحمد لله الذي خلص قلوب المؤمنين لطاعته ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، هدى الناس للحق بفصاحته وحكمته ، أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله يحب المحلصين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير الصادقين ، صلى الله على سيدنا محمد وآله ومن تمسك بهديه التويم .

أما بعد : فإن العمل الواحد يختلف باختلاف الأسباب والدوافع ، فقد يكون خيراً ، وقد يكون شراً ، العمل الواحد قد يجلب لك نفعاً ، وقد يجر عليك ضرراً ؛ فالصدقة خير إن أخفيتموها وأعطيتموها لمستحق ، وهى شر إن قصدت بها التظاهر أمام الخلق .

فالله ضرب مثلاً فى كتابه الكريم لمن ينفق ماله فى سبيل الله ، ومثلاً لمن ينفق ماله رياء الناس .

العلم خير إن عملت به وعلمت الجهلاء ؛ العلم شر إن خالفته وتعاضمت به على البسطاء .

العبادة خير إن كانت خالصة لله ؛ العبادة شر إن كانت للتضليل والمباهاة .

الصلاة خير إن صحبها خشوع ونهت عن الفحشاء والمنكر ؛ الصلاة شر إن صحبها رياء وإيذاء للعباد ، ولسان قدر ، ومعاملة سيئة .

فالمسلمون يقفون صفوفاً للصلاة ؛ منهم المقبول لتقواه ؛ ومنهم المطرود لاتباع هواه وخبت نواياه . المسلمون والمنافقون يصلون ،

ويعصومون ، ويتصدقون ، ويعبدون ، ولقد كان المنافق يصلي خلف الرسول وسط صحابته يعمل كما يعملون ، فالعمل واحد ولكن يختلف الثواب بحسب النية وصدقها ، واختلاف الجزاء وفق الغاية وحسنها ، اتحد العمل ، والمميز الإخلاص .

فهو سر النجاح ، وسبب الارتقاء والفلاح ، وروح التقى والصلاح .
الإخلاص أن يكون ظاهر كباطنك ، وسرك كعلنك ، وأن تخشى الله بالغيب ، وتراقبه في انفرادك ووحدتك ، كما تراقبه في مجالسك بين معارفك .

إذا انبعث قلبك للعبادة في الخفاء ، ونشطت نفسك لمناجاة من يعلم السر ، وكانت عبادتك الخفية أحب إليك من عبادتك العلنية ، فأنت من المخلصين الفائزين .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : الرجل يقاتل شجاعةً ، والرجل يقاتل حميةً ، والرجل يقاتل رياءً ، أى ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله . هذا إخلاص العبادة .
أما الناس فلهم عليك إخلاص المعاملة .

لك بالناس روابط وصلات ، من زمالة وجوار ، وصحبة ، ونسب ، فإن لم تصدقهم في المعاشرة ، وتخلص لهم المعاملة ، تعبت وأتعبتهم ، وشقيت وأشقيتهم ، فلن توجد السعادة إلا إذا وجدت الأمانة ، والثقة ، والاطمئنان : من إخلاص القلوب ، وسلامة الصدور ، ولن يكون الشقاء إلا من خراب

الذم ، وانحطاط المهيم ، واتباع الهوى ، والتلون ، والغش ، والخداع ، والمكر الذى صار عنواناً خاصاً بهذا العصر ، ووصفاً لاصقاً قلما يخلو منه إنسان ؛ بل أصبح الغش مهارة ، والخداع لباقة ، والتلون ، والتقلب حكمة ، واللعن والدوران والكذب ، والبهتان ، حُنكةً وسياسةً ، ولن يعرفك أحد إلا لغرض ، ولن يعرض عنك إلا لما فى قلبه من مرض ؛ إن احتاج إليك لازمك ورفعك للسماء ، وإن استغنى عنك قطعك وأنزلك الحضيض .

إن كنت غنياً ، أو رئيساً ، أو حاكماً ، فأنت المحبوب المهاب المعظم ، وإن كنت فقيراً ، أو بسيطاً ، فأنت البغيض المحتقر .

تقطعت الروابط لكثرة الشر ، وتسعم الهواء بالرياء ، والتدليس داء تمكن ، ومرض استحك ، ونفوس رضعت الخُبث صغيرة ، فبرعت فيه كبيرة ، فلا تجد زعيماً مخلصاً ، ولا رئيساً صادقاً ، ولا قائداً حسن القصد طاهر النية ، ولا خلاص لنا إلا بالإخلاص ، ولا دواء إلا محبة الأهل ، والدين والوطن .

فمن أخلص العمل لله كفاه الله شر الناس . قَالَ تَعَالَى : (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) « ٢٤ يوسف » . وَقَالَ تَعَالَى : (وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) . « ٥١ مريم » .

وقال تعالى : (فَبِمَنْ تِلْكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ) « ٨٢ و ٨٣ ص » .

ليست العبادة بعدد ما تصلي من ركعات ، ولا بعدد الأوراد والتسبيحات
ولا بكثرة الصوم : والتزام الأشكال والهيئات ؛ بل العبادة بأثر العبادة
في أخلاقك ومعاملاتك ، فقد قال علي كرم الله وجهه :

لا تهتموا لكثرة العمل ، واهتموا للقبول ، فإن رسول الله قال لعاذ بن جبيل :
« أَخْلِصِ الْعَمَلَ يُجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ
وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْلُصُ لِلَّهِ الْعَمَلَ أَرْبَعِينَ
يَوْمًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ » .

« من كتاب الوعظ باختصار »

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود علي

أمثلة في الإخلاص

عن كتاب السميع الواعظ ، الجزء الأول

(١) كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مخلصاً له يفديه بنفسه وماله ، ترك أمواله وأولاده ، وهاجر معه إلى المدينة المنورة ، وأعدّ الزاد والراحلة ، ودخل الغار قبله لينزل مابه من سوء ، وأنزل الله سكينته عليه ، وظلّ معه يشدّ أزره وينصر رأيه ، وحضر معه جميع الغزوات ، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « مَا أَحَدٌ عِنْدِي أَعْظَمَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ : وَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ » .

(٢) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشد المسلمين إخلاصاً للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحرصهم على نشر الإسلام ، لازم النبي صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته وله فيها مواقف مشهودة .

(٣) وخير مثل أعلى للإخلاص ، ما قام به علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه لابن عمه (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) ليلة هجرته من مكة إلى المدينة .

ذلك أن المشركين لما أعياهم أمر النبي عليه الصلاة والسلام ، ورأوه لا يكف عن دعوتهم إلى التوحيد وتحقير آلهتهم ، وإقامة الحجة المبالغية على فساد معتقدهم ، اتفقت آراؤهم على أن يختاروا من كل قبيلة من أشهر القبائل رجلاً ، واثمروا على أن هؤلاء الرجال يتربصون للنبي صلى الله عليه وسلم حتى

إذا نام هاجموه فضربوه ضربة رجل واحد بسيوفهم ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل ، فلا تستطيع قريش أن تطالب بدمه إذ لا قدرة لها على محاربة كافة القبائل .

وقد أخبر الأمين (جبريل) عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المكيدة المدبرة ، وأن يعتزم الهجرة في المساء لتتم الدعوة ، فعرض الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على صفية (على كرم الله وجهه) أن ينام مكانه حتى يصبح بين الناس نائباً عنه في تسليم الودائع إلى أهلها ، وأن يلتحف ببردته .

ففعل ابن عمه عليه السلام ذلك غير هيّاب ، ولا وجل (خائف) طيبة بذلك نفسه ، راضياً أن تكون روحه فداء ابن عمه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم (وهذا من شدة إخلاصه له ولا شك^(١)) . وقد أنزل الله تعالى على هؤلاء الأعداء غشية من النوم فلم ينتبهوا إلا وقد طلع النهار .

فلما عزموا على تنفيذ فكرتهم ، رأوا علياً كرم الله وجهه هو الراقد وردّ الله سبحانه وتعالى كيدهم في نحورهم ، فرجعوا خائبين .

(٤) وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها مخلصاً كل الإخلاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كان عاياه الصلاة والسلام يخرج إلى غار في جبل حراء ، يعبد الله فيه أياماً ، فكانت تعد له طعامه وشرابه ، فإذا نفذ جهزت

(١) وهل في الإخلاص درجة فوق هذه الدرجة بتعريض الروح للهلاكه وأن يقدم الإنسان دمه وحياته فداء لمن أخلص إليه ؟ .

له غيره . ولما نزل عليه الوحي لأول مرة ، داخله الفزع ، وعاد إليها مضطرباً وقصَّ عليها ما حدث له ، فأخذت تسرِّي عنه ، وتزيل خوفه ، وتواسيه بالقول العذب ، وكان مما قالته له : (أَبْشِرْ فَوَ اللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِيمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتُقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ) .

ثم ذهبت به إلى ابن عمِّ لها (ورقة بن نوفل) كان ذا علم ومعرفة ، وقصَّ عليه الخبر ، فقال له : إن الذي نزل عليك هو الملك الذي كان ينزل على موسى ، وإنك لنبي الله إلى هذه الأمة . فاطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم وزال ما اعتراه من الهلع والخوف . ولما أمره الله تعالى أن يجهر بالدعوة إلى الإسلام تقم عليه الكفار ، ولقى منهم أذى كثيراً ، فكان للسيدة خديجة فضل كبير في مواساته ، وتخفيف آلامه ، ودفع كثير من الأذى عنه ، لا تظهر ضجراً ولا تأففاً . وهكذا الزوجة المخلصة ، تشرح صدر زوجها ، وتذهب عنه مشاق الحياة ومتاعبها ، برقيق حديثها ، وحسن كلامها ؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في شأنها : « آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبتني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » .

(٥) لما آلت الخلافة لسيدنا عمر رضي الله عنه ، أمر بعزل خالد بن الوليد ، وهو من كبار قواد الجيوش الإسلامية التي كانت مشغولة يومئذ

بالفتوحات الشامية ، لأسباب اقتضت ذلك ، فتقبل خالد أمر عزله بالطاعة والإذعان ، وحارب جندياً كعامة الجند ، حتى تم فتح الشام ، ففرح عمر بنصر الله ، ورضى عن خالد ؛ فلم ير خالد في عزله إلا حادثاً مألوفاً لم يشنه عن واجب الجهاد لإعلاء كلمة الله يوماً واحداً ، بل ولا لحظة واحدة . (وهذا كله لشدة إخلاصه في عمله ابتغاء مرضات الله ، لا حباً في الرياسة) .
وهكذا يكون الإخلاص في العمل .

التماق والرياء

من الناس من يظهر لك إذا قابلك أنه صديقك الحميم ، الحريص على مودتك ومصاحتك ، الساعي في منفعتك ، وأنه عدو لعدوك ، وأنه حرب عليه مثلك ، فتغتر بقوله ، وتنخدع بوشيه ، فتفرض إليه بسر نفسك ، وتبوح له بخبيئة أمرك ، وتحدثه عن عدوك بما في ضميرك ، وبما تريد أن تنتقم به منه ، وتعيب عليه ، وبما تدبر له ، أو تتقي به شره وخيره ، وكيد ومكره . فإذا ما فارقك ذهب إلى عدوك ، وباح له بكل سررك ، ودخيلة نفسك ، وطعن في عرضك ، ونال من شرفك ، وأظهر له أنه عدو لك ، وحرب عليك ، وأنه له الصديق الوفي .

فتطمئن نفسه إليه ، وينطلق فيك بالقدح والذم ، وفي عرضك بالنهش والتجريح .

ثم يحدث هذا بما فكر فيه وقدر ، ويبت له ودبر ، فيذهب به إلى الأول ، ويقصه عليك قصاً ، حتى يوغر صدره إيفاراً ، ويشعل قلبه ناراً ؛ فيزداد العدا ، وتربو الشحنة .

وهكذا يسعى بين الاثنين حتى تتأجج نيران العداوة ، وتزداد مسافة الخلف بينهما .

فهذا هو المتملق المرأى ، الكذاب المنافق ، المخادع ، الغشاش ، النمام ، وهو يُمد عند الله من الأشرار .

وهو ذو الوجهين ، المتلون بلونين ، اللابس لباسين ، الذى ورد فى حقه قوله صلى الله عليه وسلم :

« وَتَجِدُونَ شِرَارَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءً بِوَجْهِهِ وَهُوَ لَاءً بِوَجْهِهِ » رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة

ومن الناس من يتظاهر بالعبادة والصلاح ، وهو يرأى ، ويبطن غير ما يظهر . فما أقبح هذا الرياء ، الدال على سخف عقل صاحبه ! وما أكثر المفتونين فى عبادتهم ، المدخولين فى نياتهم ومقاصدهم ، وإن كانوا لا يشعرون بأن الرياء شرك خفى ، لا ينتبه له إلا المخلصون الذين يراقبون الله الحى القيوم ، علام الغيوب !

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الرياء فى الصلاة فقال تعالى : (فَوَيْلٌ

لِلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ) « الماعون ٤-٧ » وكفى بذلك إنذاراً ووعيداً للمرائي .

وإن كثير آمن الناس يعبدون الله تعالى فيكثر من الصلاة والتسبيح
ولكنهم - والعياذ بالله - من صدق عليهم قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ
عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) « الحج ١١ »

فهو يصلي ويقصد من صلاته أن يعلم على الأقران في حطام الحياة
الدنيا ، ويكون له عليهم شأن ، فإن صادف القدر ما أمله افتتن وقال : هذا
من صلاتي وذكرى ، وإن لم يصادفه القدر وجاءت النتيجة بالعكس ،
انقلب على وجهه فحسر الدنيا والآخرة .

ألا فليتعمظ بهذا المفرورون المراءون . إن في ذلك لذكرى لقوم يعقلون .
وقال صالح بن عبد القدوس في شأن المتماق :

وإذا الصديق رأته متملقاً فهو المدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امرئ متماق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلتاق يحلف إنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب
وقال آخر :

إذا وافي صديقك من تُعادي فقد عاداك وانقطع الكلام

فيجب على كل إنسان منذ نعومة أظفاره ، ألا يتماق لأحد ، ولا ينطق
إلا بالحق ، وأن يتخذ الصراحة شعاراً ومبدأ له ، لأن الذي يتتدى شريفاً
في أخلاقه ، نزيهاً في معاملاته ، ترسخ فيه ملكة الشهامة والرجولة ، ويعيش
دائماً على الرأس ، عزيز النفس ، محترماً محبوباً من أهله وإخوانه .
أما الذي يشب من صغره مرأياً متملقاً ، فإنه يفقد الشهامة ، وتذل
نفسه ، وينخفض مقامه ، ويصير مكرهاً مبغوضاً بين قومه والناس جميعاً .

خطبة في أن الرياء

يحبط العبادة ، ويفسد العمل

الحمد لله المطلع على الضمائر علام الغيوب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المُنقّى من العيوب ، المطهر من الذنوب ، أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله العليم بالسرائر والنيات ، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله أمر بإخلاص الطاعات ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه المتقين .

إن الرياء في الأعمال والعبادات ، إن الكذب في المعاملات والطاعات ، قد فشا بين الناس وتمكن فيهم ، حتى تعودوه وألفوه ، وسكتوا عنه فلم يحاربوه . وكيف نحارب الرياء كباراً ، وقد تعلمناه صغاراً في البيت والمدرسة حتى تغلغل النفاق في كل عمل ، وامتزج الرياء بكل فعل ؟

فالصدقة اليوم رياء وكذب ، والزواج تجارة ودهان ، والجوار والزمانة والمصاهرة والنسب نفاق وخداع ، والعبادة والطاعة ليست خالصة للمعبود بل لها من التظاهر نصيب كبير ، وشاها من المراءة حظ وافر .

ولذلك ضاعت الأمانة بيننا ، وماتت الثقة فيما ، وأصبح الأخ يشك في أخيه ، والصديق لا يأتمن صديقه ، والجار لا يأمن غدر جاره ، والزميل يظن بزميله الظنون ، والمرءوس لا يرضى عن رئيسه ، والرئيس لا يثق بمرءوسه ، والشعب ساخط على زعمائه ورؤسائه وحكامه وقادته ؛ لأن الرياء

إن كان من خلق العامة أحياناً ، فهو عند الحكام خلق ملازم ، ووصف لاحق بهم دائم ، والكذب في القول عند الرؤساء ، وتعتمد التضليل عند الزعماء هو أقوى سلاح لهم ، وأمتن درع عندهم .

ولو عرفت القلوب الإسلام لأسامت قيادها خالقها ، ولو تذوقنا الإيمان لعرفنا لذة الصراحة ، وقوة الحق ، ونور الإخلاص ، وفائدة الصدق .

قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ . قَالُوا : وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الرِّيَاءُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ : أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا ، فَاطْلُبُوا عَنْدهُمْ الْجَزَاءَ » .

متى يعلم المسلمون أن الكذب والرياء في الأعمال والطاعات شرك مذموم ، وسيئات محرمة ، وويلات محيطة بهم ؟ متى يعرف المسلم أن التصنع أفسد عليه دنياه ودينه وآخرته ؟ كيف تستقيم الدنيا لأهلها المرائين ، والمرائي يدهن في قوله ، ويخدع بعمله ، ويغش الناس ويضلهم ؟

المرائي ساقط المروءة ، لا يتعفف عن الخيانة ، والسطو على عرض صاحبه .

المرائي سفيه ، سيء الخلق ، لا يستحي من هتك الأسرار ، واختلاق الأخبار على الأبرياء .

كيف يسعد الناس بالدنيا والرياء فيها ؟ جعل الرجل يمدحك في وجهك ، ويدمك وينهش عرضك في غيبتك ، وإذا تظاهر لك باللطف والبشاشة حيناً

فهو عليك ذئب في صورة إنسان ، في أغلب الأحيان ، وإذا حدثك كذبا ،
وإذا وعدك أخفاك ، وإذا ائتمنته خانتك ، وإذا عاهدك كان بك أول الغادرين .
تلك صفات المنافقين الذين ضل سعيهم ، وفسد حالهم ، وخسروا دينهم
ودنياهم ، ذلك هو الخسران المبين (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ
وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) « ١١٧ هود » (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ) « ١١ الرعد » .

كيف يستقيم الدين في جو تسمم بالرياء ؟ وهل أضر على الدين من عابد
يرأى بعبادته ، وصالح يتجر بصلاحه ، وينافق في طاعته ؟
إن من أشد الخطر على الدين وأهله ، عالماً مداهناً في مظهره ،
فاسد اليقين في باطنه . فالملخص ليس له باطن يخفيه ، وظاهر يبيديه ،
ولكن ظاهره وباطنه سواء .

تزي قوم بزى الصلاح ، ولبسوا لباس الزهاد ، ليجتذبوا العباد ،
ويتسلطوا على عقولهم بالتضليل ، وعلى أموالهم بالنهب والسلب ، وعلى
أعراضهم بالهتك والسطو .

تظاهر قوم بالولاية ، وزعموا أن لهم كرامات ، وضحكوا على الناس
بلحية مرسل ، وصلاة مصطنعة ، وعبادة متكلفة ؛ فتبعهم الجهال يبتغون
عندهم الرزق ، والله وحده هو الرزاق ، وطلبوا منهم شفاء الأمراض .

ووصل بنا الانحطاط العقلي ، أنا اعتقدنا الشفاء في بصاق الشيخ ، والشيخ
إن سلم بصاقه من الخور ، فهيهات أن يسلم من جراثيم العلل ، وإن سلم من
كل الأمراض ، فلم يجعله الله سبباً للشفاء ، بل جعله سبب الضلال والشقاء .

والكرامة لا تظهر على أيدي المرائين ، الذين يعيشون عالَةً على أتباعهم .
والكرامة ليست زاداً يخرجها الولي من صندوقه كلما أراد ، بل هي
نعمة الله على خالصائه ، لا تظهر إلا بميعاد وقدر .

الولي لا يتاجر بالكرامة ، ولا يظهرها ولا يتسلط بها على الخلق ،
ولا يدعيها دائماً في كل وقت ، ولا يصرف الناس عن عبادة ربهم ليعبدوه
هو بالاستعانة به ، والاستعانة بالتوسل ، والاستعانة به على التوظيف ،
والتزويج ، والرزق ، والشغل ، لمجرد تظاهره بالصلاح ، وهو من أهل
الرياء الذين قال الله فيهم .

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ
قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) « ١٤٣ النساء »
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى
أُمَّتِي الْإِشْرَافُ بِاللَّهِ ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا وَثَنًا
وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ وَشَهَوَاتٍ خَفِيَّةٍ » .

« ويقول إن أذنني الرياء شرك » ، وَأَحَبُّ الْعَبِيدِ إِلَى اللَّهِ الْأَتْقِيَاءُ الْأَخْفِيَاءُ .

يعنى المبالغون في إسرار العبادات وإخفائها عن الناس ، وتخليصها من
شوائب الرياء .

كيف تستقيم الآخرة للمرائي ؟ وهو إن صلى فلا تخشع له جارحة ،
وإن صام لا تطهر نفسه من ذنوبها ، وإن عمل لن يقبل عمله ، ولا تزكوه
عند الله صالحة (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) « ٢٧ المائدة »

المُرأى ضيع آخرته ، وأحبط عمله ، وأضاع جزاءه ، وأوجب لنفسه النار
بنفاقه ، يتصدق ويمنّ على الفقراء ، يعطى رياء ، ولا يرجع عن الإيذاء ،
والله يقول :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ
مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَشَلُّهُ كَسَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَ كَهْ صُلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ .) « البقرة ٢٦٤ » .

ويقول : (وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) « النساء ٣٨ » .
كيف ترائى أيها الإنسان بعبادتك الناس تطلب منهم المدح والثناء ،
وترجو عندهم الجاه والمنزلة ، ولا تطلب ثناء ربك بإخلاصك له ، والمنزلة
عند مولاك بالخشية منه ؟

كيف ترائى الناس بعمالك ، وهم لا يملكون لك نفعا ولا ضرا ، ولا حياة
ولا موتا ولا رزقا ولا فقرا ؟ وتشرك بريائك مع الخالق الحكيم الرزاق
الكريم ، أتطلب منزلة فانية عند الناس بالرياء ، وتبيع منزلة باقية عند الله ،
أتحرص على مدح العباد لك فترائى ، والناس لا يمدحونك إلا لغرض ،
ولا يذمّونك إلا لما في قلوبهم من مرض ؟ ومهما رأيت ونافقت ، ومهما
كذبت وتلونت ولا فقرا فلن تبلغ رضى الناس بعد أن تحرم رضى الله .

وكيف تنتظر ثواباً ، وأنت أشركت مع الله في عملك حظاً دنيوياً
وعرضاً خفياً ، والله لا يحب أن يشرك به .

وسأل رجل من المجاهدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أقف
الموقف أريد وجه الله فأريد أن يرى موطني ، فلم يرد عليه رسول الله حتى
نزل قول الله تعالى :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ
رَبِّهِ أَحَدًا) . « ١١٠ سورة الكهف »

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يقول « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى
مُنَادٍ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ اللَّهُ أَحَدًا فَلْيَطَّابْ ثَوَابُهُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ
أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشَّرِّكَ » .

يا من دهمكم البلاء ، وحكمكم الأجني ، وعمكم الشقاء ، لا مخلص لكم إلا
إخلاص القلوب وتصفيتها من الرياء ، فهو أصل العلة وسبب الشقاء ، فالمرأى
ملعون ، ولا نجاح لمن لئنه الله .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَزَيَّنَ
بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُهَا وَلَا يَطْلُبُهَا لِعِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .
وقال صلى الله عليه وسلم لمن سأله قائلاً : « مَا النَّجَاةُ غَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قال : الْأَتْخَادِعُ اللَّهِ . فقال : وكيف أخادع الله ؟ فقال : أَنْ تَعْمَلَ بِمَا
أَمَرَكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتُرِيدُ بِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُرَأَى يُنَادِي عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :
يَا فَاجِرُ ، يَا غَادِرُ ، يَا مُرَأَى ، ضَلَّ عَمَلُكَ ، وَحَبِطَ أَجْرُكَ ، أَذْهَبَ نُفْذُ
أَجْرِكَ مِمَّا كُنْتَ تَفْعَلُ لَهُ » .

وقال تعالى : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ
هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) . « ٧ سورة الماعون »

ورأى عمر رضى الله عنه رجلاً يسير مطأطئ الرقبة فقال : يا صاحب
الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب ، إنما الخشوع فى القلوب .

عن كتاب الوعظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على أحمد

خطيب مسجد الرفاعى سابقاً

النفاق

النفاق: مخالفة الظاهر للباطن ، والمنافق هو الذى يظهر خلاف ما يبطن
ليغش الناس ، ويخدعهم لينال غرضه .

والنفاق نوعان : اعتقادي ، وعملى . فالأول : أن يظهر الإسلام وهو
يخفى الكفر ، وكان هذا حال المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو أخبث أنواع الكفر ، وأشدّها خطراً ، ولهذا قال الله تعالى : (إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَافِينَ) « النساء ١٤٥ »
وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)
« النساء ١٤٠ » .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة فى وصف حال المنافقين ، بل سورة
خاصة بهم تدل على فظائعهم وفضائحهم .

والنوع الثانى : وهو ترك المحافظة على أمور الدين سرّاً ، ومراعاتها
علناً ، وهذا يسمى فى لسان الشرع نفاقاً . قال صلى الله عليه وسلم : « آيَةُ
الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اتَّعَمَّنَ خَانَ »
وعن عبد الله بن عمر قال : قال صلى الله عليه وسلم : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ
مُنَافِقًا خَالِعًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ
حَتَّى يَدَّعِيَهَا : إِذَا اتَّعَمَّنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا
خَاصَمَ فَجَرَ » رواه الشيخان البخارى ومسلم .

بَيْنَ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ وَجَدَتْ فِيهِ أَرْبَعُ خِصَالٍ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهِ بَعْضُهَا كَانَ لَدَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ بِقَدَرِ مَا وَجَدَ فِيهِ .
وَتِلْكَ الْخِصَالُ هِيَ : خِيَانَةُ الْأَمَانَةِ ، وَالْكَذِبُ فِي الْحَدِيثِ ، وَالغَدْرُ فِي الْمَعَاهِدَةِ ، وَالْفُجُورُ فِي الْمَخَاصِمَةِ ، وَحَقًّا إِنَّهَا لَكِبَائِرُ مُوَبَّقَةٌ ، وَجَرَائِمُ مُزْرِيَةٌ مُرْدِيَةٌ ، لَا تَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ مَلَأَ الْإِيمَانَ قَلْبُهُ .

خِيَانَةُ الْأَمَانَةِ ظَلَمٌ لِصَاحِبِهَا ، وَنَزْعٌ لِلثِّقَةِ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ بِخَائِنَتِهَا ، وَسِيَّاتِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا .

أَمَّا الْكَذِبُ فِي الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ أَسُّ النِّفَاقِ ، وَالْقَاضِي عَلَى الْأَخْلَاقِ ، وَهُوَ دَاعٍ لِحَقْتِقَارِ صَاحِبِهِ ، وَعَدَمِ الثِّقَةِ بِهِ فِي أَيْ شَأْنٍ مِنَ الشُّيُونِ ، وَصَاحِبِهِ مُلْبَسٌ عَلَى النَّاسِ غَاشٌّ لَهُمْ ، وَالْكَذِبُ فِي الْحَقِيقَةِ خُبْتُ بَيْنَ الْأَحْبَاءِ ، وَسَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ .

وَالغَدْرُ فِي الْمَعَاهِدَةِ : أَنْ تَنْقُضَ الْعَهْدَ ، وَالغَدْرُ مِنْ أَبْوَابِ الْكَذِبِ وَهُوَ مِنْ أَسْوَأِ الْمَعَامَلَاتِ ، وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِفَاقَ الْقُلُوبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
(فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) « ٧٧ التَّوْبَةُ »

وَخَلْفُ الْوَعْدِ : تَضْيِيعٌ لِلثِّقَةِ ، وَسَرَقَةٌ مِنْ وَقْتِ الْمَوْعُودِ ، وَإِخْلَالُ بَنْظَامِ حَيَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ، وَسِيَّاتِي الْكَلَامِ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ هَذِهِ يَفْقَدُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ مَكَاسِبِ الْحَيَاةِ رِبْحًا عَظِيمًا .

وأما الفجور في المخاصمة ، وعدم الوقوف عند الحق ، فذلك وزر كبير
يحر إلى أوزار كثيرة ، ومفاسد عظيمة . فالفاجر في الخصومة ينكر حق
صاحبه ، ويستحل ماله وعرضه ، ولا يترك باباً من أبواب الشر والضرر إلا
اقتحمه ، ولو أضرع في سبيل ذلك المال الكثير ، بل ولو شغله ذلك عن القيام
بواجباته ، والفجور في الخصومة داء وييل يقطع الأواصر ، وينشر الجرائم
ويفتك بالأخلاق ، فلا جرم أن كان آية الآيات في النفاق .

ويحدثنا القرآن في وصف المنافق فيقول الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)
« ٢٠٤ البقرة »

المعنى : أن من عباد الله قومًا ألسنتهم أحلى من الصسل ، وقلوبهم أصرّ
من الصبر ، يشترّون الدنيا بالدين ، ويخدعون الناس بأقوالهم ، ويظهرون
الإسلام ، ويبطنون الكفر ، والله يشهد على ما في قلوبهم أنهم الدُّ أعداء
الدين ، وأشدّ المخاصمين خصومة ، إذا كلوك رأيت لكلامهم حلاوة ،
وباطنهم باطل مُرّ كالحنظل .

قال بعض المفسرين : إن هذه الآية نزلت في (الأخنس بن شريك) ، وكان
رجلاً حلوا القول والمنظر ، وكان يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويجالسه
ويظهر الإسلام ويقول : إني لأحبك ، ويحلف بالله على ذلك ولكنه كان
منافقاً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه فنزل قوله تعالى :

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) أى تستحسنه ويعظم في قلبك (ويشهد الله على ما فى قلبه) أى إن هذا المنافق وإن أظهر لك الإسلام يا محمد ولكن الله يعلم ما فى قلبه من الكفر والنفاق ، لقوله تعالى (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ) . « سورة المنافقون »

(وهو ألدّ الخصام) أى شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل ، يتكلم بالحكمة ، ويعمل بالخطيئة .

ثم قال الله تعالى : (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) « ٢٠٥ البقرة » .

أى إذا تولى وأدبر هذا المنافق من عندك يا محمد منصرفاً عنك عمل فى الأرض بما حرم الله عليه وحاول فيها معصية الله ، وقطع الطريق ، وإفساد النسل على عباد الله ، ويهلك الزرع والمواشى ويعقر الخمر .

والله لا يحب الفساد ولا يأمر به ، ولا يحب من كانت هذه صفته ولا من يصدر منه ذلك ، والآية تعم كل فساد كان فى أرض ، أو مال ، أو دين .
ثم قال تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) « ٢٠٦ البقرة » .

أى إذا وعظ هذا المنافق الكافر الفاجر فى خصاله وأفعاله وقيل له : اتق الله ؛ أى اخش الله ، وانزع عن قولك وفعلك ، وارجع إلى الحق - امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم ، أى بسبب ما اشتمل عليه من الظلم والكبرياء .

وهذه صفة الكافر المنافق ، الذاهب بنفسه زهوًّا وكبرياء ، كما قال عبد الله : كفى بالمرء إثمًا أن يقول له أخوه : اتق الله ، فيقول : عليك بنفسك مثلك يوصيني ، وأخذته العزة أى القوة والغلبة بالإثم بالخطيئة .

(فسبه جهنم) أى فكافأه الله عقوبةً على غيئه وضلاله أن يصطلى بنار جهنم (ولبئس المهاد) أى لبئس الموطأ جهنم التى أوعده الله بها هذا المنافق ووطأها لنفسه بنفاقه وفجوره وتمرده على ربه .

قال ابن مسعود : إن من أكبر الذنب عند الله ، أن يقال للعبد : اتق الله فيقول : عليك بنفسك مثلك يوصيني ! .

وروى أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : اتق الله ، فوضع خده على الأرض تواضعًا لله عز وجل . وهكذا يكون الإيمان الصادق ، والإخلاص لله فى العبادة .

مثال المنافق

الذى خالف رسول الله وجنوده

كان رجل من المنافقين يسمى (بشراً) بينه وبين يهودى خصومة ، وأراد أن يذهب إلى حكم يفصل بينهما . فاختار اليهودى أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لاعتقاده بنزاهته ، وعلمه أنه لا يرتشى ؛ وأراد بشر المنافق أن يذهب إلى (كعب بن الأشرف) أحد طغاة اليهود ليرشوه بشر . وكان كعب كافراً غير نزيه يقبل الرشوة ، ويحكم بالهوى ، فأبى اليهودى ؛ واحتكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فرأى من قصتهما أن الحق لليهودى

فقضى له به . فلم يرض المنافق بالحكم وقال : لا بد من أن نختصما إلى كعب
ابن الأشرف ، ثم قابلا سيدنا عمر بن الخطاب في الطريق أمام منزله . فقال
اليهودى لممر : قضى الى رسول الله فلم يرض هذا بقضائه . فقال عمر
للمنافق : أ كذالك ؟ قال : نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما .
ثم دخل عمر منزله فأخذ سيفه وخرج فضرب به عنق المنافق حتى برد .
وقال : هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله . فنزلت الآيات الكريمة
الآتى شرحها :

وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن عمر قد فرق بين الحق
والباطل . فلقبه رسول الله (بالفاروق) وهذا سبب تسمية عمر بالفاروق .

أما الآيات التى نزلت فى هذا الشأن فهى قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ
مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ) وهم كاذبون فيما
يزعمون فإنهم يخفون كفرهم . يشير جمل شأنه إلى المنافقين ، ومنهم (بشر)
الذى قتله عمر رضى الله عنه .

(يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذَ كُفُورُهُمْ إِلَى الطَّاغُوتِ) أى الشيطان أو كعب بن

الأشرف ، لأنه كان كالشيطان لا يحكم بالحق .

(وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) أى أمروا بأن يكفروا بالطاغوت ،
فلا يصدقوه ولا يشقوا به .

(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَى
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا .
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يشير إلى قتل عمر بشراً
(ثُمَّ جَاءُوكَ) أى أصحاب القتيل (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا) أى ما أردنا (إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) . « من ٥٩ إلى ٦٢ النساء » .

يقال : إنهم جاءوا يطالبون عمر بدم القتيل محتجين بأنه حين خاطب
عمر لم يكن يقصد إلا التثبيت والتوفيق ، ولم يكن ينتظر من عمر ما حصل
ولكن الله أهدر دمه وبرأ عمر بوصفه بأنه فرق بين الحق والباطل .

ويقول جل شأنه مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم : (أُولَئِكَ الَّذِينَ
يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من النفاق (فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ
فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) . « ٦٣ النساء »

أى لا تقبل عذرهم وقل لهم قولاً يؤثّر فيهم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالتحاكم إلى الطاغوت
(جَاءُوكَ) تائبين مستغفرين معتذرين بعد قتل صاحبهم .

(فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) .

أَيُّ يَقْبَلُ مِنْهُمْ تَوْبَتَهُمْ لِمَصَدَقَتِهِمْ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَاذِبُونَ (فَلَا وَرَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ) أَيُّ لَا تَصَدَقُهُمْ فِي إِيمَانِهِمْ (حَتَّى يُحْكَمَ لَكَ فِيهَا شَجَرٌ
يَنْتَبَهُمْ) أَيُّ فِيمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْخُصُومَاتِ حَتَّى يَرْضَوْا بِحُكْمِكَ (ثُمَّ
لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ) أَيُّ لَا يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ ضَيْقًا
أَوْ امْتِعَاضًا مِنْ قَضَائِكَ (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أَيُّ يَسْلَمُوا بِمَا تَقْضِي بِهِ لِبَعْضِهِمْ
عَلَى بَعْضٍ تَسْلِيمًا. « ٦٥ النساء »

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ بَعْدَ تِلْكَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تَجِدُ فِيهَا
وَصَفَ الْمُنَافِقِينَ ، وَعَدَمَ طَاعَتِهِمْ ، وَحَسَنَ جَزَائِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَطَاعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ ، مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلطَّائِعِينَ مِنَ الرِّضَا وَالْثَوَابِ . فَقَالَ تَعَالَى :
(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) .

(٦٩ النساء)

أَيُّ مُرَافِقًا يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ (ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى
بِاللَّهِ عِلْمًا) أَيُّ كَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا بِجَزَاءِ مَنْ أَطَاعَهُ « ٧٠ النساء » .

الإيثار والأثرة

الإيثار: هو أن يفضل الإنسان غيره على نفسه ، أو يختاره رئيساً عليه لقوله تعالى : (لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا) أى فضلك « ٩١ يوسف » واختارك رئيساً علينا . وقوله تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) أى ولو كان بهم حاجة . « ٩ الحشر »

أمثلة في الإيثار

١ - قال الغزالي : قال حذيفة العدوي : انطلقت يوماً إلى اليرموك^(١) أطلب ابن عم لي ، ومعى شئ من ماء ، وأنا أقول : إن كان به رملق سقيته ، ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار إليّ أن نعم ، فإذا رجل يقول : آه ، فأشار ابن عمي أن انطلق بالماء إليه . قال : فحجته فإذا هو (هشام بن العاص) ، فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر ، فقال : آه ، فأشار هشام أن انطلق به إليه ، فحجته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات . فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات . رحمة الله عليهم أجمعين .

(١) اليرموك : واد بالشام وقت فيه حرب بين المسلمين والروم في خلافة أبي بكر .

٢ - وقيل : خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم فيه غلام أسود يعمل به ، فإذا أتى الغلام بقوته دخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر إليه ، فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت به هذا الكلب ؟ قال : ما هو بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت أن أشبع وهو جائع . قال : فما كنت صانعاً اليوم ؟ قال : أطوى يومى هذا . فقال عبد الله بن جعفر : أألام على السخاء ؟ والله إن هذا لأسخى منى ، فاشتري النخل والعبد فأعتقه ، ووهب له ذلك .

٣ - قال الدكتور منصور فهمى باشا فى كتابه (منطرات نفس) بعد أن ذكر هذين المثالين فى الإيثار :

رحم الله ذلك الزمن الذى يروى لنا أن من أهله من كان يؤثر حياة غيره على حياة نفسه . فبمثل هؤلاء سادت الشعوب .

ورحم الله ذلك الزمن الذى كان يعتقد الناس فيه بالفضائل ، ويؤمنون بأن الله ييمىء جنته من ينكرون الأثرة ويعملون للإيثار ، بل رحم الله ذلك الزمن الذى فيه كان يرى بعض أهله أن الجدير بأمر من الأمور أولى به أن ينزل عليه هذا الأمر ، وأن الأحق بشئ أولى به أن يعصيب ذلك الشئ لأنه حقه .

رحم الله ذلك الزمن الذي قدر فيه الإيثار قدره .
والآن نجد الأثرة (حب النفس) تسمع صوته فيخفت صوت الإيثار ،
يزاحم عديم الكفاءة الكفاء ليقصيه بمختلف الحيل الدنيئة عن منصبه ،
وينزل بالفارس المغوار بأحط الأساليب عن مركبه ، لا يقنع الغنى اليسور
بيسره ، فيتمسك ببناء ثروة من مال الفقير ، ويزيده عسراً على عسره .
وأي ذلك الزمن الفات ، وأي فضائله أين ؟؟

* * *

بمثل أساليب الإيثار الفاضلة تمتاز الدول ، وتسمو الأمم ، وبمثل الأثرة
والأنانية الحاضرة تذلل الحكومات ، وتضمحل الشعوب .

ولو فشأ في الناس خلق الإيثار لما تنازعوا في وزارة ، ولا تنافسوا
في مارة !!

٤ — ومن أعظم مثل الإيثار ما حكاه أبو الحسن الأنطاكي قال :
اجتمعنا ليلةً وكنا بضعة وثلاثين رجلاً ، ولنا أرغفة معدودة لا تسع
جميعنا ، فكسرنا الرغفان ، ووضعناها ، وأطفئ السراج ، وتقدمنا للأكل
فلما ظهر منا الفراغ من الطعام ، وأردنا رفع ما كان عليه إذا هو على حاله لم
ينقص منه شيء ، وما أكل واحد منا شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه .

٥ — كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، المثل الكامل للمسلمين في الإيثار وغيره ، لما قارب الوفاة أوصى

أن يكفن في ثيابه وقال : الحى أولى بالجديد من الميت ، وأن يرد أهله ما عندهم من بيت المال .

وكان له بستان وعبد يخدمه وبغير يستقى عليه ، فأوصى بردها إلى بيت مال المسلمين .

٦ - وقيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصى لهم بشئ ؟ فانهم فقراء . فقال : (إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) « ١٩٦ الأعراف » .

والله لا أعطيهم حق أحد ، وهم بين رجلين : إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على سفهه .

ثم ودعهم وقال : انصرفوا عصمكم الله ، ومات رحمه الله مبكياً عليه من جميع الناس .

٧ - وذكر ابن عطاء أن شاباً سمى ببعض المتصوفين إلى بعض الخلفاء بالطعن في أعراضهم - وفي رواية أخرى بالزندقة - فأخذوا الثورى وأباحزة وجماعة منهم ، ودخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم ، فبادر الثورى إلى السيف ، فقال له السيف : مالى أراك بادرت قبل إخوانك للقتل ؟ فقال : أحببت أن أوتر أصحابي بحياتهم هذه اللحظة .

فتعجب السيف والحاضرون ، فأخبروا الخليفة بذلك ، فرفع أمرهم للقاضى ، فتقدم الثورى فسأله القاضى عن الفرائض والسنن ؛ فأجاب .

ثم أخذ يقول : إن لله عبادة إذا قاموا قاموا بالله ، وإذا انطلقوا انطلقوا

بالله، وسردحتى بكى القاضي، فأرسل إلى الخليفة يقول : إن كان هؤلاء زنادقة
فما على وجه الأرض مسلم، ثم أطلقهم وأكرمهم .

٨ — روى أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهدى إليه
رأس مشوي . فقال : أخى فلان وعياله أحق بهذا منا وأرسله إليه فبعثه ذاك
لآخر وهكذا إلى سبعة أشخاص، فعاد الأول . وهذا كله بفضل حب الإيثار
٩ — وعن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ليُضيفه فلم يكن عنده ما يُضيفه، فقال : أَلَا رجلٌ يُضيف هذا رَحِمَهُ اللهُ؟
فقام رجلٌ من الأنصار يُقال له أَبُو طَلْحَةَ، فأنطلق به إلى رَحْلِهِ فقالَ
لَا بُرَأَتِهِ : اكرِمْ ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَوِّحِي الصَّبِيَّةَ،
وَأَطْفِئِي الْمَصْبَاحَ، وَأَرِيهِ بِأَنَّكَ تَأْكُلِينَ مَعَهُمْ، وَاتْرُكِيهِ لِيُضِيفَ رَسُولُ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففعلت، فنزلت الآية (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) « ٩ الحشر » وهذا الرجل من الأنصار الذين وصفهم
الله بقوله : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى من قبل المهاجرين
(يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا
وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) أى يعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على
أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) أى لو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروهم
به من أموالهم على أنفسهم . وهذا هو منتهى الإيثار، وغاية الفخار .

١٠ — مثال من إيثار الإمام على بن أبي طالب وحبّه لإطعام المساكين
حصل لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه وكرم الله وجهه) ولأهله

جوع ، فأخذ من يهودى صوفاً لتغزله السيدة فاطمة رضى الله عنها بثلاثة آصع من شمير ، فغزلت أول يوم شيئاً منه وطحنت صاعاً وخبزته . فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين وقال : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم أطمعوني شيئاً لله ، فدفعوا إليه الأقراص .

وفى اليوم الثانى جاءهم يتيم وقال : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، أنا يتيم من أيتام أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أطمعوني شيئاً لله ، فدفعوا إليه الأقراص .

وفى اليوم الثالث جاءهم أسير فقال : السلام عليكم يا آل بيت النبوة ، أنا أسير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أطمعوني شيئاً لله ، فدفعوا إليه الأقراص ، وباتوا على الماء ، فجاع الحسن والحسين رضى الله عنهما جوعاً شديداً فخرج عليّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك ، فطاف على نسائه فلم يجد شيئاً ، ثم جاء أبو بكر يشتكى الجوع فقيل يا رسول الله : إن (المقداد ابن الأسود) عنده تمر ، فخرجوا إليه فلم يجدوا شيئاً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خذ هذه السلة واذهب إلى تلك النخلة وقل لها : إن محمداً يقول لك أطمعينا من ثمرك ، فرمت عليهم رطباً بإذن الله تعالى ، فأكلوا حتى شبعوا ، وأرسلوا إلى فاطمة ووالديها ما يشبعهم . فأنزل الله تعالى فى حق عليّ وآل بيته رضى الله تعالى عنهم :

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الح الآيات .

« من ٨ إلى ٢٢ الدهر »

الأثرة أو الأنانية (حب النفس)

الأثرة وسبق الإشارة إليها : هي اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره .

وحب النفس هو مراعاة المرء خير نفسه ، وخير النفس يطلق على المحافظة عليها ، والاستئثار بما يسد حاجتها ، ولا شيء أعز عند الإنسان من نفسه ، فهي أحب الأشياء إليه ، وكل شيء أحبه فهو من أجلها .
ولولا حب النفس لما كان بقاء النوع الإنساني ، لأنه هو المحرك لعاطفة السعى في الإنسان ، والسعى هو الباعث على ابتغاء الرزق وعلى الارتقاء ، وتنازع المخلوقات البقاء .

فحب النفس دافع قوى إلى السعى ، فهي رهينة بما كسبت كما قال تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) « ٣٣ الرعد »
ولكن يجب أن يقف بها السعى عند حد العدالة ، بحيث لا ينجم منه كره الناس وسوء معاملتهم ، والطمع لما في أيديهم ، فإن ذلك يعد رذيلة مكروهة ، تجر الويل لصاحبها بدل الخير ، ويكون ظالماً لنفسه ولغيره ؛ لأن الشخص المحب لنفسه ، الذي لا يبحث إلا فيما يفيد فقط ، ولو بضرر الغير فهو أجنبي عن إخوانه وجيرانه ، لا يفرح لفرحهم ، ولا يشاطرهم أحزانهم فإذا نزلت بهم مصيبة عوضاً عن أن يساعدهم ويواسيهم ، ويشترك معهم في تخفيفها عليهم ، يلتعد عنهم ، خوفاً من أن يصيبه سهم منها .

وكل شخص بهذه الصفة يكون بعيداً عن الهيئة الاجتماعية ، مكروهاً من الناس جميعاً .

وقد جاء في الأمثال : (من أحب نفسه كرهه الناس) .

والذى يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة تكون عاقبته سيئة . قال تعالى :
(فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) .

« من ٣٧ إلى ٤١ النازعات »

وقال تعالى : (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)

« ١٦ ، ١٧ الأعلى »

عزة النفس أو الكرامة

عزة النفس أو الكرامة : هى الحرص على حرمة النفس البشرية ، وهى القوة المعنوية التى تحفظ لك حقتك ومكانتك فى الحياة الإنسانية ، وبعبارة أوضح هى إكرام المرء نفسه واحترامها ، ووضعها فى المقام اللائق بها ، وهى من أهم الواجبات التى يجب على كل فرد أدائها ؛ لأنه كما يجب المرء نفسه ويحافظ عليها ، ويتقى الحر والبرد لأجلها ، ويسمى ' ويجدد ليضمن رفاهيتها ونعيمها ، ويخرج إلى المتنزهات والخلوات لرياضتها ونزهتها ، ويذهب إلى محالّ الأتس والطرب لسرورها وراحتها ، فإنه يجب عليه أن يعزها ويكرمها ويحترمها ، ويعطيها حقها من الإكرام والاعتبار : أى يجب أن يكون عند كل إنسان كرامة نفس .

والكرامة إما فردية أو قومية . فالكرامة الفردية تشعر الفرد بحقوقه .

أما الكرامة القومية فتشعر الفرد بواجباته نحو المجتمع الإنساني .
والشعور بالكرامة القومية ، هو المقياس لحياة الأمة ونهوضها ، لأنه
لو قام كل فرد بالواجب عليه نحو أمته لتهضمت وارتقت .

وكل فرد لا يشعر بكرامة نفسه ، ولا يذود عنها ، خليق بالاحتقار
والازدراء ، لأنها أكمل الفضائل التي ينبغي أن يحرص المرء على التحلي بها .
وقد عبر عنها علماء الأخلاق بأنها قوة كسائر القوى ، تساعد المرء على
نيل حقوقه وأمانيه ، والتصرف في أموره ، وأن لها فعلاً بالألباب ، وسلطاناً
على النفوس ، لا تضاهيها فيها قوة أخرى كالمال والجاه .

ومن الخطأ أن يحسب المرء أن العامل في أقدار الناس إنما هو الأموال
التي جمعوها ، أو العلوم التي حصلوها ، أو المناصب التي نالوها ؛ وإن كانت
هذه الأمور من وسائل الاحترام والإكرام في الجملة ؛ ولكن هو عزة
النفس وشرفها .

وليست الكرامة وقفاً على العظماء والكبراء ، فإن من نحسبهم
الصعاليك أو الفقراء قد يكونون أشد غيرةً على كرامتهم ممن هم أعلى مكانة
منهم . ولذا نسمع كثيراً من الناس من الخدم أو غيرهم من يقول : قد
أهنت كرامتي ، وأنا أحافظ على كرامتي ، وأطالبك برد كرامتي .

وليس الغرض من عزة النفس وإكرامها الترفع عن الناس ، والتعاضم
عليهم ، أو الغطرسة وشموخ الأنف كما يفهم بعضهم ، بل الابتعاد عن كل
ما يشينها ، مع إعطائها قسطها من الاحترام والاكرام .

وكما أن الإنسان يُسرُّ خاطره ، وينشرح فؤاده ، عند ما يرى الناس

يحترمونه ويجلّونه ، ويعتبر هذا من الواجبات المفروضة عليهم ، فإنه خليف به وأحرى أن يكون في مقدمة الذين يُحترمون ، فيحترم هو أيضاً نفسه ، ويعلو بها عن سفساف الأمور وأحط الأخلق .

والمقصود من احترام النفس وإكرامها أن الإنسان لا يتذلل لمخلوق ولا ينافق ، ولا يجبن ، ولا يحط من قدر نفسه ، ولا يذرى بشرفه ومقامه . ولقد أسرف بعض الناس في الجناية على الأخلق ، فهانت عليهم كراماتهم واستهانوا بها ، فأصبحنا نرى رجالاً على أتم الاستعداد ليساوموا في ضمائرهم ، إذا ملاح لهم في الأفق بارق أمل في منفعة عاجلة أو آجلة . فليفهم هؤلاء المنافقون أن أسواق النفاق ، قد قضت على الأخلق ، وأن التجارة بها كاسدة على الإطلاق ، وليعلم كل إنسان أن شرف النفس وعزتها صفة كمال ، بها تمتاز أقدار الرجال ، وبها تترفع النفس عن مدانة الدنيا ، وبها تستطيب النفس دون الذل كؤوس المنايا ؛ وبها أبانت الشريعة الغراء فضل الأحرار على الأرقاء ، وبها جعلت الرجال قوامون على النساء ، بل حظرت على الشريقات الاقتران بغير الأكفاء .

ولا تكون عزة النفس وكرامتها بلبس رداء الكبرياء ، ولا بحر أذيال الخيلاء ، ولا برفع الأنف في السماء ، بل تكون بنفس مكتوب عن يمينها : (عش عزيزاً أو مت كريماً) وعن يسارها : (إن لم تكن غيوراً ، فكن في التراب مقبوراً) .

ليست عزّة النفس بسوء الأدب مع الرئيس ، ولا بمدّ الرجل بين يدي
الجليس ، ولا بإطلاق لسان الوقاحة والبذاءة ، ولا بحماقة أهل الجرأة ، بل
تكون في نفسك عاليّ الهمة كالنجم ارتقاء ، وفي استقامتك طاهر العرض
كالماء نقاء ، وفي معاملتك أميناً نزيهاً شريفاً كالسما صفاء .

فلا تسلك أيها العاقل سبيل التملق والنفاق ، والخضوع الزائد ، مذلاً
نفسك ، زاعماً أن هذا هو التواضع والركة ، ولا تمس مشية الخيلاء والكبرياء
والمباهاة ، ظناً منك أن هذا هو الاحترام والرفعة ؛ بل اسلك سبيل الرشاد
واتبع خطة السداد ، وانظر في جميع أقوالك وأفعالك وأحوالك ، ولا تأت
أمراً خارجاً عن حد الأدب والاعتدال ، فإنّ الناس يهدونه عليك ،
ويؤاخذونك به ، ويحتقرونك بسببه ، وينفرون منك لأجله ،

فإذا لم يكن فيك نفس كريمة ترفعك عن الأمور الحقيرة ، وتدفع بك
إلى طلب منزلتك التي لك ، فليست على شيء من عزّة النفس وكرامتها ،
ولا تجدد إذن من الناس من يكرمك ؛ بل تكون أهون عليهم منك على
نفسك كما قال الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا
فلا يحتفلون بك ؛ بل يضربون عنك صفحاً ، وينأون عنك جانباً ،
ولا يتخذونك خلاً ولا صاحباً . وجاء في الأثر : رحم الله امرأ عرف قدر نفسه
واعلم أن عزّة النفس وكرامتها ، هي أن تنشأ عافاً عن الأوصاف
الذميمة ، وتصون ماء وجهك ، وتعصم نفسك وعرضك ودينك من النقائص
والفضائح ، وتعيش مكرماً معظماً أهلاً للتعظيم والإكرام ، فإن من أعزّ

نفسه أعزه الناس ، ومن أهانها كانت على الناس أهون كما قال الشاعر :

ونفسك أكرمها فإنك إن تهين عليك فلا تلقى بها الدهر مكرماً

وإن المعيشة التي تكون مصحوبة بالمذلة والهوان هي الحياة السيئة الخبيثة ، وإن المعيشة التي تقترن بالمعزة والكرامة هي الحياة الطيبة السعيدة ، وإن الحرص على الأخلاق الفاضلة هو الأساس المتين للسعادة وغنى النفس ولقد أصاب الإمام على رضى الله عنه في نصيحته لابنه الحسن بقوله :

« يا بني أكرم نفسك عن كل دنيئة وإن ساقطت إلى الرغائب ، فإنك لن تقاضى بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حراً » . وقال عنتره العبسى :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة بل فاسقنى فى العز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

فمن المذلة أن تجيب كل من دعاك ، وتدعو من لا يجيبك ، وتتواضع لمن ينكر عليك ، وتتعرف بمن يتنكرك ، أتبيع ماء حياك بماء حيائك ، وتستبدل العزة والكرامة بالمذلة والإهانة ، وترضى من رزقك بالمنة والامتنان ، وأنت تعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأن لافاعل ولا مؤثر فى الحقيقة إلا الله تعالى ، وأن المخلوقات ليست إلا مظاهر لقدرته وإرادته إن شاء أسعدها فأعزها ، وإن شاء أشقها فأذلها لقوله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) « ٤٦ آل عمران » وقال تعالى : (أَيْبَتْنَهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) .

أمثلة في العزة والكرامة

١ - روى أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه فأمسكهما بيده ، فحاض الماء ومعه بعيره ، فقال له قائده أبو عبيدة : قد صنعت صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، فوكزه عمر في صدره وقال :

أواه لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام فهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله . وكان المرحوم الشيخ محمد زكي الدين سمنند رئيس جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ومؤسسها يقول في خطبته المنبرية : اللهم يا من استعز بعزته الأبدية لا يذل ولا يضام ، نسألك بذل العبودية أن تؤلف بين المسلمين ، وتوفق سلطاننا الهمام لما فيه خير الإسلام .

٢ - أسلم عمرو بن العاص طائعاً مختاراً بعد أن أنار الله قلبه راغباً غير راهب ، تاركاً ما كان له في قومه من عز وجاه . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أبعثك على جيشي ، وأرغب لك في المال رغبةً صالحةً . فقال : يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ، بل أسلمت رغبةً في الإسلام . فقال : يا عمرو « نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ » .

٣ - لما حجَّ سليمان بن عبد الملك ووعظه أبو حازم قال له : ارفع إلينا حوائجك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلت ، وما منعتني منها رضيت ، ولم يقبل منه شيئاً .

وهذا يطابق الأدعية الآتية التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .
« اللَّهُمَّ اغْنِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِفَضْلِكَ عَنْ سِوَاكَ » .

٤ - لما حجَّ الرشيد تلمس العلماء حتى مضى إلى الفضيل بن عياض ، ودخل عليه ووعظه بما وعظه . ولما همَّ ليخرج قال الرشيد له : أعليك دين ؟ قال نعم . ديني لربي يحاسبني عليه . فالويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن سألتني ، والويل لي إن لم يلهمني حجتي .

قال الرشيد : إنما أعني دين العباد . قال الفضيل : إن ربي لم يأمرني بهذا ، وإنما أمرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره ، فأعطاه الرشيد ألف دينار فردّها وقال : أنا أدلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا ؟ وصمت ولم يكلمه بعدها .
وبهذه العزة أجاب الضرير المحدث أبو معاوية محمد بن حازم هارون الرشيد لما صبَّ الماء على يديه ، وأعلمه بذلك بعد أن فرغ : إنما أكرمت العلم يا أمير المؤمنين .

الدناءة والخسة

الدناءة : هى ميل النفس إلى حب الشهوات ، وارتكاب المحرمات ، وأكل أموال الناس بالباطل .

وهى خصلة ذميمة ، وصفة وضيعة ، تحطّ من قدر صاحبها ، وتجعله محتقرًا مردولاً .

وهى تدعو المرء إلى الخيانة ، وسوء التصرف فى الحقوق والأمانات ، والتقصير فى أداء الواجبات ، كما أنها تدعو للارتشاء ، أى أخذ المال ولو من أحقر العمال .

الدنىء النفس يخون أسرته ، ومصلحة أمتة ، وينقض ذمته وعهده ، بل يبيع دينه بدنياه ، حبًا فى الحصول على بعض دراهم ينفقها فى سبيل شهواته وملذاته .

الدنىء النفس لا يهتم أن يعيش عزيزًا شريفًا ؛ بل يهتم السعى فى الحصول على معاشه ولو بالوسائل السافلة بطرق الغش والتدليس ؛ بل ربما باع عرضه وشرفه لبلوغ غايته الدنيئة .

الدنىء النفس يسعى بتقديمه للدخول فى الأفراح والولائم بدون دعوة من أصحابها ، طمعًا فى أكلة ، وهو المعروف (بالطفيلى) تشبيهًا بالحشرات الطفيلية التى تدخل فى الأجسام فتمص الدماء وتجلب الضرر والفناء .

الدنىء النفس يتبع دائمًا خطوات الشيطان ، ويسعى فى انتهاك حرمة

الآداب ، وينظر بعينه إلى ما حرم الله ، ولا يعمل بقوله تعالى : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) . « ١٣١ طه » .

الدنيء النفس هو الذي يأكل أموال الناس بالباطل ، ويأخذها منهم بغير حق ، ولو برضا المالك نفسه ، وينسى أو يتناسى قوله تعالى في النهي عن ذلك :

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) « ١٨٨ البقرة »
الدنيء النفس هو الذي يأكل أموال اليتامى ظلمًا وعدوانًا ، وهو لا يدرى ما أعدده الله له من العذاب الأليم ؟ قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) « ١٠ النساء »

الدنيء النفس هو الذي يسعى لارتكاب الفحشاء ، ولا يخشى عقاب الله في الآخرة ، والفضيحة والعار في الدنيا .

الدنيء النفس هو الذي يمد لسانه ويذم الناس في غيبتهم ، والقبح والطعن في أعراضهم ، وقد فاته قوله تعالى : « وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » « ١٢ الحجرات »

الدنيء النفس : هو الذى يتدخل فيما لا يعنيه ، ويعرض نفسه لسماع ما لا يرضيه ، ولا يعمل بقوله تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) « ٣٦ الاسراء » .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »
وقول الحكماء : من تداخل فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه .

وبالجملة الدنيء النفس هو فاقد الكرامة والمروءة ، مبغوض ومحتقر من جميع الناس ، ولا قيمة له ولا اعتبار في نظر الأخيار ، ويعد في زمرة الأشرار والفيجار ، وله في الدنيا العار والشنار ، وفي الآخرة عذاب النار .

المروءة

المروءة : هى صنع المعروف ، وإغاثة الملهوف ، وحلية النفوس ، وإزالة العبوس ، وزينة الهمم ، وهى أشهر من نار على علم .
وتكون بأشياء كثيرة : منها أن تقضى حاجة أخيك إذا كان محتاجاً ، أو تفرّج عنه كربته إذا كان مضيقاً عليه مكروباً ، أو تنفق عليه إذا كان معدماً ، أو تقضى عنه ديناً إذا كان مدينًا ورأيت ازدحام الغرماء عليه ، أو تهديه إلى ما فيه صلاح دينه ودنياه ، أو تنصحه عند الاستشارة ، أو تدخل عليه سروراً إذا كان مهموماً . قال صلى الله عليه وسلم : « صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوءِ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ أَصَبْتَ أَهْلَهُ وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلُهُ » رواه ابن عمر .

ومن كلام الحكماء : من سعادة المرء أن يضع معروفه عند من يستحق وإن لم يشكره ، أو عند من يشكره وإن لم يستحقه .
وقال الخطيئة :

من يصنع المعروف لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال علي بن الجهم :

وفتّى خلا من ماله ومن المروءة غير خال
أعطاك قبل سؤالك فكفالك مكروه السؤال

أمثلة في المروءة

مروءة حاتم الطائي

١ - حكى عن حاتم الطائي المشهور بالجود والكرم والمروءة أنه مرّ يوماً بحلة بني غز فاجتاز بأسير عندهم وكان الأسير لا يملك الفداء ، فلما رأى حاتمًا صاح : أغثنى (يا أبا سفانة) ولم يكن مع حاتم ما يفديه به فضمن الفداء لأمر الحلة فأبى إلا أن يقبضه قبل إطلاق الأسير فأقام حاتم مكانه في الأسر ، وأرسل الأعرابي إلى قومه في أحياء طى بعلامة منه حتى أتى بالفداء فدفعه إلى القوم وأطاق نفسه من أسرهم .

٢ - طغى 'نهر' ، وكاد يكتسح بيتاً صغيراً تسكنه امرأة فقيرة وأولادها فتبرع غنى بمائة دينار لمن ينقذ هذه المرأة وأولادها فأخذ جندي قارباً واقتحم الخطر ، وبعد برهة رجع ومعه المرأة ومن معها فأعطاه الغنى المكافأة فأبى أن يأخذها قائلاً : لا أبيع مروءتى بمال ، أعطه لهذه الأسرة فإنها في حاجة إليه .

٣ - كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعيش في البادية فعطش فانهى إلى عجز فاستقاه ماءً فقالت ما عندنا ماء . فقال لبناء ، فقالت : ما عندنا ، فبدرت جارية فقالت لها : تكذبين وما تستحين ! ثم قالت لعمر : هذا السقاء فيه لبن وقدمته إليه .

فسأل عمر عن الجارية فإذا أبوها ثقفى فخطبها على عاصم بن عمر فزوجها منه فولدت له أم عاصم فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمة الله عليه .

٤ - لما قتل سيدنا عثمان وتولى سيدنا عليّ الخلافة بعده قامت السيدة عائشة تطلب القصاص من قاتله ، وجمعت جيشاً فتغلب عليه سيدنا علي ودخل على السيدة عائشة وقال لها : كيف أنت يا أمة الله ؟ يغفر الله لك . قالت : ولك .

ثم أرسلها إلى المدينة معززة مكرمة ، وزودها بكل ما تحتاج إليه مع أربعين من نساء الصحابة .

٥ — كان الأسد لقب (ملك الانجليز) على رأس جيش من الصليبيين الذين يحاربون (صلاح الدين الأيوبي) ، فرض واحتاج إلى ثلج وشراب بارد ودواء ، فأرسل إليه صلاح الدين كل ذلك ، ودفعته مروة له هذا العمل الصالح ولم تمنعه العداوة التي بينهما من البر والإحسان إليه .

٦ — مرّ صمصمة بن ناجية جدّ الفرزدق برجل من قومه يحفر بئراً وامرأته تبكي فقال لها : علام تبكين ؟

فقلت : يريد أن يئد ابنتي هاته . فقال له : لم تفعل ذلك ؟ فقال : لفقرى . فقال : إني أشتريها منك بناقتي هاتين يتبعهما أولادهما فتعيشون بألبانهما ولا تئد الصبية . فقال : قد فعلت فأعطاء الناقتين وجلاً كان نحته ، وقال في نفسه : إن هذه لمكرمة ماسبقني بها أحد من العرب ، فجعل على نفسه ألا يسمع بموؤودة إلا فداها ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثمائة موؤودة وقيل أربعمائة .

وقال فيه الفرزدق مفتخراً بمروءته :

وجدى الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم تُؤدِّ

المثل الأعلى فى المروءة

٧ — حكى أن جندياً وجد فى طريقه صبيّاً يبكي وينتحب فسأله :

ما بك يا ولدى ولم تبكى ؟ فأجابه الصبي : أنا تعيس ياسيدى . فقال له :

ماذا جرى لك ، ولم أنت تعيس ؟

فقال : قضى الله على بالشقاء واليتم ؛ لأننى فقدت أمى وأبى منذ يومين ،
فقال الجندى : أنت تكذب يا صبي .

فقال : لا ياسيدى ، سل شيخ قريتنا ينبئك بالحقيقة .

فأخذه الجندى من يده وسار به إلى فندق قريب وقال لصاحبه : احتفظ
بهذا الصبي حتى أعود إليك على عجل .

وانطلق إلى مكان البريد ، وكتب إلى شيخ قرية الصبي يسأله عن حقيقة
حاله ، فوصل إليه الرد قائلاً : إن الغلام صادق فيما قال ، وإنه حقيقة صار يتيماً
وقال له فى آخر خطابه : أرسله لنا لعل الله أن يحسن عليه بعض قلوب أهل
الإحسان والمروءة ليعتنى به . فرد عليه الجندى : لا يا حضرة الشيخ فإننى
سأأخذه ولداً ، وسأكون له أباً حنوناً ، ثم رجع إلى الفندق وأخذ الصبي
وأدخله مدرسة بالمدينة ، وأنقذ رئيسها المصاريف المدرسية السنوية وقال له :
اعتنى بتربية هذا الصبي فهو ولدى ، وانصرف بعد أن أوصاه خيراً به ، وصار
يواليه من وقت لآخر حتى انتهت مدة دراسته ، ونال الشهادة الأولى فنقله
الجندى إلى مدرسة الجندية ، فلم تمض عشر سنين على الصبي ، حتى كان
فى مقدمة الجيش الفرنسى ، وصار جندياً عظيماً فجزى الله الجندى على مروءته
خيراً ، وهكذا تكون المروءة . فيا حبذا لو قام الناس بعمل الخير وفعل المروءة
ولكن مع الأسف قد ضاعت المروءة بين الناس حتى قال فيها الشاعر :

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت علام تنحب الفتاة ؟

فقلت : كيف لأبكى وأهلى جميعاً دون خلق الله ماتوا

العفة أو النزاهة

العفة أو العفاف أو النزاهة لغةً : الكف والامتناع عما لا يحل ولا يجمل ، والمتصف بها من الرجال : يدعى عفيفاً ونزيهاً ، ومن النساء : تدعى عفيفة ونزيهة .

وفي العرف : ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية ، وقمع الأهواء المختلفة التي تثيرها الشهوات البدنية ، وقصر النفس على الاكتفاء بما يقيم أودَّ الجسم ويحفظ صحته ، واجتناب الإسراف والتقتير ، ومراعاة الاعتدال في جميع الأحوال ، فهي وسط بين الإفراط (وهو الشره) والتفريط وهو جمود الشهوة .

العفة هي أسمى الفضائل ، وأشرف صفة للإنسان ، إذ بها يمنع نفسه عن ارتكاب الأمور الخسيسة ، والأحوال الدنيئة ، التي تنقص من قدره ، وتحط من شرفه ، وتجعله عند الناس محتقراً ذليلاً مهاناً .

ورأس العفة يتعلق بضبط القلب من الشهوات البدنية المتعلقة بالبطن والفرج ، ومن اعتقاد ما يكون سبباً جالباً للبغى والعدوان ، وتماها يتعلق بحفظ الجوارح .

فن حرم عفة القلب والعقل يكون منه التمنى وسوء الظن اللذان هما أس كل رذيلة ، لأن من تمنى ما في يد غيره حسده ، فإذا حسده عاداه ، وإذا عاداه نازعه ، وإذا نازعه أذاه ؛ وربما قتله ، ومن أساء الظن عادى وبغى وتعدى ، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عنهما فقال (وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) « ٣٢ النساء » .

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ) « ١٢ الحجرات » . فأصر فيهما بقلع أحد شجرتين يتفرع منهما
معظم الرذائل .

أقسام العفة

ولا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد ، واللسان ،
والسمع ، والبصر ، والفرج .

١ - فعة اليد: تكون بالامتناع عن أخذ أموال الناس بالباطل وسلبهم
حقوقهم ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بِأَيْدِيكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ، لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) « ١٨٨ البقرة » .

وتكون أيضاً بالامتناع عن أخذ أموال اليتامى وأكلها ظلماً وعدواناً
لقوله تعالى : (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا - ظلماً كبيراً) « ٣ النساء »

٢ - وعفة اللسان: تكون بترك الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وفحش

القول ، والسخرية والازدراء ، والهمز واللمز ، والتنازع بالآلقاب .

٣ - وعفة السمع: تكون بعدم الإصغاء لسماع القبايح والأقوال
المزرية ، والمحافظة على الأسرار وكتمانها لقوله تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ
أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) « ٥٥ القصص » .

وقال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ،
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) « من ١ إلى ٣ المؤمنون » .

٤ — وعفة البصر : تكون بغض البصر عن المحارم ، وزينة الحياة الدنيا
المولدة للشهوات الرديئة . قال تعالى : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) « ١٣١ طه » .

٥ — وعفة اللمس : تكون بحفظ الفروج وصيانة العرض ، لقوله تعالى :
(وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْكُمِينَ ، فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)
« ٥ إلى ٧ المؤمنون » .

وقوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْفُسُوهَا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ
أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْفُسْنَ مِنْ
أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) « ٣٠ ، ٣١ النور » .

وهذه العفة هي أهم الأنواع الخمسة ، وعماد عفة الجوارح أن لا يكلفها
صاحبها شيئاً مما يخص كل واحد منها إلا فيما يسوغه العقل والشرع دون
الشهوة والهووى ، لقوله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) « ٤٠ ، ٤١ النازعات » .

فمن أراد أن يكون عفيف النفس نزيهاً فلا يطلب من أحد شيئاً ، ولا
يأخذه منه بغير إرادته أو بدون وجه حق ، وإذا رأى عند أحد شيئاً أعجبه
فلا يحدق النظر فيه حسداً ، ولا يظهر رغبته في الحصول عليه طمعاً ، وإذا
وجد شخصاً يأكل شيئاً يشتهيهِ فلا يجلس بجانبه ليدعوه للأكل معه

ولا يلتفت إليه ، وإذا وجد في طريقه شيئاً (لقطة) فلا يأخذه ، وإذا أخذه
فليرده لصاحبه إن كان له به معرفة ، أو يذهب لإيداعه في دار الحاكم للبحث
عن صاحبه وتسليمه إليه .

وإذا سار في طريق فليغض بصره عن النظر إلى ما حرم الله ، لأنه تعالى
يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ؛ وقيل : من غض طرفه ، تم ظرفه كما قال
الشاعر في هذا المعنى :

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفاً
فإذا تمفف عن محارم ربه فهناك يدعى في الأنام ظريفاً
إخواننا صونوا الحياة بعفة ليس الفتى بسوى العفاف شريفاً
وإذا اجتمع بفتاة أو امرأة فلا يخونها في شرفها وعرضها ، بل يستعفف
كما أمره الله تعالى بقوله : (وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) « ٣٣ النور » . أى ليجتهد ويسعى في طلب العفة وكسر
الشهوة الذين لا يجدون ما يتزوجون به من المال حتى يرزقهم الله من فضله
بالشئ الذى لا يقدر على الزواج .

وهذا وعد من الله تعالى للعاجزين عن الزواج بالتفضل عليهم بالغنى
تقوية لقلوبهم ، وتسلياً لخاطرهم في الصبر على العفة .

ولذا حرم الله الزنا وقال في تحريمه : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا ^(١) إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً
وَسَاءَ سَبِيلًا) « ٣٣ الإسراء » .

(١) انظر جريمة الزنا في كتابنا [الأمراض الاجتماعية] وانظر ما قبل في العفة في كتابنا [تقويم الأخلاق]
الجزء الثالث .

مثال العذاف

حدث التاريخ القديم أن (ليلي' العفيفة) وصل خبر جمالها إلى ملك
الفرس في زمانها فاعتصبها من أيها، ولما ملكتها يده تحبب إليها فلم ترغب
فيه؛ لأنه لم يكن عريباً مثلاً، ولأن له ديناً غير دينها، وبقيت أسيرة عنده
مدة وهي نافرة منه حتى سلّها الخسف والنل بسبب كراهتها إياه وحنينها
إلى أهلها ووطنها حتى قالت في ذلك شعراً جاء فيه :

ليت للبراق عيناً فترى ما ألقى من بلاء وعنا
يكذب الأعجم ما يقربني ومعي بعض حشاشات الحيا
يابني تغلب سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكري'
احذروا العار على أعقابكم وعليكم ما بقيتم في الدني'
وقد كان ذلك سبباً في حصول حرب طاحنة بين العرب والفرس فشل
فيها ذلك الملك الطاغية وفك أسر ليلي' ورجعت إلى أهلها .

الغيرة

الغيرة: هي الأنفة والحمية على من يريد مشاركتك فيما هو من اختصاصك،
وقالوا: إن الغيرة طبيعة في المرأة لا فرق بين فاضلة ومفضولة، بل هي
محمودة في الرجال، لأن الله يغار، ورسوله يغار، والمؤمن يغار وقيل: لمن الله
من لا يغار على امرأته .

وقد تذاكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقال سيدنا سعد رضى الله عنه : والله لو وجدت رجلاً مع امرأتى لضربتته بالسيف .
فتعجب الصحابة رضوان الله عليهم من غيرة سعد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ، لَأَنَا أُغَيِّرُ مِنْهُ وَاللَّهِ أُغَيِّرُ مِنِّي » .
فكما أن الغيرة لله ولرسوله وللمؤمنين ، كذلك الله يغار ، ورسوله يغار ، والمؤمنون والمؤمنات يغارون ولكن في حدود المعقول والمنقول .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ ، وَإِنِّي لَمْ أَذْرِكْهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ : أَرْسِلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ . قَالَتْ : فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ : خَدِيجَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا »
وفي رواية : « فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا خَدِيجَةُ ؟ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ » (رواه الشيخان: البخاري، ومسلم) .
وكانت السيدة خديجة سيدة نساء زمانها كرم في زمانها كما روى الشيخان عن عليّ كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » .
وفي رواية البزار والطبراني « فَضَّلْتُ خَدِيجَةَ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي كَمَا فَضَّلْتُ مَرْيَمَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » .

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ تَغَارُ مِنْهَا وَتَقُولُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَمَا تَذْكُرُ إِلَّا عَجُوزًا مِنْ عَجَائِرِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشَّدَقَيْنِ (تعنى سقطت
أسنانها وبقيت اللثة حمراء ليس بها أسنان) قَدْ مَاتَتْ وَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا
مِنْهَا (تعنى نفسها لصغير سننها) فَفَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ :
« لَا وَاللَّهِ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا : آمَنْتُ بِى إِذْ كَفَرَ بى النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنى
إِذْ كَذَّبَنِى النَّاسُ ، وَوَأَسْتَنى بِمَا لَهَا إِذْ حَرَمَنِى النَّاسُ ، وَرَزَقَنِى اللَّهُ
مِنْهَا الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ » قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ فى نَفْسِى : لَا أَذْكُرُهَا بَعْدَ الْيَوْمِ بِسَيِّئَةٍ أَبَدًا .
وهاهى السيدة عائشة رضى الله عنها فى الحديث الأول تذهب بها الغيرة
كل مذهب عند ما تراه يوزع الخيرات على صديقات خديجة فتقول : كأنه
لم يكن فى الدنيا إلا خديجة ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : إنها (أى خديجة)
كانت وكانت ويأخذ فى مدحها ، والثناء عليها ، وعلى سجاياها ، ومناقبها الخالدة
التي لا تنسى ' أبدًا ، وأنها الولود التي تمتعنى الله منها بالذرية دون غيرها .

وبالرغم من كون السيدة عائشة كانت أعلم الناس ، وأفقه الناس ، وبالرغم
من هذه العظمة التي جعلتها فى الصف الأول من علماء الدنيا والدين كانت
تشعر بغيرتها على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم حتى من سيرة خديجة
وحب خديجة وإكرام من يحب خديجة وتريده لها وحدها لما فى الطبيعة
البشرية من حب الخير والحرص عليه .

وأى خير هذا الذى تتنافس عليه أمهات المؤمنين ؟ إنه محمد سيد الأولين
والآخرين ، ولكنها مقبولة مألوفة معتدلة مشروعة لا تفريط فيها ولا إفراط .

أما غيرة كل من الزوجين على الآخر من غير ريبة كتعدد الزوجات مما يكون شططاً وجحماً كغيرة الناس في دنيانا الآن ، وكذلك التفريط في الغيرة إلى درجة ألا يحس الرجل بحمية الرجولة فيبيع لزوجته أن ترقص في حفل راقص مع غيره ، كما يزعم أهل دنيا الزمن الفاسد بأنها مدنية فهذه النذالة التي كنا نظن أنها آخر سهم يصيب العروبة في أعزّ تقاليدھا عليها وهي الغيرة المحبوبة المطلوبة التي تعتمد الحب الأكيد والإخلاص الذي لا حدّ له . من هذا يتضح أن غيرة أمهات المؤمنين الطاهرات زوجات سيد الخلق صلى الله عليه وسلم كانت غيرة شريفة تكتنفھا مثل عليا من صفاء البشرية ووجودھا في أكمل مظاهرها .

والغيرة السامية في المرأة السامية والغرض السامي . هنا تكون الغيرة معنی إنسانياً لا بد أن يكون له من الإشراق والسمو بمقدار ما لصاحبه من إشراق واستعداد ، ومن هذا المثل العالی تنحدر الغيرة مع الطبقات وتسفل في النزول شيئاً فشيئاً حتى تراھا في صورة ذليلة وشهوة آثمة وحسد بغيض وخلق مريض ، كما تتجلى في المجتمع الذي نعيش فيه الآن ، وأظنني أعنى المجتمع النسائي بالضرورة ، فغيرتهنّ كاذبة ، وأكثرھا من النوع الرخيص المنحدر . وأنصح كل مراتب فيما أقول أن ينظر أسرة فيها زوجات متعددة لرجل واحد ، ثم لينظر إلى غيرة الضرائر وما يكتنفھا من سباب وضرب وإجرام أحياناً ، ثم أغراض هؤلاء اللواتي يتجرن في رجل واحد من هذه الغيرة الملعونة .

وعلى العموم فليس في الناس من يجهل أن المرأة شديدة الغيرة على زوجها ، وأن الرجل الحرّ العفيف عظيم الغيرة على زوجته ، وهذا الخلق محمود في كل من الرجل والمرأة ، إذا كان معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط ولا غلو ، ولا هوادة ، ولا ضعف .

حسن من المرأة أن تكون غيرة على زوجها ؛ لأن هذا دليل على عفافها واستقامتها .

أما من لا يغار على زوجته لا قليلاً ولا كثيراً ، فهو بالحيوان أشبه ، وما أكثر هذا النوع في هذه الأيام التي عمّ الفساد فيها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأما غيرة الرجال فإن كانت حقاً في كسب المال من طريق الحلال وتقدم الأعمال ، أي التقدم في العلم والدين ، والدفاع عن الدين والوطن والعرض فهي تعد غيرة شريفة ، وقد مدحها الله بقوله : (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) « ٢٦ المطففين » .

أما إذا كانت حباً في الطمع وكسب المال من طريق الحرام لا من طريق الحلال ، والتنازع بالألقاب ، فهي غير شريفة ، لأنها جشع وحقد وحسد ، وقد نهى الله عنها بقوله : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) « ١١ الحجرات » . أي لا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء حقداً وضمينةً ، وقد ذمها أحد الشعراء المتقدمين بقوله :

ما أحسن الفسيرة في حينها وأقبح الغيرة في كل حين
 من لم يزل متهمًا عرسه مناصبًا فيها لريب الظنون
 أو شك أن يغريها بالذي يخاف أن يبرزها للعيون
 حسبك في تحصينها وضعها منك إلى عرض صحيح ودين
 لا تطلع منك على ريبة فيتبع المقرون جبل القرين
 فهذه الآيات القليلة جمعت معاني كثيرة ، وهي أن السبيل الوحيد إلى
 عفة المرأة واستقامتها عفة زوجها واستقامته ، وأن سوء الظن بها أكبر باعث
 لها على الوقوع فيما اتهمت به .

أمثال في الغيرة

١ - « دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى زَوْجَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِهِ
 فَوَجَدَ عِنْدَهُمَا ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ (الأعمى) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُمَا يَقْرَأْنَ عَلَيْهِ
 الْقُرْآنَ ، فَغَضِبَ لِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَاتَبَهُمَا وَقَالَ لَهُمَا :
 احْتَجَبَا عَنْهُ . فَقَالَتَا : إِنَّهُ أَعْمَى يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يُبْصِرُنَا وَنَحْنُ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ
 فَقَالَ : أَفَعُمِّيَا وَإِنْ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ ؟ . »

٢ - لقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين غيورًا على زوجها نبي الله
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع يقينها بما هو عليه ، وبأن له غيرها من
 النساء الصالحات .

ويتجلى لك هذا فيما ورد « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بَعْضَ

المؤمنين إلى طعامٍ وذهبَ بهم إلى بنتِ عائشةَ فتأخَّرتْ عائشةُ في الطَّبْخِ ، فعلمَ بذلكَ بعضُ نِسائِهِ - ولعلها زينب - فأرسلتْ صَحْفَةً فيها طعامٌ ، فأخذَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأصحابُهُ يَأْكُلُونَ مِنْهَا ، فَلَمَّا عَامَتْ بِذَلِكَ عائشةُ أَحْضَرَتْ طَعامَهَا وَقَدَّمَتْ صَحْفَتَهَا وَنَحَّتْ (أبعدت) صَحْفَةَ ضَرَّتْهَا وَهِيَ غَضْبَى فَكَسَرَتْهَا . فقالَ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم : « كَلُوا فَتَدَّ غَارَتْ أُمُكُمْ - أَى لِحْقَتِهَا الْغِيْرَةُ - فَفَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ »

وَعَذَرَهَا الرَّسُولُ وَلَمْ يُؤَنِّبْهَا لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْغِيْرَةَ جَبِلَةٌ فِي الزَّوْجَةِ وَغِيْرَةُ مِنْ غَرَائِزِ الْخَيْرِ لَا مَفْرَ مِنْهَا ، وَلَكِنَّهُ عَاقِبَهَا عِقَابًا مَأْلُوفًا فَأَرْسَلَ لَزَيْنَبِ صَحْفَةَ عَائِشَةَ بَدَلًا مِنْ صَحْفَتِهَا الَّتِي كَسَرَتْ .

٣ - وَكَذَلِكَ كَانَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَدْ جَاءَ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ (عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ) بَعْدَ قَتْلِهِ لِمَهْطِهَا الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَعَامَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ فَشَكَتْ إِلَى أَبِيهَا . وَقَالَتْ : إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ ، وَإِنَّ عَلِيًّا قَدْ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَخَطَبَ النَّاسَ فَكَانَ مِمَّا قَالَ : « إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيْرَةِ اسْتَأْذَنُونِي فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَلَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُمْ ، وَإِنِّي لَسْتُ أَحْرَمُ حَلَالًا وَلَا أَحِلُّ حَرَامًا ، وَلَكِنْ

وَاللّٰهُ لَا يَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللّٰهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللّٰهِ عِنْدَ رَجُلٍ أَبَدًا ؛ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيدُنِي مَائِرِيْهَا وَيُرِيدُنِي مَائُوْذِيْهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا أَعْرَضَ عَنِ هَذِهِ الْخِطَابَةِ (الحديث بتمامه مذکور فی البخاری ومسلم).

الأمانة أس المعاملة

الأمانة : هي المحافظة على الحقوق ، وأدائها إلى أهلها في أوقاتها ، وهي من أجل الصفات الإنسانية ، وأعظم الأخلاق المرصية ، بها شرف المعاملة ، وعليها مدار الحياة ، وهي تستوجب ثقة الناس بكل من اتصف بها . وكفى بالمرء عزًّا وشرفًا أن يوصف بالأمانة ويقال له : الأمين . والأمانة من صفات الرسل والأنبياء ، وقد حتمَّ الله أن تكون فيهم ؛ لأنها لهم فضيلة كبرى ، وصفة عظمى .

فالأمانة صفة كلها نور وجلال ، فمن اتصف بها كان قلبه تقيًّا ، لأنه إذا أُوْتِمِنَ على سرٍّ أسرَّ إليه فلا يفشيهِ ولا يذيعه ، وإذا أُوْتِمِنَ على عرض حافظ عليه ولم يسه بسوء ، وإذا أُوْتِمِنَ على مال كان عليه حارسًا أمينًا ، وجنديًا مدافعًا . فليس أشرف من رجل يسرُّ الأسرار ، ويرد الأمانة إلى أهلها ، ويحفظ الأنساب ، ويعمل بالسنة والكتاب ، فيكون من عباد الله المتقين .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم معروفًا في قومه من أول نشأته بالصدق والأمانة ، حتى بلغت شهرته في ذلك أن سموه (الصادق الأمين) ، لأنه مصدر الأمانة المبارك ، فقد ائتمنه العرب على أموالهم وأولادهم وأرواحهم

قبل أن ينزل عليه الوحي السماوي ، فكان نعم الأمين . إذ حفظ الأموال في تجارتهم ، بل زادت ونمت ، وردّ إليهم أولادهم ، وأمن على أرواحهم بروحه ، فكان المثل الأعلى في الأمانة ؛ وكان من آثار تلك الشهرة الفاضلة أن سمعت به السيدة خديجة ، وكانت من ذوات الثروة في قريش ، فألقت بمالها إليه ليتاجر لها فيه من مكة إلى الشام وبالعكس ، ولما رأت أمانته الكاملة في المعاملة ، وأخلاقه الفاضلة ، وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره عرضت نفسها عليه فتزوجها ، فكان هذا الخلق الكريم ، خالق الأمانة ، أكبر أساس نافع عند البعثة حيث فاجأ قومه بدين جديد لم يكن لهم به عهد : فدم آلهتهم ، وسفه أحلامهم ، ونادى ' بيطلان ما كان عليه آبؤهم وأجدادهم ، ولم يكن يأت العرب ، وهم ممن تُعرف من البأس والقوة والعصبية الجاهلية ، آت بمثل ما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهم يد واحدة عليه ، لولا هذا الخلق المتين الذي عُرف به صلى الله عليه وسلم فيما بينهم أربعين سنة (وهو خلق الأمانة والصدق) .

فكان ذلك سبباً في قبول المستجيبين له ، وكسرًا لشوكة المعاندين الذين استمروا على كفرهم ، وبذلك شقت له الأمانة التي كان بها معروفاً طريقاً صالحاً لقبول الدعوة عند العقلاء المنصفين أمثال أبي بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة . فانظروا كيف كان خالق الأمانة الأساس الأول في قبول دعوة الإسلام وانتشاره .

هذه الصفة العالية التي اتصف بها سيد البشر ورسول الخير حبيب الله المصطفى لم لا نتصف بها جميعاً ، ونقرب بيننا وبين أسلافنا مسافة الخلف ، ونكون أحب أمة إلى الله ونحن أحق بهذا الحب ، فإذا أراد المسلمون الآن أن يفتحوا أعين الناس لهم ، ولما يعتنقونه من دين حق ، ويرفعوا عن أنفسهم كابوس الاضطهاد الواقع عليهم من الأم المتغلبة ، فاعليهم إلا أن يتمسكوا بتلك الفضائل التي كان متصفاً بها نبيهم صلى الله عليه وسلم فيعاملون بالأمانة البالغة بعضهم مع بعض ومع الأجانب حتى يبرز أمرهم وتشتهر أمانتهم ، كما كانت أمانة المصطفى صلى الله عليه وسلم مشتهرة بين قريش حتى سموه الصادق الأمين .

والأمانة كما وصفها المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ « محمد مصطفى المراغى » شيخ الأزهر السابق ، في البحث المنشور بجريدة المصرى الصادرة في ١٢ / ٨ / سنة ١٩٤٦ هـ :

« كل حق عندك للغير تؤديه : فالدين أمانة ، والوديعة أمانة ، والمميّار الحق في الوزن والكيل أمانة ، ونصح الناس أمانة ، وللزوج على الزوجة حقوق هي أمانة ، ولها عليه حقوق هي أمانة ، ودم الإنسان وعرضه وماله أمانة ، وسره أمانة .

ومن الأمانة أن لا ينظر بعينه إلى محرم عند جاره أو غير جاره ، كذلك من الأمانة ألا يستعمل سمعه في سماع خفش أو باطل ، وألا يستعمل اللسان إلا ليقول به حقاً .

وكل ما يطلبه الدين منا من خير أمانة ، وكل ما يطلب تركه من شرٍّ أمانة . وكل شيء ليس لك إذا اعتديت عليه فقد خنت الأمانة .
والحكام عندهم أمانة للعامة أن يعدلوا بينهم ، والعامة عندهم أمانة للحكام أن ينصحوهم ويحموهم على ترك الباطل .

فلو اشتهر المسلمون بالصدق والأمانة بين الأمم حتى سمو بالصادقين
الأمناء ، لا اكتسبوا فائدتين عظيمتين :

الأولى ، مثلوا دينهم أصدق تمثيل ، وبلغوه للأمم أحسن بلاغ .
والثانية أن يعيشوا أسياداً مستقلين ، فإذا ما رأى شعوب العالم أو شعوب الأمم المتحضرة ، أن المسلمين في بيئاتهم المختلفة أرقى الناس أخلاقاً ، وأوفرهم أمانةً ، وأصدقهم معاملةً ، وأحزمهم أمراً ، وأصحهم تربيةً ، وأنظفهم مساكن وبلاداً ، وأنشطهم عملاً ، كان ذلك أكبر داع للالتفات إليهم ، وللاخذ عنهم ، وللإيمان بدينهم ، والتعاقد معهم في الحياة .

وبعكس ذلك إذا كان المسلمون على سوء في الأخلاق ، يعامل بعضهم بعضاً بالغش والخيانة والأذى ، ويعاملون الأجانب كذلك ، واشتهر عن تجارهم سوء المعاملة مع البلدان الأخرى ، واصطناع الإفلاس حتى أصبحت المصانع والشركات في الخارج لا تثق في المعاملة إلا مع وسطاء وسماسرة من جنسها وملتها ، وبذلك ضاع على كثير من تجار مصر والهند أعظم الفائدة إذ اشتهر ذلك عن ناس من المسلمين فإن ذلك يكون سمعة سيئة للمسلمين ، ولا يفهمه الأوروبيون ، إلا أن هذا نتيجة إسلامهم ودينهم فيتضافرون عليهم وعليه ،

كما هو مشاهد الآن ؛ ويبيء المسامون الذين يفعلون ذلك بذنوب عظيمين :
ذنب إهمالهم في دينهم وعدم عملهم به ، وذنب تنفيرهم الأجانب منهم .

وكما يبيءون بذنوب عظيمين ، يبيءون بمقايين كبيرين : عقاب في الدنيا
بتغلب الأمم الأجنبية عليهم ، وكفى بذلك شرًّا وهوانًا وخسرانًا ؛ وعقاب
في الآخرة (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) « ١٢٧ طه » .

فليعلم كل مسلم يصيب ذنبًا من الذنوب أنه بفعله هذا الذنب يضرب
سهمًا في صدر الإسلام ، وأن هذا السهم عائد عليه لا محالة بالذل والهوان ،
وسوء العقبي ' ولا كلام .

فالكاتب إذا لم يكن أمينًا كانت معرفة الكتابة سببًا في تزوير
العقود والسندات ؛ والمأذون إذا لم يجد من نفسه ذمة اختار الأقوال الضعيفة ،
والمذاهب المهجورة ، والحيل للعمل ، وغير شرع الله ، وسعى ' في جلب المهرج
وإفساد النظام ، والحداد إذا لم يكن ذا ذمة أيضًا اشترك مع اللصوص وصنع
لهم المفاتيح والعدد التي تعينهم على السرقة وهكذا .

والخلاصة : أن الأمانة ملاكة نظرية في النفس ، من آثارها العدل
والانصاف ، واحترام حقوق الناس على اختلاف مللهم ونحلهم .

وإذا أردنا أن نتصورها تصوّرًا بارزًا فلنتصور السرقة فإنها جريمة شنيعة

تتضافر القوى والشعور والأم على استبشاعها وتحقير نفس صاحبها .

وما السرقة إلا نوع من الخيانة التي هي ضد الأمانة ، وبضدها تتميز
الأشياء ، فبقدر ما نحس في أنفسنا باستبشاع السرقة ، واستحقاق صاحبها

لقطع يده التي هي سلاحه للدفاع عن حياته ، والآلة التي بها معاشه ومصالحه بحكم الشارع الحكيم . ماذا إلا لشدة استبشاع الخيانة ، واختلاس حقوق الناس ، وبقدر ذلك تكون عظمة الأمانة واحترام الحقوق وإيصالها لأصحابها .

أوامر الله تعالى ورسوله وحكم السلف الصالح في الحث على الأمانة

١ - قال الله تعالى في كتابه العزيز : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) . « ٥٨ - النساء » .

أى نعم ما يعظكم به من الأمر بأداء الأمانة والحض عليها ، وأى إعلان لشرف الأمانة وعظم قدرها من قول الله تعالى : نعمًا يعظكم به عليها ؟ وماذا تكون إجابتنا له سبحانه وتعالى في شيء يمدحه لنا هذا المدح ويقول لنا فيه هذا القول العظيم ونحن عن العمل به غافلون بل مهملون ؟

وما أسند الأمر إلى اسم الجلالة المعظم المفخم إلا لعظم شأن الأمانة وخطر أمرها ، وجمع الأمانات لتنوعها .

فمن كانت في يده وديعة ، أو عارية ، أو أرض ، أو بيت ، أو عمل ، أو أطفال يعلمهم ، أو وظيفة يقوم عليها ، فأيؤدها على الوجه المشروع شرعًا ، لأن ذلك داخل في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) ، ومن أجل ذلك جاءت الأمانات بصيغة الجمع .

والناس الآن كلهم ، أو معظمهم يسيرون في سائر معاملاتهم على العادة الجارية فيما بينهم في هذه المعاملة من غير نظر ولا فكر في أن الله سبحانه وتعالى له حكم شرعى في المعاملة .

فالتاجر يجرى على ما تعرف بين التجار في تصرفاتهم من خلط الردىء بالخير ويبيعه باسم الخير ، وهكذا أصبحت التجارة أن يلبس التاجر الصفقة إلى المشتري بكل ما أوتي من دهاء وحيلة ؛ وأصبحت تصرفات التجار في مبيعاتهم سرًا مكتومًا لا يعامه المشتري ، وذلك هو (الغرر) الممنوع شرعًا المفسد لعقود المبيعات ، وكذلك المحامى إنما يهتم ويغير في مصلحة موكله بقدر ما يفيض عليه من مال ناسيًا أحكام الوكالة الشرعية ، وهو لا يفكر في أنه يسأل عنها كما يسأل عن أحكام الصلاة والصوم ؛ بل ربما خان الأمانة واتفق مع الخصم وعمل لمصلحته دون مصلحة موكله إما محاباةً ومجاملةً له ، وإما نظير دين عليه ، أو نظير دراهم معدودة ، وكذلك الطبيب والموظف ، وكذلك سائر الطوائف في معاملاتهم إلا من عصم ربك حتى إنك لتجد الرجل صالحًا يتحدث لك في الدين ، ويهتم بالصلاة والصيام ، فإذا ما انتقلت معه إلى خصوص حالته المالية ، أو كسبه المعاشى من حيث ما هو حلال في ذلك أو حرام ؟ تغير منك وغضب ، وكأنما رآك دخلت في فضول من شأنه ليس لك أن تتحدث معه فيه ، ولا يقبل منك بحال أن تغير عليه ما هو متبع عنده من تقاليد وعادات في تجارته وكسبه .

فهل هؤلاء الذين آمنوا بالإسلام في العبادة والصلاة والصيام ، وما إلى

ذلك مما ليس فيه معاملة مع الفير، ثم امتنعوا عن أن يسألوا في حكم الله في معاشهم ومكاسبهم المالية، وعما يدخل عليهم من الحرام، هل يقال لهم إنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ماداموا مصرين على عدم التفكير وعدم القبول لأى تدخل حكم شرعى في مكاسبهم؟ الحق أن هؤلاء على خطىر عظيم، وأن مسألتهم هامة، وأنهم يجب عليهم أن يفكروا في نظام معاشهم ومكاسبهم، وأن ينسجوا ذلك على منوال الشرع الشريف فإن الإسلام جاء بالعبادات وبالمعاملات، حتى إنك لترى العبادات في كتب الفقه الإسلامى إنما هي ربع، والثلاثة أرباع معاملات، فهل درسها المسلمون؟ وهل انتشرت أحكامها فيما بينهم؟ وهل عنى التاجر المسلم، والموظف المسلم، والمقاول المسلم والخبير المسلم، والبناء المسلم، والنجار المسلم، والحداد المسلم، والمحامى المسلم، والطبيب المسلم، إلى آخر طوائف المسلمين بأحكام دينهم في مهنتهم التى يتغذون منها؟ ولا يصلح جسم تغذى من حرام ونبت من حرام ولا تصلح أمة لا تعمل بأحكام دينها.

٢ - وقال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) «٨ المؤمنون»
قد أفادت هذه الآية أن من شأن المؤمن أن يحفظ الأمانة والعهد وذلك على رأى أكثر المفسرين عام فى كل ما ائتمنوا عليه، وعوهدوا به من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالتكاليف الشرعية، والأموال المودعة والأيمان الموثقة، والنذور الملتزمة، والعقود المحترمة، ونحو ذلك.

وإنما جمعت الأمانة دون العهد لأنها متنوعة متعددة جدًا بالنسبة إلى كل مكلف من جهته تعالى ، إذ لا يكاد يخلو مكلف من ذلك بخلاف العهد فلا يطرد فيه ذلك .

ويراد بالعهد ما عاهدهم الله عليه مما أمر به سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويكون المراد برعيه حفظه عن الإخلال به ، وذلك بفعله على أكمل وجه . وعلى هذا يكون حفظ الأمانات كالتخلية ، وحفظ العهد كالتخلية .

وقد أخبر الله تعالى بأن من خصائص المؤمنين المفلحين رعى الأمانات والعهد حيث قال في أول سورة المؤمنون ، (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) إلى أن قال : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) .

وقد وعدهم بالفردوس أى الجنة ، والخلود فيها فقال تعالى : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) « ١٠ ، ١١ المؤمنون » نسأله تعالى أن يوفقنا لحفظ الأمانات والعهود لنكون مع أولئك المؤمنين المفلحين .

٣ - وقال تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (٧٣ الأحزاب)

المعنى : لما كانت الأمانة من التكاليف الشاقة وكانت حملاً ثقیلاً ففيها انطوت التكاليف الشرعية وهي تحفها ، المسكاره عرضها الله تعالى وجلّت قدرته على السموات والأرض والجبال ، وهي أصلب عوداً ، وأقوى أوتاداً نخفض منها ، وأعرضن عنها ، وأبين قبولها وحمّلها لأنها أحست بالعجز وخشيت عاقبة التقصير أمام بارئها فلم تقو على إطاقتها وحمّلها ، وفرت منها تبغى النجاة من سوء العاقبة .

أما الإنسان فقد وجد الله تعالى فيه استعداداً ، وجده أهلاً لحملها والتغلب على شهواته وكبح جماح نفسه فحملها ظالماً لنفسه ، جاهلاً عاقبة أمره .
فبالأمانة تنتظم مصالح العباد ، ولا يعنى بها ولا يودها على وجهها إلا القليل ، وأهلها هم المفلاحون كما ذكر في الآية السابقة .

وبعض المفسرين يقول : إن الله عزّ وجلّ ألقى بأوامره ، ونواهيه إلى السموات والأرض والجبال والإنسان ، فأصبحت هذه الأوامر والنواهي أمانة في أعناق هذه الكائنات ، فأما السموات والأرض والجبال فأدين هذه الأمانة ، وقن بما خلقن له خير قيام ، وأبين أن يحمان الأمانة بدون أداء لها أخذاً من قول العرب فلان لا يحمل الضيم ، أى لا يركبه الضيم ، كذلك هؤلاء أبين أن يحملن الأمانة ، أى أبين أن تركب ذممهم بدون أداء .

أما الإنسان فإنه تحمل الأمانة بمعنى أنه لم يؤدها ، وأنه لم يفعل ما أمر به ، ولم يقيم بما خلق له كسائر الكائنات إنه كان ظلوماً جهولاً .

وبعضهم يقول : إن الآية من قبيل التمثيل ، وأنها كناية عن التكاليف

الشرعية لها خطرهما ، وأنها لو كانت ثقلاً لما تحملتها السموات ولا الأرض ولا الجبال وأنت أيها الإنسان تحملتها .

فياياك والاستخفاف بها ، وفي ذلك تفخيم شأن الأمانة أيما تفخيم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أُتِمَّتْكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضى الله عنه : « عَلِمْتُكَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ » .

وقال عمر بن الخطاب : لا يعجبكم من الرجل طنطنته ، ولكن من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل .
وقال الإمام عليّ : أداء الأمانة مفتاح الرزق .

وقال مصلح الدين السعدى : كُنْ ثَابِتًا فِي الْأَمَانَةِ وَإِلَّا كَانَتْ مَسَاعِيكَ بَاطِلَةً .

وقال أحد الشعراء :

وَإِذَا أُوتِمْتَ عَلَى الْأَمَانَةِ فَارْعَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْأَمَانَةِ رَاعِي
وقال آخر :

أَدِّ الْأَمَانَةَ وَالْخِيَانَةَ فَاجْتَنِبْ

واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

فيا أيها الإنسان كن أميناً في تجارتك وصناعتك وعملك ، أميناً

في معاملتك مع الناس ، أميناً على أسرار إخوانك ، فمن عرف بالأمانة خصته القلوب بصدق المحبة والمودة ، ونطقت له الألسنة بالشكر والحمد .

واعلم أن الصادق في قوله ، الوفي بعهده ووعدده ، الأمين على ما أوّمن عليه مقرب من الله ، منهم في أهله ، محبوب من الناس أجمعين . إن قال قبل قوله ، وإذا طلب أجيب إلى طلبه ، أموال الناس أمواله ، وثروتهم ثروته ، يدفعون إليه ما يحتاج إليه من أموالهم ، طيبة نفوسهم ، منسوحة صدورهم ، واثقين برد أموالهم إليهم بلا مماطلة ولا تسويق .

هكذا كان سلفنا الصالح ، كان الصدق دينهم ، والأمانة شعارهم منتشرة بينهم ، فكان الواحد منهم يقرض أخاه ما يطلب بلا وثيقة شرعية ولا رهن ولا ضمان ولا شاهد غير الله سبحانه وتعالى ، وكان المقرض حريصاً على رد ما اقترضه إلى صاحبه ، متى سهل الله له إلى الوفاء سبيلاً ، فكان الأغنياء كرماء ، والفقراء صادقين أمانة ، فلنحذ حذوهم ، ولنتشبه بهم .
عملاً بالقول المأثور : * إن التشبه بالرجال فلاح *

أمثلة على الأمانة

١ - افتتح تاجر متجرّاً في أحد الأحياء ، وكان يبيع الأصناف الجيدة بأثمان معتدلة قائماً بربح قليل ، ولا يخش حريفاً ، ولا يبخس في السكيل أو الوزن ، فلم يمض عليه زمن طويل حتى راجت تجارته ، واتسعت أعماله ،

وقصده المشترون من الجهات البعيدة ، وأصبح موثقاً به منهم ، فأفاد من ذلك أموالاً طائلة .

٢ — واعتاد حذاء أن يحافظ على مواعيده ، ويتقن صناعته ، وينتقى الأنواع الجيدة المتينة من أدوات الصناعة ، فلم يلبث أن اشتهر وذاعت شهرته فأقبل عليه الكثيرون .

٣ — واشتهر رجل بالصلاح والتقوى ، والأمانة بين أهل بلده ، فوثقوا به ، وصاروا يودعون لديه ما يخشون عليه الضياع أو السرقة من أموالهم وحليهم وهو من جانبه يردّها إليهم بتمامها متى طلبوها حتى صار مؤتمناً من الجميع على الأموال والأسرار ، لا يخون في مال ولا سرّاً ، محبوباً منهم ، مسروراً بهم وهم به مسرورون .

فهذا التاجر قد استفاد ثقة الحرفاء ، وازداد ربحه ، ونمت تجارته بحسن أخلاقه وصدقه وأمانته ، والحذاء قد اكتسب مودة من عامله ، وأقبل الناس عليه من كل جهة بمحافظته على مواعيده ، وإتقان صناعته ، وتجنبه الغش والكذب ، والرجل التقى الصالح قد اطمأن الناس إليه ، وأودعوه أموالهم ، وأسرارهم لأمانته ، ومحافظته عليها . وهذه كلها صفات كريمة وأخلاق قوية أسعدت من اتصف بها ، وجعلته موضع احترام الناس ، ومحبتهم وثقتهم .

وعلى العكس أضدادها ، فلو أن ذاك التاجر غش من يشتري منه ، ونقص

فى الكىل والمىزان ، وباع الأصناف الرديئة باسم الأصناف الجيدة ما اشتهر أمره ، وانفض الناس عنه ، فبارت تجارته وأصابها الكساد والخسران .

وكذلك يكون شأن الحداد إذا ما أخاف مواعيده ، ولم يتقن صناعته يكون معسيره الإفلاس والفقر ، ولو أن هذا الصالح التقى سولت له نفسه خيانة الأمانة فبدد أموال الناس ، وأفشى أسرارهم ، ما استطاع أن ينجو من شرهم ، أو يفلت من ضررهم .

فالإنسان ذو الخلق الكريم يشعر براحة واطمئنان وسلام لصفاء نفسه ونقاءها ، أما ذو الخلق السىء فيشعر بقلق واضطراب وتبلبل ، لوجود حرب بين عقله وشهواته الشائنة .

فالسعادة بحق ثمرة الخلق الكريم ، والشقاء نتيجة الخلق الذميم .

مجلة نشر الفضائل العدد ٢٧ السنة السادسة

خطبة في أنه لا ثقة بقوم ضيعوا الأمانة

الحمد لله الذي لا يخلف الميعاد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مُرشد العباد ، للهُدى والرِشاد .

أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله أمر بحفظ الأمانة ، وأشهد أن محمداً رسول الله حذرنا من الغدر والخيانة ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه رُعاة الذمم ، كبار العزائم والهمم .

بَيْنَ الناس تعامل لا غنى لهم عنه ، ولهم مع بعضهم صلوات لا مفر منها ، ولا يستطيع أى إنسان أن يعيش منعزلاً بمفرده ، ولو كان أغنى الناس فلا بد من الأخذ والعطاء ، والبيع والشراء ، واستخدام الخدم ، والتعامل مع العامل والصانع ، واختلاط بالجار والزميل ، والصاحب والصديق ، والاستعانة بأهل الخبرة في الأعمال ، واستشارة النصحاء في أغاب الأحوال ، هذا طبع الإنسان ، وتقدير العزيز الحكيم .

وكما أن حياة الأجسام بالأرواح ، فكذلك حياة الأعمال بالثقة المتبادلة ، وسر نجاحها الاطمئنان والثوق ؛ فبالثقة تنتظم أمور العباد ، وتستقيم أعمالهم وتنجز شئونهم ، وتؤدى مصالحهم على أحسن حال ، وبالثقة وحدها يربح التاجر في تجارته ، وينجح العامل والصانع في صنعته ، ويفوز الموظف بعلاوته ودرجته .

بالثقة ينتصر القائد في الحرب ، ويتغلب الزعيم على كل صلب ؛ فإذا انعدمت الثقة بين الناس ، وذهب الاطمئنان ، وأصبح كل يخاف من أخيه ،

ويخشى صاحبه ، إذا شككنا في ذمة التاجر لكثرة كذبه ، وترددنا في
معاملة الصانع خلف وعده ، وصرنا نتوقع الشر من عملائنا ومعارفنا ،
اضطربت أمورنا ، وتعطلت مصالحنا ، واختل نظامنا ، وشلت حركتنا ،
وفسد عملنا .

إذا ضاعت الثقة خسر التاجر ماله وشرفه ، وفقد القائد نفوذه وساطته ،
وفقد الزعيم زعامته وهيبته ، فتشقى 'الأمم وتضيع الشعوب .
ولن تكون ثقة إلا عن أمانة ووفاء ، ولن يطمئن الناس إلا لخاص أمين
صادق كريم .

فالأمانة رأس الأمر ، وأُس النجاح ، وسرُّ التقدم والفلاح ، وسبب
تقدم الأمم .

والخيانة هي علة الشقاء ، ورأس البلاء ، ومحول الهدم والدمار ، وسبب
الضياع والخسران ، لهذا جاء الإسلام بالأمانة ، ونبذ الغدر والخيانة . قال
تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ،
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٢٧ الأنفال) .

وامتدح المؤمنين أهل الفلاح بقوله : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاضُونَ) (٨ المؤمنون) .

فالؤمن يحفظ الأمانة والعهد ، ويصدق الوعد ، وينجز عمله ، ويمضى
قوله ، فإذا ائتمنته على سر كتبه ، أو مال حفظه ، أو على عرضك صانه ، أو على
ولدك أصلح شأنه ، أو على عملٍ أدّاه ، أو على حق وفّاه .

المؤمن لا يؤلم الناس بخلف الميعاد ، فيطول انتظارهم ، ولا يضايقهم بتأخير أعمالهم فتضيع مصالحهم .

المؤمن يحفظ الأمانة مع نفسه فلا يخونها بالإثم والعصيان، ويرعى أمانة غيره فلا يغشهم بالزور والبهتان ، ويرعى أمانة دينه فلا يخالف تعاليم الإسلام ، ويرعى أمانة ربه فلا يغير قوله تعالى ؛ ولا يبدل شرعه ولا يحرف قوله ، فالناس عنه راضون ، وهو عن نفسه راض وربه تعالى شمله برضوانه ورضاه ؛ لأنه أطاع مولاه حيثما قال : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) « ٥٨ النساء » .

فهل من الإيمان أن يخون التاجر الأمانة فيكيل للناس بكيلين ، ويقابل الناس بدمتين ، ويحلف كاذباً بمن خلقه ، ويعاند الله وهو يرجو منه الربح ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ غَشَّ أُمَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .

هل من الإيمان أن يأتعنك إنسان على ماله فتتكره ؟ وعلى عرضه فتنتهكه وعلى بيته فتفسده ؟ وعلى ملكه فتبدده ؟ وعلى أولاده قتهملهم ؟ أو يأتعنك على نفسه فينام معك مطمئناً فتقتله ؟ أو على زرعه فتقتلعه ؟ أو يأتعنك شريكك فتغتاله ، وقد خاطبك الله بقوله : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) « ٩١ النحل » وبقوله : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)

« ٣٤ الإسراء » وقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) « ١ المائدة »

صِرْنَا أُولَ الْأَصْرِ فِي خَرَابِ الذَّمِّ ، وانحطاط الهمم : المحامى أمين على حق موكله مؤتمن على مستنداته ، ولكنه طلق الأمانة ، وصاحب الخيانة ،

فبيع أوراقه لخصمه ، ويطلعه على مستنداته . القاضى أمين على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم ، فإن حابى' أو تحيز فقد خان أمانته . المأمور ، والمدير والعمدة ، والوزير ، إن قرّب الأقوياء وظلم الضعفاء ، وأقبل على الغنى وطرده الفقير فهو خائن آثم ، مستبد ظالم . الزعيم الذى يساوم فى حقوق بلاده ، ويتهاون فى مصالح أمته ، فهو شيطان مسخر للدخيل ، وخائن لأمانة لا يستحقها . الصديق الذى يزق صكا لصديقه ، أو حجة تثبت ملكه ، أو وثيقة له على الغير خائن لعهد الصداقة ، بعيد عن حقيقة الإيمان .

فالؤمن حافظ الأمانة ، يرمى' العهد ، وينجز الوعد ، ويرجو رحمة ربه . قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ، وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) «٥٠ البقر» . لقد كنا لزمنا قريبا يقترض الرجل مالا من جاره لا يطلع عليهما أحد ولا تكتب (كميالة) بالدين ، ولا سند ، ولا يضيع حق ، ولا يذهب مال لشدة الثقة ، وتأصل الأمانة ، واليوم لا يأمن الوالد ابنه مهما أعطاه من ضمان ، لقد كان المرء يخرج من مدينه أن يراه قبل سداد دينه ، فأصبح المدين يضرب صاحب الدين بالنعال . الوصى يستغل القصر ، ويستذل اليتامى ليشبع خيانتة ، ناظر الوقف يغتال المستحقين ليملا خزائنه ، ويجمعهم ، ويوقعهم فى الديون ليحرمهم . العالم يخون العلم بقوله وعمله . الغنى يخون النعمة بشحه وبخله . وما ساءت أحوالنا إلا لضياع الأمانة بيننا . قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ أَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَذَقَتْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) «٧٥ إلى ٧٧ التوبة»

الأمانة من الصفات الواجبة للرسول عليهم الصلاة والسلام ، فهم محدثون ناعن
أوامر الله ، وهم أمناؤه الأولياء ، والامانة من الصفات التي امتدحها الله واتصف
بها فقال في كتابه الكريم : (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) « ١١١ التوبة »
(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) « ٨٧ النساء » . وقال صلى الله عليه وسلم :
« خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدُ قَوْمٌ
يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيُنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ
وَيُظْهِرُ فِيهِمُ السَّمَنُ » وقال صلى الله عليه وسلم : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ
مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى
يَدَعَهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا
خَاصَمَ فَجَرَ » . وقال على رضي الله عنه : « كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَطَلَعَ
عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبَرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ فِي هَذَا
الدِّينِ وَالْأَيْنَةِ . فَقَالَ : أَلَيْتُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
وَأَشَدُّهُ يَا أَخَا الْعَالِيَةِ الْأَمَانَةُ ، إِنَّهُ لَا دِينَ بَيْنَ لَا أَمَانَةٍ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ ،
وَلَا زَكَاةَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاهُ . ثَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ . »
وقال صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يُبْسُ الضَّجِيعَ
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بُسَّتِ الْبِطَانَةَ » عن كتاب الوعظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود علي أحمد

الخيانة وسوء عاقبتها

الخيانة: هي مخالفة الخالق ، وعدم اتباع الحق ، ونقض العهد ، والغدر بالذمة والشرف ، وهي دليل على خسة الطبع ودناءة النفس ، وقد ذمها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) .
(١٠٦ النساء)

وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ) (٥٢ يوسف) . وقال تعالى : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)
(٥٩ الأنفال)

وقال تعالى : (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (١٠٤ النساء) .
وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (٣٨ الحجج) .

فمن كان مستخدماً وتصرف في مال سيده أو قصر في واجبه، عُدَّ خائناً ، وإن كان موظفاً ولم يقم بواجبه عُدَّ خائناً ، وإن كان طبيباً ووصف للمريض علاجاً مخالفاً لمرضه قصداً وعمداً اعتبر خائناً ، وإن كان صيدلياً وليس عنده أجزاء الدواء وركبه ناقصاً ، أو مغايراً ، وأظهر لصاحب الدواء أنه تام فهو خائن ، وإن كان محامياً وقصر في أداء مهنته ، أو اتفق مع الخصم عُدَّ خائناً وإن كان قاضياً ولم يحكم بما أنزل الله عُدَّ خائناً . وإن كان تاجراً وخلط البضائع الرخيصة بالغالية بحيث لا يعلم أحد أنها مغشوشة ، أو خلطها بمواد

مضرة بالصحة كان خائناً . وإذا باع لأحد بضمن يزيد على الثمن المعلوم زيادة لا يتسامح فيها عادةً كان غابناً ، وإذا غش في المقادير باستعمال موازين أو مكييل أو مقاييس ناقصةً مزورةً كان غاشياً خائناً ، والسارق الذى يسرق مال غيره خفيةً أو جهاراً فهو خائن ولا محالة ؛ والنصاب الدجال الذى يتمكن من الاستيلاء على مال الغير بطريق الحيلة والخداع هو خائن بلا شك ، والذى لا يحافظ على أموال الناس المودعة عنده أمانةً ويتصرف فيها لنفسه هو خائن أيضاً ، ويقال له : أؤتمن نخان ، وهذا العمل يعبر عنه بخیانة الأمانة ، وخيانة هذا الأجير أشد وأفظع ؛ لأنه أؤتمن على المال من قبل صاحبه وظن فيه الأمانة فدفع إليه المال واعتمد على ذمته وقال له : خذ هذا المال عنده أمانةً تردها إلى حين عودتى إليك ، أو تنفق منها فى كذا وكذا مما هو شرعى ونافع ضرورى ، ثم أحاسبك عليه ، فتدفع إلى مابقى بعد ذلك ، نخان الأمانة وغدر بالذمة ، وأساء التصرف ، واغتال المال ، وعقابه عند الله عظيم ؛ لأن الله تعالى نهاه عن ذلك بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) « ٢٧ الأنفال » .

وعقابه فى القانون شديد ؛ لأنه خان الأمانة ، فكيف يكون مبلغ فظاعته ؟ وكيف تكون درجة قبحها إذا كان المال الذى أؤتمن عليه مال يتيم قاصر ؟ أو كان المال مال الله : أى مال مسجد للعبادة لإزالة المصاييح ، وفرش المسجد ونظافته ، أو كان موجهاً لجهة خيرية عامة المنفعة للفقير والمساكين ، كالتكيا

والمستشفيات والملاجئ . حقاً إن الخيانة في هذه الأحوال تكون قد وصلت إلى أقصى درجاتها ، وبلغت منتهاها .

وخيانة الأمانة لا تكون في المال فقط ؛ بل في النفس ، والعرض ، والأولاد ، والرسائل ، ومصالح الناس عامة ، فمن ائتمنك على نفسه فقتلته ، أو على عرضه فهتكته ، أو على أولاده فلم تقم بواجبهم ، وتهاونت في قضاء مصالحهم ، فقد خنت الأمانة .

ومن ائتمنك على صكوك ، أو مستندات ، أو وثائق فزقتها ، أو سلمتها لخصمه بالجان ، أو بالثمن ، أو داره فأهملت شؤونها ولم تقم بالمحافظة عليها ، أو عمارتها إن كان لديك مال له فقد خنت الأمانة .

ومن ائتمنك على قضاء مصالحة له ، وسامك أوراقها ومستنداتها ، ثم بعد ذلك اتفقت مع خصمه على عمل ضدها فقد خنت الأمانة .

ومن أوّمن على رسالة يبلغها فغيّر فيها وبدّل ، أو على علم فلم يبلغه كما سمعه بل دسّ فيه وحرّف ، أو على نفس يؤدبها قتهاون في تأديبها فقد خان الأمانة ومن أوّمن على مصالحة بلد ، أو مركز ، أو مديرية ، أو قطر ، كمدة أو مأمور ، أو مدير ، أو رئيس حكومة ، أو ملك ، فلم يبذل جهده في مصالحة من ولاه الله أمرهم ، ولم يقم بالواجب عليه ، أو تهاون في حقوقهم أو ظلمهم وبعى عليهم ، أو حابى أغنياءهم ، وذوى الجاه منهم ، أو ذوى قرابته ، أو سمع شكوى ذوى المسكينة فيهم ، وأعرض عن فقرائهم وعاقبهم ، فقد خان الأمانة .
والخلاصة أن الخيانة من أكبر الجرائم ، فضلاً عن كونها عاراً يابح

الإنسان في حياته ، ولا يزول بعد مماته ، وأكبر ذنب يحنيه المرء على نفسه وأهله وأمته ؛ لأنها تجلب البلاء والشقاء ، وتخلق النزاع والمخاصمات ، وتوقظ الفتن ، وتنتهي بقطع الصلات ، وربما أدت إلى إزهاق الأرواح .

فلا جرم إذن إذا دعانا الله إلى اتباع سبيل الأمانة ، ونهانا عن الغش والخيانة . وجاء في الحديث الشريف : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » وإنها لسبة عظيمة بين الناس ، وجريرة ظاهرة الأثر في الهيئة الاجتماعية ، وإثم عند الله - لو يعلم الناس - عظيم . وقال عليه الصلاة والسلام : « إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَأَنْتَظِرِ السَّاعَةَ ، قِيلَ : وَكَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِذَا أَسْنَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَأَنْتَظِرِ السَّاعَةَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْأَمَانَةُ تَجْلِبُ الرِّزْقَ ، وَالْخِيَانَةُ تَجْلِبُ الْفَقْرَ » وقيل : من ضيَّع الأمانة ، ورضى بالخيانة ، فقد برىء من الديانة . وقيل : من خان مان ، ومن مان هان ، وتبرأ من الإحسان .

أنواع الخيانة

هذا ، ومن الخيانة ركوب السكة الحديدية ، أو الترام خلصة . فالجاهل الذي يركب القطار خفية لا يدري أنه بذلك قد فقد أعظم صفة خلقية ، وأسمى فضيلة إجتماعية ، تلك هي فضيلة الأمانة التي هي جماع المروءة والشرف ، والصدق ، والإخلاص ، وحسن المعاملة .

وإذا كانت خيانة الفرد من كبرى الجرائم لسوء أثرها ؛ فالراكب خفية يخون الأمة بأسرها ؛ فأثر خيانتة ليس مقصوراً على فرد ، بل هو شامل الأمة ؛ لأن أجره ركوبه حق للأمة يتناوله ولادة أمورها لينفقوه في إصلاح حاطها ، وتميز مرافقها ، فالراكب خفية لصّ لسكرته لا يسرق من فرد ؛ بل يسرق من الأمة جميعها ، فوزره أفضح ، وإثمه أشنع ؛ لأن أثر جريمته واقع على جميع أفراد الأمة لأعلى فرد واحد منها ، ومال الأمة مال الله تعالى :

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ رَبَّالْأَعْلَىٰ يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وهذا الخائن الذي يختلس حق الأمة ويركب بلا أجره ، يكون قدوة سيئة لغيره ، وسبباً في انتشار هذه الفعلة النكراء ، فيقل مال الدولة ، ويعجز عن الإيفاء بمطالبها ، فيضطرب ميزانها وينحط شأنها .

ولا يجوز أن يقال عن قطرات السكة الحديدية لا يصدق على المراكب الكورباية (الترام) التي تجوب خلال المدن رابطة أجزاءها مقربة اتحادها بأنها شركات أجنبية ومالها ليس مال الأمة ، فإن هذه الشركات قد تماقت مع الحكومة على تسير مراكبها في المدينة وضواحيها بأجر محدود يدفعه الراكب ، والعقود التي تقوم بها الحكومة يجب على الأمة احترامها والوفاء بها . فالذي تحدّثه نفسه بركوب هذه المراكب خلسة غادر خائن ، ناقض لذلك العقد الذي يفرض الله تعالى الوفاء به ، بقوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) « ١ المائدة » .

وقوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) « ٣٤ الإسراء »

أليس من ركب مراكب السكة الحديدية ، أو المراكب الكهربية (الترام) ، كمن استأجر أجيراً واستوفى منه ؟ فيجب عليه أن يمطيه أجره ، وإلا امتنع من تلبية طلبه مرة أخرى ، وكذلك يمتنع أمثاله فتتعطل أعماله وتسوء أحواله .

ومصلحة السكة الحديدية ، أو شركة الترام (المراكب الكهربية) إذا رأت أن كثيراً من الناس يلجأ إلى الركوب خلسة تلجأ إلى وسائل تزرى بكرامة الأمة ، وتذهب باحترامها وهيبتها ، أو تقف سير مراكبها . وفي كلتا الحالتين تفسد أمور الأمة ، وتتقهقر مرافقها ، وتضيع مصالحها ، وتشل أعمالها .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ » .

فالذى يحترم نفسه ، ويحترم أمته ، ويخاف الله ، ويخشى 'نقمته' ينزه نفسه ، ويربأ بها ، عن هذه الفعلة القبيحة ، ويسمو بها عن تلك الحالة الوضيعة .



والذى يهرب من دفع الضرائب والرسوم التى تفرضها الحكومة على الأمة خائناً لها ؛ لأن الحكومة تجمع الضرائب والرسوم من الملاك والتجار وغيرهم لتستطيع أن تنهض بشؤون الأمة الكثيرة ، فتقوم بالمشروعات الزراعية والتجارية والصناعية التى يتطلبها رقيها ، كما تقوى 'بتلك الأموال

على القيام بما تحتاج إليه من أمور التعليم والصحة والأمن والدفاع الحربى وغيرها . فهذه الضرائب والرسوم مساهمة من جميع أفراد الأمة القادرين على بناء نهضة الأمة وقوتها ، ورفقيها وإسعادها . فالذى يهرب من دفعها ويعمل على التخلص من المشاركة فى المصلحة العامة للأمة فهو جاهل جبان ، شحيح ، يخالف لأولى الأمر ، الذين أوجب الله طاعتهم بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) « ٥٩ النساء » .

فهو عضو أشل فى أمته ، لا يشاطر فى إسعادها ، ذو أثر ممقوتة ، يريد أن يكون كلاً على غيره ، يستفيد ولا يفيد ، يأخذ ولا يعطى ، ولا يرضى بذلك إلا ساقط المروءة ، فاقد الشجاعة صغير الهمة .

مثال الخيانة

قصّ التاريخ : أن ملكاً من ملوك الهند ، وضع ثقته فى أحد وزرائه ، فصار يصفى مشورته ، ويعمل برأيه فى كل أمر من الأمور ، حتى أصبح لديه الناصح الأمين ، وكان يختصه من بين وزرائه وأصحابه بالمبالغة فى إكرامه ، ورفع شأنه ، وخلوة به إذا نزل به أمر ، أو حلّ بالرعية حادث .

واتفق أنه كان فى جوار تلك المملكة مملكة أخرى ، عليها ملك قد أشربت نفسه حب الفتح والغزو ، وكان من أجلّ أمانيه أن يغلب جاره على ملكه ، ويسلبه سلطانه ، ولم يكن يمنعه من تحقيق أمنيته غير ما كان يرى من قوة جاره فى شجاعة جنده ، ورجاحة عقول وزرائه ، فأخذ يستعمل

حياته ودهاءه ، رجاء أن ينال بهما مالا ينال بالقوة ، فلم يجد سبيلا لذلك إلا عقد صداقة مع ذلك الوزير الأمين ، فإنه يعلم أنه أكرم الوزراء على جاره ، وأخصهم منزلةً لديه .

فكان يرسل الهدية إليه تلو الهدية ، ويبعث بالدعوة بعد الدعوة ، حتى انبمشت بينهما الألفة ، وزالت الكلفة ، وأنس كل بصاحبه واطمأن إليه ، ثم خلا به يوماً ، وكاشفه بسرّه قائلاً : إذا هيأت لنا فرصة الظفر بساطنك ، أسدينا إليك جزاء يغنيك ويغني ذريتك من بعدك أبد الدهر ، فإننا جاعلونك وزيرنا الأول ، ومقطعونك إقليماً كاملاً يكون خراجهُ وقفاً عليك وعلى أسرته ، وزمام إدارته في أيديكم ، فيكون لك ولنا بذلك خير وظفر .

فاما انتهى الملك من كلامه ، رأى الوزير نفسه بين عاملين يتجاوزانه ، عامل الشرف والوفاء لسلطانهِ ، الذي ائتمنه ووثق به ، وعامل حب الغنى وإحراز الثروة ، وامتلاك إقليم كامل ، يصبح فيه سيداً مطاعاً ، غير أن طبيعته البشرية ، ونفسه الخبيثة ، كانت إلى الثاني أميل ، فلم ير بداً من معاهدة الملك على ذلك ، والوفاء له به ، ومن ثم أخذ يعمل الحيلة في تبديد جيش وطنه وتفريق كلمة الأمة .

وبعث الشقاق والنزاع بين الملك ورعيته ، والتواني في إمداد الجند بالذخائر ، إلى غير ذلك من الأمور التي أضعفت الأمة ، وأوهنت رابطتها بسلطانها ، وخلقت فيها المشاكل الداخلية ، والأطماع الثورية ، فزقها كل ممزق ، ثم راغ ذلك الوزير الخبيث روعةً ، وأتى الملك الذي عاهده ، وأصره

بالزحف بجنده على المملكة ، بعد أن مهد له طريق الغزو ، وذال عقباته ، فلم يعض غير قليل ، حتى انتصر المغتصب على جاره ، وسلبه ملكه ، وظفر بأمنيته .

فاما استقر به الملك ، وثبت له الأمر ، جمع وزراءه وأعوانه ، وعقد منهم مجلساً للبحث في مكافأة ذلك الوزير الخائن الذي باع وطنه — وما أعظم خيانة الوطن! — . والذي لولاه لما وفقوا إلى الغلبة والظفر بأعدائهم ، ولما خفق لهم علم النصر على ربوعه ؛ فكاهم أجمعوا على مكافأته ، والوفاء بما وعد به ، غير شيخ كبير ، نسجت التجارب على جبهته تجاعيد ، تنبئ عن رجاحة عقل ، وسداد رأى ، انبرى من بين الجماعة وقال : يامولانا الملك ويا حضرات الوزراء ، لن كان لنا من هذا الرجل الذي تبتغون مكافأته ومرضاته ، ما سهل لنا سبل النصر ، فلا ينبغي أن ننسى أنه خان وطنه - خيانة عظمى - وطنه الذي نشأ فيه ؛ وأقلته أرضه ، وأظلمته سماؤه ، وغدر بمولاه وولى نعمته ؛ فهل يكون حزنًا بعد الذي كان من أمره أن نضع فيه ثقتنا ، أو نعتمد عليه في مساعدتنا ، أو نوليه أمرًا من أمورنا ؟ ألا إن من كان هذا ماضيه لا تؤمن مغيبته ولا ترجى منفعته ؛ وأولى لنا أن نطهر ملكنا من دنسه ، فإن أهل الدسائس لا يساند عملها ، ولا يهدأ لهم روع بمزاولتها .

على أننا بفرض اتخاذه لنا صديقًا ، وتسليمه شيئًا من مقاليد أمورنا ، لا نأمن أن يشوب يوماً ما إلى رشده ، أو يأخذه حنين إلى وطنه ، وما كان يرفل فيه أهله من نسيم الحرية والاستقلال ؛ فينزع لتخليصه منا ؛

وإذ ذاك يكون أدري' الناس بدخيلة أمرنا ، وأقدرهم على الفتك بنا .
فقد قيل :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة
فوافق الحاضرون على ما أبدى' من الأسباب ، وأمنوا وأجمعوا على
إقصاء ذلك الخائن عن دولتهم . فتوسط الملك طالباً تخصيص مقدار من
المال يصرف له مشاهرةً من بيت المال ، ليسد به نفقاته الضرورية ،
ونفقات أسرته ، فلم يروا بأساً من ذلك ، مع تخفيض النفقة إلى أقل
ما استطاع .

فلما نما إليه الخبر أيقن أنه سقط في الهاوية ، وأن ما كان يظنه ماءً إن
هو إلا سراب ، وأن الدهر قد خدعه ، وأن سراج آماله قد انطفأ ؛ بل إن
حياته نفسها أصبحت معلقة في ميزان القدر . ولم تمض إلا أيام قلائل حتى
رأى نفسه وحيداً فريداً ، وقد انفضَّ الناس طرّاً من حوله ، حتى الذين كانوا
يعملون منه على الكيد لوطنهم ، فإنهم لما لم تعد عليهم فائدة من الالتفاف
حوله نبذوه نبذ النواة ، فثاب إلى رشده ، وتمثلت أمامه صحيفة أعماله
السوداء ؛ فظن ذلك الأبله المسكين أن في استطاعته أن يحل تلك الأغلال
التي كبل بها بلاده ، وأثقل بها قومه ، ولم يدر أن حل العقدة ليس كبطها ،
وأنه قد خدع في أمره ، وشق قبره بيده ، فإنه لم يكديهم بالعمل حتى بثت
حوله العيون والأرصاد ، ولم يكن إلا ريثما ظهرت للحكومة نيته ، وبدت

لها طويته ، وما عزم عليه ، حتى قبضوا عليه وأودعوه السجن ، ورفعوا أمره إلى رجال القضاء ليعثوا في جريمته ، وينزلوا به أقصى عقاب ؛ لكن المنية عاجلته قبل أن يتم لهم ذلك ، فمات موتة الأنذال ، ودفن غير مأسوف عليه ، وهذا جزاء الخائنين .

ولا شك أن خيانة الوطن خيانة عظمى يستحق عليها الإعدام ، والتشهير به بين الأنام . فاعتبروا يا ذوى الأبصار .

عن السميع الواعظ

العقاب القانوني على الخيانة

١ - الخائن المختلس لأموال الحكومة وعقابه

الأشخاص المنوطون بحفظ الودائع، والصيارفة المنوطون بحساب النقود والأمتعة إذا اختلسوا شيئاً من أموال الحكومة يعاقبون بالمادة ٩٧ الآتية :

المادة ٩٧ - كل من تجارى' من مأمورى التحصيل ، أو المندوبين له، أو الأمناء على الودائع ، أو الصيارفة المنوطين بحساب نقود ، أو أمتعة على اختلاس أو إخفاء شيء من الأموال الأميرية أو الخصوصية التى فى عهده أو من الأوراق الجارية مجرى النقود أو غيرها من الأوراق والسندات والعقود ؛ أو اختلس شيئاً من الأمتعة المسامة إليه بسبب وظيفته يحكم عليه ، (فضلاً عن رد ما اختلسه) بدفع غرامة مساوية لقيمة ذلك، ويعاقب بالسجن والأشخاص الذين ائتمنتهم الحكومة على شراء شيء ، أو بيعه ، أو صنعه أو استصناعه وحصل منهم غش وخيانة ، فعوضاً عن أن يشتروا الأشياء ، أو يبيعوها بالثمن المناسب لى لا تخسر الحكومة ، أو يصنعوا الأشياء إما بأنفسهم ، أو يستصنعونها بواسطة غيرهم خانوا الأمانة ، أو اشتروا الشيء بأثمان غالية جداً ، أو باعوه بأثمان قليلة جداً ، أو صنعوا الأشياء أو استصنعوها بطرق أضرت بالحكومة ، وعاد من جميع ماذ كرأر باح ومنافع شخصية لهم غشاً وخيانةً منهم للحكومة، يعدون مختلسين لأموال الحكومة ، ويعد ما وقع منهم خيانةً لأمانة الحكومة ، ويترتب على فعلهم ضرر للحكومة .

فإن لم تعاقبهم على ما فعلوا يترتب على ذلك تواطؤ الناس على غشها والحصول على ثروة خصوصية لهم، وبهذه الحالة تفقد أموالها، مع أن أموالها لازمة ونافعة للصالح العام، وللدفاع عن الوطن .

فلذلك عاقب القانون على هذه الخيانة بالحبس عملاً بالمادة ٩٨ الآتية :

المادة ٩٨ - كل من يكاف بشراء شيء، أو يبيعه، أو صنعه، أو استصناعه على ذمة الحكومة، واستحصل بواسطة غشه في شراء ذلك الشيء أو يبيعه، أو الكشف عن مقداره، أو صنعه على ربح لنفسه، أو لغيره، تعود منه الخسارة على الحكومة، يحكم عليه بالحبس ورد ما أخذه، ويحكم أيضاً عليه بالعزل إن كان موظفاً عمومياً .

أما الموظفون الذين يأخذون عند تحصيل الغرامات أو الأموال أو العشور أو العوائد ونحوها بحكم وظيفتهم زيادة عن المستحق منها يعاقبون بالمادة ٩٩ الآتية:

المادة ٩٩ - أرباب الوظائف العمومية أيا كانت درجاتهم، سواء كانوا رؤساء مصالح أو مستخدمين رؤسنيين أو مساعدين لكل منهم، وكذا ملتزمو الرسوم، أو العوائد، أو الأموال ونحوها، والموظفون في خدمتهم إذا أخذوا في حال تحصيل الغرامات أو الأموال أو العشور أو العوائد ونحوها زيادة عن المستحق منها يعاقبون على الوجه الآتي :

رؤساء المصالح والمتزمون يعاقبون بالسجن؛ أما المستخدمون المرءوسون ومساعدو الجميع فيعاقبون بالحبس والعزل، ويحكم أيضاً برد المبالغ المستحصلة بدل حق، ويدفع غرامة مساوية لها .

وكذا كل موظف يحجز كل أو بعض ما يستحقه العملة المستخدمون في أشغال المصلحة من أجره ونحوها يعاقب بالسجن ، وكذا إذا استخدم هؤلاء العملة سخرةً بلا أجره ، وأخذها لنفسه فيعاقب بالمادة ١٠٠ الآتية :

المادة ١٠٠ - كل موظف في الوظائف العمومية يحجز كل أو بعض ما يستحقه العملة الذين استخدمهم في أشغال مختصة بمحل توظيفه من أجره ونحوها يعاقب بالسجن ، وكذا يعاقب بالعقوبة المذكورة إذا استخدم هؤلاء العملة سخرةً بلا أجره ، وأخذها لنفسه مع احتسابها على الحكومة ويحكم عليه في الحالتين برد ما أخذه لمستحقه وبغرامة مساوية له .

أما الموظف الذي ينتفع من الأشغال المحالة عليه إدارتها ، أو كلف بشراء أشياء أو صنعها على ذمة الحكومة ، أو اشترك مع بائع الأشياء أو مع المكلف بصنعها فيعاقب بالمادة ١٠٢ الآتية :

١٠٢ - كل من كان من أرباب الوظائف العمومية ينتفع من الأشغال المحالة عليه إدارتها وملاحظتها ، سواء كان الانتفاع مباشرةً أو بواسطة ، وكذلك كل من كلف نفسه منهم من غير مأمورية بشراء أشياء أو صنعها على ذمة الحكومة ، أو اشترك مع بائع الأشياء المذكورة ، أو مع المكلف بصنعها يعاقب بالعزل والحبس مدة لا تزيد عن سنة .

وأما في حالة ما إذا أخذ أحد هؤلاء الموظفين عمولة ، أو تسبب في إعطائها لغيره على المعاملات الأميرية التي من هذا القبيل ، أو اكتسب

أرباحاً فيما يتعلق بصرف النقود، أو أباح لغيره اكتساب ذلك، فيعاقب فضلاً عن عزله بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين .

١٠٣ - كل موظف أدخل في ذمته بأى كيفية كانت نقوداً للحكومة، أو سهل لغيره ارتكاب جريمة من هذا القبيل يعاقب بالسجن من ثلاث سنين إلى سبع .

٣ - عقوبة خيانة الولى أو الوصى للقاصر وغيره

إن بعض الأوصياء وغيرهم ممن لا خلاق ولا ذمة لهم، ينتهزون فرصة احتياج أو ضعف القاصر، فيتصرف فى أمواله، أو يسمي' فى الإضرار به، بأن يحصل منه على كتابة سند أو مخالصة متعلقة بإقراض دين أو اقتراض مبلغ من النقود، أو على التنازل عن حقه فى بعض المنقولات، أو الأوراق التجارية وغيرها . فمثل هذا يعد خائناً للأمانة، ويعاقبه القانون بالمادة ٢٩٤ الآتية :

٢٩٤ - كل من انتهر فرصة احتياج أو ضعف أو هوى' نفس شخص لم يبلغ سنه ثمانى عشرة سنة كاملةً، أو حكم بامتداد الوصاية عليه من الجهة ذات الاختصاص، وتحصل منه إضراراً به على كتابة أو ختم سندات تمسك أو مخالصة متعلقة بإقراض أو اقتراض مبالغ من النقود، أو شئ من المنقولات، أو على تنازل عن أوراق تجارية، أو غيرها من السندات الملزمة التمسكية يعاقب - أياً كانت طريقة الاحتيال التى استعملها - بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين، ويجوز أن يزداد عليه غرامة لا تتجاوز مائة جنيه .

وإذا كان الخائن مأموراً بالولاية أو بالوصاية على الشخص المعذور ، فتكون العقوبة بالسجن من ثلاث سنين إلى سبع .

وأن بعض الصيارف والبنوك وغيرهم يقرضون من يجدون فيه ضعفاً أو احتياجاً نقوداً بفائدة تزيد عن الحد الأقصى المقرر للفوائد المتفق عليه قانوناً ، وقصدهم الوحيد هو الحصول على ثروة خصوصية ، فلا يألون جهداً في استعمال الحيلة والدهاء بكافة الطرق الموصلة لأغراضهم ، فرأى القانون أن لا يترك هؤلاء الضعفاء فريسةً للوقوع في نصبهم ، لما يترتب على ذلك من خراب البيوت ، وإفساد الأخلاق ، بإغراء الناس على الاقتراض بالربا الفاحش ، فتعاقب هؤلاء الصيارف بالمادة الآتية :

٢٩٤ مكررة - كل من انتهز فرصة ضعف ، أو هوى ' نفس شخص وأقرضه نقوداً بأى طريقة كانت بفائدة تزيد عن الحد الأقصى المقرر للفوائد الممكن الاتفاق عليها قانوناً يعاقب بغرامة لا تزيد عن عشرة جنيهات ، فإذا ارتكب المقرض جريمةً مماثلةً للجريمة الأولى ' في الخمس سنوات التالية للحكم الأول تكون العقوبة الحبس لمدة لا تتجاوز سنتين ، وغرامة لا تتجاوز المائة جنيه ، أو إحدى هاتين العقوبتين فقط .

وكل من اعتاد على إقراض نقود بأى طريقة كانت بفائدة تزيد عن الحد الأقصى للفائدة الممكن الاتفاق عليها قانوناً يعاقب بالعقوبات المقررة بالفقرة السابقة .

٣ — عقوبة خيانة التوقيع على ورقة بيضاء بها ختم أو إمضاء

المادة ٢٩٥ — كل من أو ثمن على ورقة ممضاة ، أو مختومة على بياض ،
نخان الأمانة وكتب في البياض الذي فوق الختم أو الإمضاء سند دين ،
أو مخالصة ، أو غير ذلك من السندات والتمسكات التي يترتب عليها حصول
ضرر لنفس صاحب الإمضاء أو الختم أو لماله عوقب بالحبس ، ويمكن أن
يزاد عليه غرامة لا تتجاوز خمسين جنيهًا مصريًا . وفي حالة ما إذا لم تكن
الورقة الممضاة أو المختومة على بياض مسلمة إلى الخائن ، وإنما استحصل عليها
بأى طريقة كانت ، فإنه يعدّ مزورًا ، ويعاقب بعقوبة التزوير .

٤ — عقوبة المختلس أو المبدد للوديعة أو الإجارة أو العارية

سواء كان وكيلًا أو غيره

مادة ٢٩٦ — كل من اختلس ، أو استعمل ، أو بدد مبالغ ، أو أمتعة ، أو بضائع ،
أو نقودًا ، أو ثيابًا ، أو كتبًا أخرى ، مشتملة على تمسك ، أو مخالصة ، أو غير
ذلك إضرارًا بمالكها أو أصحابها ، أو واضعى اليد عليها . وكانت الأشياء
المذكورة لم تسلم له إلا على وجه الوديعة أو الإجارة ، أو على سبيل عارية
الاستعمال أو الرضى ، أو كانت سامت له بصفة كونه وكيلًا بأجرة ،
أو مجانًا بقصد عرضها للبيع ، أو بيعها ، أو استعمالها في أمر معين لمنفعة
المالك لها أو غيره ، يحكم عليه بالحبس ، ويجوز أن يزداد عليه غرامة
لا تتجاوز مائة جنيه مصري .

٥ — عقوبة من يختلس أشياء محجوز عليها

مادة ٢٩٧ — يحكم بالعقوبات السابقة على المالك المعين حارساً على أشياءه المحجوز عليها قضائياً أو إدارياً إذا اختلس شيئاً منها .

٦ — سرقة أوراق مقدمة للمحكمة

مادة ٢٩٨ — كل من قدم ، أو سلم للمحكمة ، في أثناء تحقيق قضية بها سنداً أو ورقة ما ، ثم سرق ذلك بأى طريقة كانت ، يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز ستة شهور ، أو بغرامة لا تزيد على ثلاثين جنيهاً مصرياً .

الوفاء بالعهد والوعد

الوفاء : هو ثبوت المرء على قوله وفعله . فإذا قال قولاً اليوم لا ينقضه غداً ، وإذا وعد شخصاً بشئ وفى له به ، ولا ينكص على عقبيه .

والوفاء هو غرس الأمانة ، وثمره الصدق والإخلاص ، ومظهر الشهامة والمروءة ، وصفة النفوس الشريفة ، وعنوان الهمم العالية ، وباعث الثقة والاحترام ، ودعامة حسن المعاملة ، وأساس لرقى الأمم ، وسبيل سعادتها . فهو فى الجملة لازم لسعادة المجتمع الإنسانى ، وثقة الناس بعضهم ببعض ، وسير الأعمال فيما بينهم سيراً حثيثاً ، وحصول التعارف والتعاقد . ومن الوفاء القيام بالعهود ، وأداء الشهادة ، ورد الأمانة ، وبذل النصيحة وكتمان السر ، وقول الحق ، وصدق القول ، والإخلاص فى العمل . والعهد : التزام تطوعت به لا سبيل لك إلى البراءة منه إلا بالوفاء .

والوفاء بالعهد من البر ، لأنه يترتب عليه نظام المعيشة . والوفاء خلق محمود ينفع به جميع الناس . فمن عرف بالوفاء كان مقبول القول عند الناس فى جميع ما يبيديه ، ومن كان مقبولاً كان عظيم الجاه ، وكانت الناس أكثر ثقة به ، إن قال قبل قوله ، وإن طلب أجيب إلى طلبه ، أموال الناس أمواله ، وثروتهم ثروته ، يدفعون إليه ما يحتاج إليه من أموالهم ، طيبة نفوسهم ، منشرحة صدورهم ، لأنهم على يقين من رد أموالهم إليهم عند طلبها بلا مماطلة ولا تسويف ، كما سبق ذكره فى باب الأمانة .

سل كثيرين من التجار ذوى الدوائر الواسعة كيف ابتدءوا تجارتهم ؟
ينبئوك أنهم ابتدءوا فى عروض قليلة ، ثم جلبوا إلى محالهم بضائع كثيرة ،
لا يملكون من أثمانها غير ما عرفوا به من الوفاء حتى وصلوا إلى هذه الدوائر
الواسعة ، والثروة العظيمة .

وقد قيل فى الأمثال العامية : (سرحية التاجر على قدر صداقته) والسرحية
هى رأس المال ، والثقة بالشخص ثروة ثانية له .

لذلك أمر الله بالوفاء بالعهد فقال : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا) « ٣٤ الإسراء »

وقال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) « ٤٠ البقرة » .

وقال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) « ٩١ النحل » .

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) « أول المائدة » .

وقال تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) .

« ٢٣ الأحزاب »

وقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلاً كاملاً فى الوفاء بالوعد ،

فقد روى عن عبد الله بن أبى الحمساء رضى الله عنه أنه قال :

« بايعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يبيع قبل أن يُبعثَ ، وَبَقِيَتْ لَهُ

بَقِيَّةٌ ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثِ

لَيَالٍ ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ : يَا قَتِي لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هُنَا مِنْذُ

ثَلَاثِ لَيَالٍ أَنْتَ ظَرُكُ » .

فالنبي صلى الله عليه وسلم انتظره ثلاث ليال ، لا لبقية الثمن ، بل للوفاء بالوعد ، الذي كان أحرص عليه من كل شيء .

فليكن لنا في رسول الله أسوة حسنة في الوفاء بالوعد .

وقد جاء في وصايا الحكماء والأدباء أمثال مختلفة تحريضاً على الوفاء بالوعد مثل قولهم : (وعد الحر دين) ، (وإن الوعد كورق الشجرة ، والوفاء كالثمرة) (وكن بطيء الوعد سريع الوفاء) .

إن الوفاء بالوعد دين توجب عليك الشهامة والمروءة أدائه . ولهذا ينبغي أن يفكر الإنسان قبل أن يعد ، فإذا ما وعد تحتم عليه أن ينجز وعده مهما كانت الموانع والعقبات كما قال الشاعر :

إذا قلت في شيء (نعم) فأتته فإن (نعم) دين على الحر واجب
وإلا فقل (لا) تسترح وترح بها لئلا يقول الناس إنك كاذب

إنك حين تعد شخصاً بأمر فقد بنى على موعدك مصالح كثيرة ، وإن في خلفك لو عده ، ونقضك لمهده ، نقضاً لهذه المصالح ، وليس هذا من الدين ولا من المروءة .

إنك لتجد من نفسك امتعاضاً ، وفي صدرك ضيقاً ، حينما يعدك عامل أو صانع ، أو تاجر ، أو غيرهم ، بعمل من الأعمال ، ثم هم لا يوفون بوعدهم . فإذا كان إنسان مسافراً ، وأرسل خبراً لأهله وأصحابه بقدومه في وقت معين ، وجب عليه الوفاء بالحضور في الموعد المضروب ، لأن تأخيرهم يوجب لهم قلق البال ، وتبليبل الأفكار من جهة ، وقد ينتج لهم خسائر مادية

وأتباعاً ؛ لأنهم غالباً يعدون لغائبهم إن كان قريباً أو صديقاً معدات غير اعتيادية تكلفهم تعباً ونفقةً ، وهم لا يعتدون بها إذا وفى بوعده ، ووفاهم فى الأجل المعين .

ولكن إذا أجل حضوره وضرب لهم موعداً آخر قد لا يبذلون له ذلك الاهتمام بعدئذ عن طيب نفس ، بل يكون تكلفاً مملاً ؛ ويمسى عليهم الضيف ثقيلاً .

نعم قد تحدث موانع تحول دون وفاء الوعد ، وقد يكون له عذر مقبول ؛ ولكن بعض الناس ينتحل اعتذاراً قد يكون أقبح من الذنب وهو لاء هم سيئوا المعاملة .

وإذا ضرب أحد الإخوان لصديقه موعداً ومكاناً يلتقيان فيه ، وجب عليه أن يوفيه فى الزمان والمكان المعين ، وليفكر الذى يقعه الكسل عن الوفاء بالوعد فى الضجر والملل الذى يلاقيه صاحبه المنتظر ، فيجد وافياً للقيام بوعده .

ومن أمثال الحكماء : حسب المؤمن من مكارم الأخلاق صيانة العهد والميثاق ، ومن حفظ العهد يزكو قليل الود منه ، ومن نكث العهد يذهب كثير الود عنه .

وقال أحد الشعراء :

إن الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذى الإخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً وترى اللئيم بجانب الإنصاف

وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ) « ٩ آل عمران »

لذلك مدح الله أقواماً صدقوا وعدهم ، ووفوا بما عاهدوا به ، بل قرن الوفاء بالعهد بالنبوة ، وقدمه في الذكر تنويهاً به ، وتنبيهاً على عظيم قدره ، فقال :

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)^(١) . « ٥٤ مريم »

وقال صلى الله عليه وسلم : « وَاعِدُ الْمُؤْمِنِينَ كَأَخَذِ بِالْيَدِ » .

فأوف يا بني بعهد الله إذا عاهدت ، ولا تنقض الأيمان بعد توكيدها ، واعلم أن الوعد دين واجب عليك أدائه ، فلا تخلف وعذك ، ولا تعد أحداً بما لا تقدر على وفائه ، فإنه من أخلف الوعد فقد عصى الله ، وخالف سنة نبيه عليه الصلاة والسلام في نظامه .

أمثلة في الوفاء عن كتاب السمير الواعظ

١ - المثل الأعلى في الوفاء بالوعد

١ - قد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلاً كاملاً في الوفاء بالوعد ، فقد روى عن عبد الله بن أبي الحساء رضى الله عنه الحديث الذي ذكر آنفاً وهو أنه قال :

« بَا يَعْتُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيعُ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَقِيَتْ لَهُ

(١) وقد أثنى الله على إسماعيل عليه السلام لأنه وعد إنساناً فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي بقرى إسماعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره .

بَقِيَّةُ فَوْعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَذَسَيْتُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثِ
فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ . فَقَالَ يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هُنَا مِنْذُ
ثَلَاثِ أَنْتَظِرُكَ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم انتظره ثلاث ليال ، لا لبقية الثمن ، بل للوفاء
بالوعد الذي كان أحرص عليه من كل شيء .

٢ - وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وعد (أبا الهيثم) خادماً ،
فأتى بثلاثة من السبي ، فأعطى اثنين ، وبقي واحد ، فأنت فاطمة رضي الله عنها
تطلب منه خادماً وتقول : ألا ترى أثر الرحي بيدي ؟ فذكر مواعده
لأبي الهيثم فجعل يقول : كيف بموعدى لأبي الهيثم ؟ فأثره به على فاطمة
لما قد سبق من مواعده له ، مع أنها كانت تدير الرحي بيدها الضعيفة .

٣ - وروت عائشة رضي الله عنها : أن صديقة خديجة دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها ، فهش لها ، وأحسن السؤال عنها . فلما خرجت
قال : إنها كانت تأتيننا أيام خديجة (وإنَّ حُسْنَ التَّهْدِي مِنَ الْإِيْمَانِ) .

٤ - وقد أجارت (أم هانئ) بنت أبي طالب بعض المشركين من الدِّ
أعداء الإسلام . فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أنفذ تهديداً ، وأمضى
أمايتها ، وقال : (أَجْرُنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمُّ هَانِي) .

٥ - وهذا (حمزة) عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومصعب بن عمير ،
وأنس بن النضر ، وفوا بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، والمقاتلة لإعلاء الدين حتى استشهدوا .

٦ — وهذا سيدنا عثمان وطلحة رضى الله عنهما كانا ينتظران الشهادة حباً في الوفاء ، وحرصاً على ما عاهدوا الله عليه ، حتى نزل فيهم قول الله تبارك وتعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا) « ٢٣ الأحزاب »

٧ — حضر بين يدي سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسير من الفرس يسمى (الهرمزان) وكان من كبرائهم ، وكان محكوماً عليه بالقتل . فقال له :

يا أمير المؤمنين أريد شربة ماء فلا تقتلني وأنا عطشان .

فأمر سيدنا عمر بتركه حتى يشرب ، وأمر له بقدح من الماء .

فلما أخذ الرجل القدح بيده قال له : يا أمير المؤمنين أنا آمن حتى أشرب هذا القدح .

فقال سيدنا عمر : نعم لك الأمان حتى تشرب .

فرمى الرجل بالقدح فأراقه على الأرض ثم قال : (الوفاء بالوعد يا أمير المؤمنين نور أباج) .

فقال سيدنا عمر : اتركوه الآن ولا تقتلوه .

فأسلم الرجل . وكان سيدنا عمر يعمل برأيه ، ويشاوره بعد ذلك في أمور عظيمة .

وهذا النوع من المعاملة يتبع التربية والتهذيب ، فإذا رأى الولد أباه وأمه ينجزان له ولاغيره وعدهما ، ثم رأى ذلك في معلم مدرسته ، ثم

في معاشرة إخوانه ، ينغرس فيه الميل لأن يكون حسن المعاملة ، يفي بالوعد ، ويصدق في القول .

فينبغي على الأهل والمعلمين ، وكل من يتدخل في شئون تربية الناس أن يكون مثلاً صالحاً يقتدى به في الأقوال والأفعال .

٨ - ممن اشتهر بالوفاء بالعهد حتى ضرب به المثل (السموئل بن عاديا اليهودي)

فمن وفائه أن (إمراً القيس الكندي) الشاعر المشهور أودع عنده

ابنته ودروعه وسلاحه وعاهد ألا يعطيها سواه .

ثم جاهد أعداء إمري القيس ، وقبضوا على ابن سموئل خارج حصنه ،

وطلبوا إلى أبيه أن يفتديه منهم بدروع إمري القيس وسلاحه ، فأبى أن يخون

الأمانة ، ويتصرف فيها بغير إذن من أهلها ، فأصروا على قتل ابنه وهو

ينظر إليه غير مكترث بذلك ، لأن شهامته ومروءته وهمته أثبت عليه أن ينقض

عهده ويخفر ذمته .

ومن قوله في ذلك مفتخراً :

وفيت بأدراع الكندي إني إذا ما القوم قد غدروا وفيت

ولذلك ضرب به المثل في الوفاء ، واستحق من الناس حسن الذكر ،

وجميل الشاء .

٩ - لما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال : إنه كان خطب إلى

ابنتي رجل من قريش ، وقد كان مني إليه شبه وعد ، فوالله لا ألقى الله بثلاث

النفاق . أشهدكم أنني قد زوجته ابنتي .

١٠ - من عجائب ما يؤثر إبان فتح الأندلس : أن إمرأاً أسبانيا اعتدى على فتى من العرب وقتله ، ثم فرّ هارباً حتى رأى بستاناً ، فلدجاً إليه فدخله ؛ فوجد فيه شيخاً جليلاً ، فاستجار به ليجيره من شر أعدائه ، فخبأه الرجل في مكان منفرد .

ثم ارتفع الصباح بفناء البستان ، ودخل نفر من الناصي يحملون القتيل فنظره الشيخ فوجده ابنه ، واعتقد أن ذلك الشاب الذي التجأ إليه هو الذي قتل ابنه ، فأخذ منه الحزن مأخذه ؛ ولكن الشيخ قد أخفى حزنه ، وانتظر حتى أقبل الليل ، وهدأت الأصوات ، ثم قام ودخل على الفتى وأنبأه بنبأ الحادث المؤلم ، فهلع فؤاد الفتى لهول المصاب ، وكاد يموت من الخوف . ولكن الرجل رأى من الوفاء أن يؤمن ويهدي روعه حتى يسرى عنه ، ثم قال : ما كنت لأخفر ذمتي ، وأنقض عهدي معك ؛ ولكن لا آمن عليك من قومي أن يقتلوك ، فخذ مئونة سفرك وارجل عني والله ولي أمري .

تأملوا هذا الشيخ الجليل الوفي الذي آثر الوفاء بعهده على أن يثأر لنفسه من عدوه ، ثم قولوا لي بربكم : أبعد هذا وفاء ؟ أبعد هذه أخلاق كريمة ؟

خطبة في الوفاء بالعهد

لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوي

نقيب الأشراف ، وخطيب المسجد الحسيني

الحمد لله الذي منح من وفي بوعده ، وأدى الأمانة إلى أهلها جليل نعمه ،
وجميل إحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة أرجو بها النجاة من عذابه ،
والفوز بمغفرته .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق في وعده ، الأمين على وحي ربه .
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ، فرضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك هم المفلحون .

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) .

« ٧٥ النساء »

وقال الله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) « ٩١ النحل » .

عباد الله : إن الله جعل الصدق في الوعد ، والوفاء بالعهد ، سبب كل سعادة
في هذه الحياة الدنيا ؛ فإن الأمة متى فقدت منها الأمانة ، وفشا فيها خلف
الوعد ، وتخلقت بنقض العهد ، ضل سعيها ، وخاب أملها ، ونازلها الفقر ،
وأحاط بها الذل والعذاب من كل جانب (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى)
يا عباد الله : إن الصادق في وعده ، الوفي بعهده ، الأمين على ما أوثمن عليه ،
منعم في أهله ، محبب إلى الناس ، إن قال قبل قوله ، وإن طلب أجيب طلبه ،

أموال الناس أمواله وثروتهم ثروته، يدفعون إليه ما يحتاج إليه من أموالهم، طيبة نفوسهم، منشرة صدورهم، لأنهم على يقين من رد أموالهم إليهم عند طلبها بلا ممانعة ولا تسويف .

على هذه الأخلاق كان من سبقنا من إخواننا المؤمنين ، فكان الصدق فاشياً فيهم ، والأمانة منتشرة بينهم ، كان أحدهم يقرض أخاه ما يطلب بغير وثيقة شرعية ، ولا رهن ولا ضمان ، بل ولا شاهد غير الله سبحانه وتعالى ، وكان المقترض حريصاً على رد ما اقترضه متى سهل الله له إلى الوفاء سبيلاً ، فكان الأغنياء كرماء ، والفقراء صادقين غير خائنين ولا كذابين ، خلف من بعدهم خلف نبذوا الأمانة وراء ظهورهم ، وأوغلوا في الغش والخيانة ، وفشا فيهم خلف الوعد ، ونقض العهد ، حتى صار الوالد لا يعطف على ولده ، والأخ لا يأمن أخاه ، وأصبحنا متأخرين في التمسك بآداب ديننا والانتفاع بثمرة ديننا ، وصرنا وراء الأمم بعد أن كنا أمامها (فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)

يا عباد الله : إن المريض متى عُرف دأؤه سهلت مداواته ، وإن مرضنا وسبب تأخرنا هو ترك التأديب والآداب الإسلامية، والتخلق بالأخلاق المحمدية فإلنا، وقد عرفنا داءنا، لاندأوى أنفسنا بالتوبة مما فات. ونجتهد في أن نتخلق بما يدعو إليه هذا الدين القويم . حتى نكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

الصدقة واختيار الأصدقاء

لابد لكل إنسان من أصدقاء يخلص لهم المودة ، ويخلصون له ، ويستشيرهم في أموره الهامة ، ويتبادل معهم الرأي فيما يعتزم عليه من شؤونه ، ويديث إليهم شكواه وأحزانه ، كي يدلوه بتجاربهم وحذقهم على طرق الصواب ، ويرشدوه بعلمهم وفطنتهم إلى ما يجنبه الخطأ والزلل ، ويخففوا عنه ما يشكو من الآلام ، ويعينوه على ما يسعده ، ويبصروه بمواضع الخطأ والضلال .

وقد تنزل بالإنسان حادثة ، أو تضطره الحياة إلى الإقدام على عمل خطير ، فيضطرب فكره ، ويذهل عقله ، ويخفى عليه وجه السداد ، ويعمى^١ عن طريق المصلحة والخير ، وتجعله الهواجس والأفكار خاضعاً لمؤثرات وظروف قهرية ، لا يستطيع إدراك الصواب فيما هو قادم عليه ، بل قد تزين له القبيح حسناً ، والحسن قبيحاً ، وهو لا يدري ولا يشعر ، فيحتاج إلى من يرشده إلى الصواب ، ممن يكون أهدأ عقلاً ، وأكثر تجربةً ، وأوفر علماً ، وأعرف بوجه المصلحة ، وأقدر على موازنة النفع والضرر ، هؤلاء هم الأصدقاء وإذ قد تبين لك وجه الحاجة إلى الأصدقاء ، ومقدار ما يطلب منهم ، ويعتمد فيه عليهم ، وجب أن تعرف الشروط التي يلزم توافرها فيمن تختاره لك صديقاً .

١ - فأول هذه الشروط : أن يكون من ذوى الأخلاق القويمة ،

والسيرة المرضية المستقيمة ، حتى تتحقق الفائدة من صداقته ، لأنه هو الذى يرشدك إلى الحق ، ولا يدلك إلا على كل خير وحسن .

أما فاسد الخلق ، سبب السيرة ، فلا تجد منه إلا كل شر ، ولا ينال من صحبته إلا كل مكروه فى نفسك ، أو شرفك ، أو دينك ، أو مالك ؛ لأن المألوث لا يصيب من يعاشره إلا التلوث ، والفساد الشرير يعدى من يخالطه ، ولأن عينك لا تقع منه إلا على كل منكر قبيح ؛ فسرعان ما تنتقل إليك بعض صفاته ، وتنطبع بما فيه من طباع ، فتتردى فى مهواة الشر ، وتنزلق فى بؤرة الفساد .

٢ - أن يكون عاقلاً تقياً يخشى 'الله تعالى' ، لأن عقله يحمله على التأنى والتروى فى الأمور ، ويحول بينه وبين ما يخل بالمروءة ، ويضيع الشرف والكرامة . فإذا ما اتخذته صديقاً أفادك فائدة كبرى ، وحقق الغرض الذى من أجله صادقته ، وإن تقواه وخشيته من الله تجعله يخلص لك النصيح ، ويسعى لك فى الخير ، ويبعدك عما يثلم شرفك ، ويعضب ربك ، ويستغضب قلوب الناس عليك ، فتكون مسروراً بصحبته ، مغتبطاً بصداقته .

أما فاقد العقل ، أو الأحمق ، فإنه يضررك من حيث يريد نفعك ، ويسبب لك متاعب ومشاق أنت فى غنى عنها ، والفاسق لا يدلك إلا على ما يحط من قدرك ، ويذهب بمالك ، ويدنس سمعتك .

٣ - وأن يكون أميناً ذا علم وتجربة ، لأن الخائن غاش مخادع ، وما كره فاجر ، والجاهل لا يعرف وجه المصلحة والفائدة ، فتكون فى صداقته

المفسد والشرور ، وقليل التجربة لا يدري عواقب الأمور ، ولا يزن الأشياء ، ويقدرها حق قدرها ، فيختلط عليه الحق والباطل ، والنافع والضار ، فليس أهلاً لأن تصادقه وتصطفيه .

٤ - وأن يكون مخلصاً لك عن تجربة و يقين ؛ لأنه هو الذى يحضك النصيح ، ولا يخفى عنك ما يرى فيه مضرّة أو مصلحة لك ، ولا تحدثه نفسه بأن يغشك أو يخدعك ، أو يحسن لك القبيح ، أو يقبح لك الحسن ، بل يلزمك دائماً ما فيه الخير ، ويحول بينك وبين ما يضرّك .

أما أولئك المنافقون المخادعون ، الذين يظهرون لك المودة ، ويضمرون لك الكيد والأذى ، ويضحكون لك بأفواههم ، بينما تنطوى صدورهم على البغض والحقد ، أو يبدون الإخلاص ، كي يستفيدوا منك مالاً أو فائدة ، حتى إذا ما قضوا غرضهم ، أو نالوا بغيتهم ، تنكروا لك ، وطرحوك وراء ظهورهم ، فاحذر أن تصاحب أحداً منهم ، وإياك أن تغتر بزخرف ظاهرهم . إنك إذا تخيرت أصدقاءك ممن كملت صفاتهم ، وطهرت أخلاقهم ، كنت موفقاً في أعمالك ، آمناً على أسرارك وأموالك ، لأنك تكون قد وضعت ثقتك فيمن هو أهل لها ، وجعلت لك من هؤلاء الأصدقاء قوة تزيد قوتك ، وعضداً يعينك على الشدائد ، وينير لك المسالك ، واستفدت منهم خلقاً وتجربةً وعاملاً ، وكانوا مرآة صادقةً يبصرونك بعيوبك ، فتعمل على تجنبها ، والوقاية من شرها ، وبمحاسنك فتزداد منها ، وتحرص على بقائها فتسعد ، وتسعد بك معاشرók .

تجنب شرار الناس واصرم حبالهم ولا تصحب الأردى 'فتردى' مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
وإذا ظفرت بصديق ، قد استكمل هذه الخصال أو أكثرها ، فاحرص
على صداقته ، وتمسك بعري 'مودته' :

تمسك إن ظفرت بذيل حر فإن الحر في الدنيا قليل
والزم معاشرته ، وحافظ على صحبته ، وإن بدت منه زلة فاغفرها ، وإن
هفا هفوة فتجاوز عنها ، ولا يكن ذلك داعياً إلى أن تقاطعه ، أو تفرط فيه ،
فإنك لا تجد رجلاً سالماً من كل العيوب ، ولو بحثت عن الصاحب السالم
من جميع الهفوات فلا تجده :

ومن ذا الذي ترضى 'سجاياه' كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه
واجتهد في معاملته بالبشر والسرور ، ومساعدته بمالك أو جاهك عند
الحاجة ، ونشر محاسنه ، وستر عيوبه ، والمحافظة عليه ، كما تحافظ على نفسك
والتعفف عما في يده .

حديث في مداراة الأشرار

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ »
رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

فى هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن شرَّ الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس ، ووداعوه وفارقوه وسالموه — لا ، لأنه لا خير فيه ولا منفعة ترجى من ورائه ؛ بل اتقاء شره ، وحذر ضره وبغيه .

فهم لا يأمنون إذا كشفوه بحاله ، أو نصحوه ليرعوى عن ظلمه ، أو جالسوه أو خالطوه ، أو قابلوا سيئته بالسيئة ، لا يأمنون أن يرميهم بالمقذعات ، ويدبر لهم المكيدات ، التى تضرهم فى نفوسهم ، أو أعراضهم ، وأموالهم أو مناصبهم ومراكزهم ، فهو أفاك أثيم ، مجرم شرير ، لا يتحاشى منكراً ، ولا يجافى مأثماً ، أو هو دين من القاذورات ، إن اقتربت منه ، أو نبشته هبت عليك رائحته الخبيثة ، ولو شئت نجاسته الغليظة .

فالسلامة منه فى مجانبته ، أو متاركته ومسالمته . فهذا أسوأ الناس منزلة يوم القيامة ، لأنه وباء على المجتمع . ومثل هذا ليس من الإسلام فى شئ (فإن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) ، وليس من الإيمان فى قليل ولا كثير (فإن المؤمن من آمنه الناس على دماءهم وأموالهم) فإن كان يحمل لقب الإسلام ، أو الإيمان فهو لقب مكذوب ، ونعت مسروق .

(من حديث نمرة ٥٢ فى الأدب النبوى)

خطبة في اختيار الأصدقاء ومن هو الصديق ؟

الحمد لله حَثَّ على صحبة الأخيار والصالحين ، ونهى 'عن مصادقة
الأشرار والمفسدين ، والصلاة والسلام على الإمام والقُدوة : سيدنا محمد
نبي الرحمة ، ورسول الأمة .

أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، خلق النفوس
ميالةً للتقليد ، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله ، صاحب الخلق الكامل
والرأي السديد .

صلى الله على سيدنا محمد ، وآله وأصحابه الذين اقتدوا به فاهتدوا ،
فعاشوا آمنين .

الإنسان يتأثر بالوسط الذي يعيش فيه ، فيأخذ عن أصدقائه طبائعهم
وعوائدهم ، وأخلاقهم ، وتتسرب إليه صفاتهم ، ومبادئهم ؛ وكذلك يأخذ من
أهله وطائفته وزملائه وأهل حرفته .

تتسرب الأخلاق من الصديق لصديقه بسهولة وسرعة بدون أن
يشعر الصديق ، تنطبع نفس الصاحب بصاحبه برغمه ، أراد أم لم يُرد ،
وهذا هو السرف تشابه أفراد كل طائفة ، واتفاق أخلاق أهل كل مهنة وصناعة .

فللعمال صفات خاصة ، وللطلبة أخلاق تميزهم ، وللموظفين مظاهر
تجمعهم ، فكذلك للصالحين مبادئهم ، وللأشرار مساوئهم .

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا
مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) « ١١٨ هود »

والمرء منا لا يستطيع اعتزال الناس جميعاً ، فهو مضطر إلى العمل ،
وله فيه زملاء ، مضطر للسكن ، فيكون له جيران ، محتاج للسفر أو السعى
محتاج للتعامل ليقضى حاجته ، فلا مفر له من التعارف والاختلاط ،
والصدقة والصحبة .

ولا يصح أن يصاحب الإنسان كل من صادفه ، ويصادق كل من
لقيه ، فليس كل مخلوق يصلح لصحبتك ؛ بل الواجب تحييد الصديق ،
وانتقاء الصاحب ، ووزن الناس قبل الاختلاط بهم ، والبحث عن تدينهم
وخلقهم ، وأعمالهم ودممهم ، قبل الارتباط بهم ، بما أننا سنتأثر بطباعهم ،
وسنقلد عوائدهم .

فعلينا أن ندقق في مصاحبة الخلق ، كما نهتم وندقق في شراء ملابسنا ،
واستئجار مساكننا ، واختيار أكلنا وشرابنا .

نتقى الملابس الجيدة المتينة لتكسبنا مظهراً ووقايةً ، فلم لا نتقى
صديقاً جيد النفس ، متين الخلق ، ليكسبنا رفعةً وهدايةً ؟ .

لا نستأجر إلا سكناً نظيفاً مريحاً ، تزوره الشمس والهواء ، حفظاً
لصحتنا وأبداننا ، وراحةً لنفوسنا ، فلم لا نبحت عن نظافة الصديق ،
وطهارة باطنه ، حفظاً لأخلاقنا ، وإبقاءً على أرواحنا ، وراحةً لضميرنا ،
وحفظاً لسمعتنا ؟ .

نخشى' من الأكل الفاسد ، والأطعمة الحامضة ، والشراب الملوث
أو المغشوش ، فكيف لا نخشى' صاحباً فسد طبعه ، وحمضت أخلاقه ،
وتعفت صفاته ؟ وله نفس ملوثة بالإثم والفجور ، وهو في حلقة الإنسان ،
ولكنه إنسان مزيف مغشوش ، لا خير فيه ، يتلف نفسك ، ويفسد
طبعك ، ويسوء خلقك ، ويشككك في دينك ويقينك ، ويزين لك المحرم ،
ويجبب إليك المنكر ، لا يعرف ربه ، ولا يذكر خالقه ، يعبد دنياه ،
ويتبع هواه .

مثل هذا أمرك الله تعالى بمقاطعته ، والابتعاد عنه . فقال تعالى :
(فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ
مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
اهْتَدَى) . « ٢٩ و ٣٠ النجم »

وقال صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم
مَنْ يُخَالِلُ » .

الناس غاب عليهم الجهل ، وترك الدين ، وتساطت عليهم الشهوات ،
حتى جاهدوا بها ، فكيف نندفع في صحبة لا نفع فيها ؟ وكيف نندساق مع
صداقة لا تزيدنا علماً أو تديننا أو تهذيباً ورفعةً وكلاً .

كل صديق أحق ، مبتدع فاسق ، محب لذاته فلا تصاحبه .
كل زميل ، أرفيق ماجن ، مستهتر ، فلا ترافقه ، فإن طبعك يسرق من
طبعه ، فتصبح مثله من حيث لا تدري .

تجنب المجالس التي تدبر فيها السهرات الليلية ، والحفلات الشيطانية ،
ويتبارى فيها الأصدقاء في تصيّد النساء ، فهو لاء حزب الشيطان الخاسرون .

تجنب المحافل والجامع ، والمعاهد والمدارس ، التي ظهر فيها الإلحاد ،
وأعلن فيها الفساد ، باسم العلم أو الثقافة ، أو حب البحث ، نخاضوا في كلام
الله تأويلًا وتضليلًا ، وصوروا الأمور للسائل تشكيلاً وتبديلاً .

(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ
ذِكْرِىَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) . « ٦٨ و ٦٩ الأنعام »

قاطع كل من ظلم نفسه فأرداها ، وعميت بصيرته ففسّأها ، بالشر والفسق
والفجور ، لئلا يسحبك إلى نار جهنم .

(وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ تُنصِرُونَ) « ١١٣ هود »

ابتعد عن انغمس في اللهو واللعب حتى ماتت نفسه ، وضاع شرفه ،
وفقد الرجولة ، فاندلع عابثًا ماجنًا ، لا يراقب الله ، ولا يخشى 'جزاء
في آخرته .

(فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) « ١٣ المتحفة »

كم من شباب مذهب متعلم كان مثال الاستقامة ، انقلب خليعاً فاسقاً متسكماً متهتكاً ، فنبحت عن سر انقلابه فنجده صاحب الأشرار ، وخالط الفجار ، واندمج في الشباب المخنث .

كم من رجل كان أخا المساجد ، رفيق العبادة ، صديق الشرف والنزاهة ، أصبح أخا الحانات ، ورفيق الزانيات ، صديق الخمر والميسر ، والدس والبلاهة ، لأنه هجر الرحمن ، ووصل الشيطان ، وأحب الندمان ، فحقَّ عليه قول الله تعالى : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ .

وَأَنَّهُمْ لَيَصْذُقْنَهُمُ مِنَ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ)

« ٣٦ إلى ٣٨ الزخرف »

كم من فتاة عذراء طاهرة ، رجعت شيطانة فاجرة ، وخلعت عذار الحياء ، فسارت عارية سافرة ؟ وبعد أن كانت تحجل من محادثة والديها ، أصبحت تحدث الرفقاء من الشباب ، وتغريهم بالإثم ، وتدعوهم للفاحشة ، والسبب سوء الوسط ، والنحطاط الصداقة .

كم من زوج مخلص لزوجته ، وكم من امرأة أسعدت بعلمها ؟ ينقلب الزوج عاشقاً لراقصة ، والمرأة خليلاً لغريب ، والسر أعوان السوء ، ودعاة السوء .

والله يقول : (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) « ٢٨ الكهف »

عاهد نفسك من الآن ، وأنت هنا بيت الله ، أن لا تجلس على مقهى ،
أو دكان ، لتغازل النساء ، أو تقتاب الخلق ، أو تتغامز على من يمر بك ،
أو تحرض على منكر ، أو تعين على محرم .

عاهد ربك أن تفر من الأشرار كما تفر من الأجرب والمحموم ، فإن
عدوى 'الحمى' لها علاج ، أما عدوى 'الآثام' فعلاجها عسير .

تخير صديقك من أهل الدين والتقوى والعلم ، والخلق والعقل والحزم
تسعد به وتنتفع منه . فإله يقول : (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) « ١٥ القمان »
(وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) « ٢٨ الكهف »

(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)
« ٥٦ المائدة »

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ الشُّوْءِ
كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ : إِمَّا أَنْ يُجْذِيكَ ، وَإِمَّا أَنْ
تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ : إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ
ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » ^(١) .

« عن كتاب الوعظ »

لفضيلة الأستاذ محمود علي أحمد

خطيب مسجد الرفاعي سابقا

(١) انظر شرح هذا الحديث في كتابنا العظات الدينية في الأمثال القرآنية والنبوية .

مخالطة الأختيار ومجانبة الأشرار^(١)

رقى المرء وانحطاطه تابعان لما يتحلى به من كريم الأخلاق ، أو يدنس به نفسه من قبيح الصفات .

والأخلاق الحسنة والقبيحة تنتقل إلى الإنسان من البيئة التي يعيش فيها شعر بذلك أو لم يشعر .

ومن البيئات التي لها أثر كبير في بث الأخلاق في الإنسان ، الأصدقاء الذين يتردد إليهم ، ويأنس بالقرب منهم ، فإذا كان عاقلاً محباً للمعالي ، راغباً في الكمال ، اختار من الأصدقاء من كملت أخلاقه ، وحسنت طباعه ، وكان ذا دين يعصمه من النقائص ، ويرفعه إلى مصاف الفضلاء .

وإذا كان محباً للمعالي فرّ من أصدقاء السوء الذين خلوا من الأخلاق الحميدة ، واستهانوا بأمر الدين ، وجاوزوا حدود الله ، وجعلوا كل همهم في الحياة لقمة يأكلونها ، أو متعة زائلة يتمتعون بها .

إن مصاحبة الأختيار تغرس في نفسك الأخلاق الطيبة ، وتحبب إليك الخير ، وتعودك على الإقبال على العمل والإخلاص فيه ، وتجعلك من المؤمنين الصادقين ، والعظماء النافعين ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

أما مصاحبة الأشرار فإنها تقودك إلى السقوط والهلاك ، إذ تقودك للاستهانة بالآداب والأخلاق ، وتجرتك على اقتراف الآثام ، وارتكاب

(١) انظر الصحبة وانتخاب الأصحاب والأدب معهم في كتابنا (آداب الفتى) .

الجرائم ، وتباعد بينك وبين القيام بما يرفع منزلتك ، ويعلى مقامك ، فتصبح من أولئك الذين لا قيمة لهم في الحياة ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم .
والصديق الخير مرآة لصديقه ، يريه محاسنه فيستزيد منها ، ويبين له مساويه فيعمل للتخلص منها .

أما الصديق الشرير فلا يهيمه إلا أن تكون شريراً مثله ، حتى لا يكون لك فضل عليه ؛ وقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم بمعاشرة الأخيار ، والبعد عن الأشرار . قال تعالى : (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) « ٢٨ الكهف » (وسبق ذكرها في الخطبة المتقدمة)

وبين لنا أنه ليس من شأن المؤمن بالله أن يتودد إلى من يغضب ربه ، ولو كان أقرب الناس إليه . قال تعالى :

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) .

« ٢٣ المجادلة »

وصور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح والمجلس السيئ خير تصوير في قوله : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ

تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ
ثَوْبَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً^(١) . وسبق ذكر هذا الحديث

فحذير بالعاقل أن يصحب الأخيار ، ويحذر الحذر كله من معاشره
الأشرار ، فلا يصغى إلى أخبارهم مستطيباً ، ولا يروى أحاديثهم مستحسنًا ،
ولا يحضر مجالسهم مبتهجاً ، فإن أقل شيء من ذلك يعلق من دنسه بالنفس ،
مالا يغسل عنها إلا بالعلاج الصعب في الزمن الطويل ، وربما كان سبباً
في فساد العالم المرشد ، فضلاً عن الناشئ المسترشد .

قال صلى الله عليه وسلم : « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ
مَنْ يُخَالِلُ » . وسبق ذكر هذا الحديث

مصطفى خفاجي

مجلة نشر الفضائل العدد ٥٠ السنة السادسة

(١) انظر شرح هذا الحديث في كتابنا العظات الدينية في الأمثال القرآنية والنبوية .

خطبة في الحث على معاشرة الأخيار، ومجانبة الأشرار

الحمد لله الذي أمر بمعاشرة الأخيار الأطهار، ونهى^١ عن مخالطة المجرمين الأشرار، إنماء للخير في نفوسنا، وإبعاداً للشر عن قلوبنا، وربك المربي الخبير، العليم الحكيم.

أشهد أن لا إله إلا هو، يرسم لنا طرق التربية الصحيحة، ويصف أدوية النفوس المريضة، ولكننا معرضون عن رسمه، مهملون لوصفه، فسأت حالنا، وضعفت أخلاقنا، وتمكن عامل الشرفينا.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، علت منزلة أصحابه بعشرته، واتباعه والافتداء به في سيرته وصفاته وطباعه، فكانوا في مقدمة الأمم، وكانوا لمن بعدهم خير قدوة، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه البررة الأتقياء المخلصين الأوفياء.

أما بعد : فإن النفوس من شأنها أن تتأثر بمن حولها، وتنشأ كالوسط الذي يحيط بها، فإن كان من حولها أناساً سمت مبادئهم، وشرفت غاياتهم، وكرمت طباعهم، وعلت أخلاقهم، وحسنت أعمالهم، كانت كذلك سليمة المبدأ، نبيلة الغاية، جميلة الطبع، طيبة الخلق، صالحة العمل، وإن أحاط بها مجرمون، أثمة فاسدون، لا يعرفون الله ولا يذكرونه، ولكن يعرفون الفساد وأربابه، والفسق وعشاقه؛ لا يعرفون مساجد العبادة، ولكن يعرفون دور اللهو والخلاعة؛ لا يعرفون القرآن الكريم وآياته،

ولكن يعرفون قصص الغرام ورواياته ، إن أحاط بها (أى بالنفوس) أولئك ، وزينوا لها سوء أعمالهم ، وقبيح صنيعهم ، أصيبت بأمراضهم ، وتدنست من دنسهم ، وأصبحت منبع جرائم ، ومصدر قبائح وما آثم .

فالعاقل الحازم من يبحث عن النفوس الطيبة الصفية الخيرة ، فيساكنها ويجاورها ويصاحبها ويلازمها يبحث عن مجالسها وأنديتها ، فيغشى ماغشيت ، ويذهب أنى ذهب ، لتتصل روحه بروحها ، فيستقى من معينها ، ويتأدب بأدابها ، ويتخلق بأخلاقها ، ويأنس بها في أعمالها .

قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَمْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا) .

« ٢٨ الكهف »

أما النفوس الآئمة الكاذبة ، الخاطئة الظالمة ، الملحدة الخافلة ، التى اتخذت إلهها هواها ، وإرواء شهواتها منهاها ، وانغمست فى العصيان ، وولت وجهها نحو الشيطان ، وتركت سبيل الرحمن ؛ هذه النفوس حذار أن تقترب منها ، أو تخلطها وتعاشرها ، أو تركن إليها فى أمرك ، أو تعتمد عليها فى شأنك ، فإنك إن فعلت ألفت بك فى الهاوية ، وأردتك ناراً حامية .

قال تعالى : (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) « ١١٣ هود »

وقال تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الدِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . « ٦٨ الأنعام »

وقال تعالى : (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) . « ٢٨ الكهف »

إن من يأنس إلى هذه النفوس ، ويغشى 'مجالسها' ، كمن يأنس إلى
الحداد ، فيجلس في مجلسه ، فإما أن يُحرق بناره ، وإما أن يُؤذى بريحه ،
فلا يعود منه بخير ، ولكن يصيب منه كل شر .

يا هــذا إن القرين السوء شيطان وأى شيطان ، يصدك عن قصد
السبيل ، ويهديك إلى سواء الجحيم ؛ ويقول لك في هذا الموقف الرهيب ،
الذي تبحث فيه عن الشفعاء والأنصار والخلان والأنداد :

(يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) « ٣٨ الزخرف »
ثم يلقى بكما في نار جهنم تصلون سعيها ، وتأكلون من زقومها ، وتشربون
من حميمها (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) .
« ٣٩ الزخرف »

فها أجدرك الآن أن تقول لصاحبك المضل : دع وصلي ، وابتعد عني ،
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين .

كم من شباب تعب في تربيتهم الآباء والأمهات ، وأنفقوا عليهم مئات
الجنهات ، حتى نبتوا نباتاً حسناً ، وشبوا أصفياء النفوس ، أطهار الأخلاق ،
ولكن سرعان ما تحولت نفوسهم الملكية إلى نفوس شيطانية ، لأنهم

رموا بأنفسهم في الأوساط الموبوءة ، وخالطوا الفتیان المفتونة ، فأوردوهم
موارد الهلكة ، حتى حقت عليهم الكامة : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) . « ١١٨ النحل »

فاتقوا الله ولازموا الأخيار ، وتجنبوا الأشرار تسعد نفوسكم ، وترق
أخلاقكم ، وتفوزوا بجنة ربكم (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ) . « ١٢٨ النحل »

من كتاب إصلاح الوعظ الديني

للمرحوم الشيخ عبد العزيز الخولي

ملحوظة - أكثرنا من ذكر صحبة الأخيار ، واجتناب الأشرار لما
فيها من العظة والاعتبار ، ولأنها عليها المدار في تربية أخلاق الناشئة وحسن
مستقبلهم .

الوفاء بالصحبة

من المقرر أنه محال أو قريب من المحال ، إذا قلت إنك وجدت أو سمعت
بصديق وفي لصديقه في السراء والضراء ، والجهر والخفاء ، فقد أصبحنا
— والحمد لله الذي لا يحمّد على مكروه سواه ، والمكر والخديعة طبيعة من
طبائعنا ، والغدر والوقعة شيمة من شيمنا ، وما لدينا من الصداقة إلا أفاظ
خلافة ، ودعاوى براءة ، وأقوال كاذبة ؛ وما همنا من صداقتنا المصنوعة ، إلا
إشباع رغباتنا ، وتحصيل مآربنا ، وقضاء شهواتنا .

فإذا اضطررنا صداقتنا إلى التضحية ، بقليل من المجهود أو المتاع ،
بخلت الأنفس ، وشحت الأيدي ، وذهب الصديق . ونعم ما قيل :
« لا يعرف الصديق إلا عند الضيق » ونعم ما قال الشاعر :

ولقد رأيت المستحيل ثلاثة الغول ، والعنقاء ، والخل الوفي

وقال المرحوم الشيخ محمد زكي الدين سند مؤسس ورئيس جمعية مكارم
الأخلاق الإسلامية :

سألت الناس عن خلٍّ ودود فقليل : الناس من خلٍّ ودود

فقلت : أليس فيهم ذو وفاء فقالوا : كان ذلك في الجدود

بل إن شئت فاستمع إلى (بشار بن برد) يبكي الصداقة والوفاء ،

فيرسلها أنات وزفرات ، تحملها أبيات مشجيات ، منها قوله :

خير إخوانك المشارك لك في الضر وأين الشريك في الضر أينا ؟

الذى إن شهدت شرك في الحى وإن غبت كان سمعاً وعينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم بدلوا كل ما يزينك شينا
وإذا مارأوك قالوا جميعاً : أنت من أكرم البرايا علينا
لا أرى للأنام ودّاً صحيحاً صار كل الوداد زوراً ومينا
ومن تصفح التاريخ ، وقرأ سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسيرة
أبي بكر الصديق رضى الله عنه صفيه وحيبيه ، لوجد فيهما المثل الأعلى ،
والقدوة الصالحة في إخلاص المحبة ، وحفظ الود ، والتضحية بكل غال
ونفيس ، في سبيل الصداقة والصديق ؛ ولنذكر لك نبذة يسيرة تتبين فيها
ما كان من أمر هذين الصديقين العظيمين ، ففيها عظة لمن يتعظ ، وعبرة
لمن يعتبر .

قام محمد صلى الله عليه وسلم مزوداً بحراسة الله ، مخوطاً بعنايته ، فتنكر
له الأهل ، وتباعد عنه العرب ، وتألب عليه الصديق ، إلا بضعة نفر احتملوا
كل أذى ، وكل عذاب ، وانضموا إليه ، وانضوا تحت لوائه ، وعلى رأسهم
صاحبه الصفي ، وصديقه الوفي ، أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وتقلب
الرسول في شتى الأحوال ، في عناء إلى عناء ، إلى عداوة ، إلى مطاردة ،
إلى هجرة ، وأبو بكر رضى الله عنه قائم دونه ، يذب عنه ما استطاع ،
ويدفع عنه ما أمكنته القوة .

وكان من أمر هجرتهم من مكة إلى المدينة ، ما هو مدون في كتب
التاريخ حتى اختفيا في الغار ، وكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

كلمته المشهورة : (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) إلى غير ذلك من دلائل الإخلاص ، وعلام الوفاء ، التي دفعت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يبادله حباً بحب ، وإخلاصاً بإخلاص ، يزيد ولا ينقص ، حفظ له عهده في السر والعلن ، وتقانى في الوفاء له ، والثناء عليه ، ويكفى أبا بكر فخراً تلك الجملة المشهورة المشرقة :

« لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به » وكذلك قوله « إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَةً وَلِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً » .

وإليك الحديث الآتي الذي يدل على حب الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر والوفاء له .

روى : أنه وقعت بين أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، محاورة ومشادة ، فبدرت من أبي بكر كلمات أغضبت عمر ، ولو أن شخصاً آخر غير أبي بكر هو الذي أغضب عمر ، لما قنع بغير إعناته وإغضابه ، وما كان من عمر إلا أنه يسرها لأبي بكر وصمت ، وذهبت الثورة عن أبي بكر ، واستعرض ما حدث ، فهاله أن يغضب عمر ، وأن يهيج حفيظته بكلام لم يرده ، بل جرى عفو الخاطر ، ومسارة اللسان ، فندم على ما كان منه ، وأقبل على عمر يستغفره من ذنبه ، وألح في ذلك . فما كان من عمر إلا أن تركه واعتصم بداره ، فحزن أبو بكر حزناً قاتلاً ، ومشى مضطرب القلب ، متغضن الأسارير ، حتى أشرف على مجلس الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلمحه صلى الله عليه وسلم في أول الطريق حتى

وجه إليه نظره ، وعلق عليه بصره ، وعلى وجهه البشر والسرور لقدوم صاحبه وخليله ، فإذا مادنا من القوم ولاح لهم وجهه ، لاحظ النبي صلى الله عليه وسلم (وهو الفطن الذكي) ، ما يبدو على وجه أبي بكر من أمارات الأسى والحزن ، فغاب بشر وجهه ، وما عثم أن قال مشيراً إلى أبي بكر ، ومخاطباً من حضر مجلسه : أما صاحبكم فقد غامر (أى خاض) ودخل في أمر شديد) أو أصابه مكروه . ويقبل أبو بكر والقوم صامتون شاخصون إليه ، يتلهفون إلى معرفة الأمر ، وحقيقة الخبر ، وأكثرهم شوقاً ولهفةً إلى ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ويسلم أبو بكر فيرد عليه الرسول والقوم السلام ، ويسأله عن شأنه ، فيجيبه أبو بكر في لهجة رقيقة قائلاً : ما معناه : يا رسول الله لقد جرت بيني وبين ابن الخطاب محاورة ، جرى على لساني كلام لم أقصده ، ولكنه آلمه ، وقد رجوته أن يعفو فلم يفعل وتركني ، وأغلق بابه دوني ، فأقبلت إليك .

هنا تأثر النبي صلى الله عليه وسلم تأثراً شديداً ثم قال : يغفر الله لك يا أبا بكر ، قالها ثلاث مرات في صوت كله التأثر والشجور .

أما عمر ، وإن كان قد قسا على صاحبه ، ولكنه سرعان ما ندم على ما كان . فأسرع إلى بيت أبي بكر فسأل النبي أتم أبو بكر؟ قالوا : لا . فتوجه إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أتى القوم وهم على ما ذكر ، فألقى السلام ، وجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمعر وتغيض نضارته فأوجس في نفسه خيفةً عمر ، وقدّر أن سينزل فيه قرآن ، لأنه كان من شدة

إيمانه ، كلما أقبل على رسول الله ، ولم يبدش له الرسول لمانع ما ، يوجل وجلاً بالغاً ، ويحسب أنه أجرم جرماً لا يلبث القرآن أن يتحدث عنه .

قام عمر ، وجلس عن جانب النبي صلى الله عليه وسلم ، فأشاح عنه بوجهه إشاحة الغاضب المغيظ ، فانتقل عمر إلى الجانب الآخر ، فأعرض عنه الرسول مرة ثانية ، وجلس قبالة بين يديه ، فأعرض عنه أيضاً للمرة الثالثة .

ليت شعري ما الخبر ؟ هذا الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل من قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ» . وقال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . هذا عمر الذي بقى المسلمون قبل إسلامه في مهانة وذلة ، يعذبون ويضربون ، فلما أسلم اعتزوا به ، وصار لا يتعرض للمسلمين امرؤ بهيبة عمر الذي كان يتحدث بلسان القرآن قبل أن ينزل ، ويحكم بحكم الله من فوق سبع سموات .

عمر الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجَالٌ يُكَلِّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، فَإِنْ يَكُ مِنْ أُمَّتٍ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَعُمَرُ» . وقال مخاطبه : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ غَيْرَ فَجِّكَ»

عمر البطل السميدع ، الذي كان حرباً على الشرك ، ذو هيبة تنزل بالكفار فيحكم بينهم القتل والأسر .

عمر هذا ما باله يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفل به ، ويعرض

عنه ثلاث مرات ! وهل بلغت قيمة عمر إلى هذا الحد ؟ أين ماضيك يا عمر وأعمالك وسابقاتك ؟ بل ما اجتרכת يدك ؟

لكن إذا كان عمر عزيزاً على الإسلام والمسلمين ، لأنه جاهد واحتمل ما لا تحتمل الشم الراسيات ، فأبو بكر عزيز كذلك إن لم يكن أعز ، لأنه صافى الرسول عليه الصلاة والسلام الود عند المحنة ، وأخلص له الوفاء وقت الشدة ، وما بدرت منه منذ سبق إلى الإسلام بادرة تنال من مقامه ، أو تشوب طهارته .

هكذا يكون الغضب للصديق بالحق ، وهكذا تكون السورة للمحافظة على الحق ، أيتها اليهود الغالية التي مضت ، أين أنت ؟ هلا رجعت إلى الحياة سيرتك الأولى ؟

قال عمر وهو يكاد يبكي : يا رسول الله ، ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني ، فلا خير في الحياة وأنت معرض عني .

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم حالة عمر المبكية التي تستدعي الرأفة والرحمة ، فقال له :

أنت الذي اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه ؟ يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تقبل ؟

هنا قال عمر : وقد زال عنه بعض ما ناله ، والذي بعثك بالحق ، ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له ، وما خلق الله من أحد أحب إلى منه بعدك . ونظر أبو بكر فوجد تأثير الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ غايته ،

وغيضه قد انتهى' إلى منتهاه ، وخاف أن يكون منه إلى عمر شيء يكرهه ،
فأشفق عليه ، وقام حتى جثأ بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال
في ضراعة واستشفاع ما معناه : يا رسول الله عفوك ! فأنا الذي بدأت به
بما أغضبه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم ما معناه : إن أفضلكم
إلى أبو بكر لسابق أياديهِ إلىَّ ، بعثني الله بالحق إليكم فقلتم : كذبت . وقال
لي : صدقت . وضحى في سبيلي وسبيل دعوتي بماله ونفسه وجهوده .
ثم قال : فهل أنتم تاركون لي صاحبي ؟

الله أكبر ، ما هذه الخلال العالية ، والصفات النبيلة ، والخلق الطيب ،
بلى ! إنه لجدير حقاً بقول الله فيه : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

أيها الصديق الذي لم يحفظ الود ، بل نكث وغدر ، تلك عبرة تقرر
سمعتك . وعظة توقظ نفسك ، وصورة تنبه قلبك ، لا عمل للأخيار فيها ،
فهل إلى اعتبار من سبيل ؟

أحمد جمعة الشرباصي

عن مجلة الإسلام العدد ٢٣ السنة السابعة

ما قيل في فضيلة الوفاء للإخوان^(١)

قال حكيم : الوفاء أفضل شمائل العبد ، وأوضح دلائل المجد ، وأقوى أسباب الإخلاص في الود ، وأحق الأفعال بالشكر والحمد .

وقال آخر : الوفاء من شيم الكرام ، والغدر من خلائق اللئام .

وقال غيرهما : من صحب الناس بلسان صادق ، وعاملهم بحسن الخلاق وألزم نفسه رعى العهود والمواثيق ، فقد أرضى المخلوق والمخالق .

وقال أديب : من تحلى بالوفاء ، وتخلّى عن الجفاء ، فذلك من إخوان الصفاء .

ولقد أحسن من قال :

إذا أنت محضت المودة صافياً ولم ترع وصل الصديق مجافياً
ووفيت بالعهد الذي خانه الوري ولم أر مخلوقاً على العهد باقياً
فقد حزت أسباب المكارم كلها وحددت للعليا رسوماً عوافياً

ومن أحسن ما قيل في الوفاء قول مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧

عن مجلة الأزهر

العدد السادس . المجلد التاسع

(١) انظر ما قيل في باب الوفاء في كتابنا تقويم الأخلاق .

خلف الوعد ، ونقض العهد ، وما ينبجم عنهما

الإنسان قبل الوعد حرٌّ أن يَعِدَ أو أن يرفض ، فإن وعد فقد طوق عنقه بفعلٍ ثقيل لا يفكه إلا الوفاء ، وحمل كاهله عبئاً فادحاً لا يحطه عنه إلا الإنجاز ؛ وإن أخلف وعده ، فقد برهن على فتور إرادته ، وخور عزيمته ، بل على سوء نيته ، لذلك كان من الواجب عليك أن تفكر ملياً ، وتتروى طويلاً قبل أن تعد وعداً ، أو تلزم عهداً .

فإن من تعده يرتب أموره ، وينظم أعماله ، وأوقاته بناء على وعده ، خلف الوعد إفساد لهذا الترتيب ، وينشأ عنه فوات مصالح ذات قيمة ، أو وقوع خسارة جسيمة ، أو ضياع فرصة لا يمكن تداركها .

ولذلك تشعر في نفسك بامتعاض ، وفي صدرك بانقباض ، حينما يخلف وعدك صديقك ، أو عميلك إذ ترى في ذلك تعطيلاً لأعمالك ، وضياعاً لأوقاتك ، بل ازدراء لذاتك .

ولا شك أن خلف الوعد غدر يفسد النظام ، ويذهب الهيبة والاحترام ويضيع الثقة بين الأقوام ، ويفصم عرى التعاون والالتزام ، ويعجل الله به الانتقام .

هب أن الناس كلهم أخلفوا مواعيدهم : هذا التاجر الكبير مع صغار التجار الذين يتعاملون معه ، وهذه المصانع مع عمالها في دفع أجورهم ، وهؤلاء المدينون مع دائنيهم ، وهذه المخازن مع البيوت التي وعدتها بتوزيع

الخبز عليها يومياً ، وهكذا ، أليس معنى هذا الحيرة ووقوف الكثير من الأعمال ؟ وإذا دام الحال على هذا المنوال أفلا تكون النتيجة عدم ركون الناس بعضهم إلى بعض ، وضياح ثقتهم ، وبطلان جميع المعاملات المترتبة على المواعيد ؟

فما أسوأ عاقبة خلف الوعد ! وما أعظم ضرر الشخص الذي يتخذ ذلك الخلق الذميم ديدناً له ! إذ يعرف بين الناس بالكذب ، ويشتهر بالمطل ، فنفقد ثقتهم به ، والثقة كما قيل : رأس مال المرء في حياته فإن فقدوها فقد الحياة ، ومتى انتزعت الثقة منه انحطت مكانته الأدبية ، وقلت شوكة نفوذه ، وربما أفضى إلى خسارته المادية ، وثرعزع ركنه المالى ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

فالمصانع الذى يعد زبونه أن يتم له عملاً فى موعد يضربه له ، ثم يخلف وعده ، ويتمادى فى إخلاله ، تنفض زبائنه من حوله ، هارين إلى آخر صادق متطوعين بتشويه سمعته ، وتشهيرها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، فلا يبقى بعد ذلك من يقصد إليه ، أو يتعطف عليه ، فينكد عيشه ، ويضنه الفقر بنابه ، ويذوق من آلام الهوان جزاءً وفاقاً لما أسلف من سوء التدبير ، وخلف الوعد .

كذلك رب المصنع إن عهد فيه مرء وسوء رجلاً مسوّفاً بخلافاً يعدم ويؤكد وعوده بأغلظ الأيمان أن ينيلهم طلباتهم ، أو يدفع لهم أجورهم فى ميعاد محدد ، ثم ينقض ما عاهدهم عليه ، ويخلف وعده معهم سرعان ما يضربون

عن العمل في مصنعه ، وينادرونه إلى غيره ، فيقف دولا ب حركة مصنعه
ولا ينجح بعدئذ في تأليف قلوب عمال آخرين .

وكيف يقدر على ذلك وقد نعى إليهم نبأ معاملته لأسلافهم ، لذلك يمتنعون
عن معاضدته ، ويعافون العمل معه ، فلا مناص له من إيباد أبواب مصنعه .
على أنه لو وقف إلى استهواء عماله الأولين لم يعد له عليهم من الرياسة
والسيطرة ما كان له من قبل ، إذ تزداد مطامعهم ، ويتغالبون في مطالبهم ،
وتسوء أخلاقهم ، ولا يقوى أن يقف أمام تيارهم الجارف .

وقل مثل ذلك في التاجر الذي ينكت عهده مع دائنيه ، أو الذي عليه
مال لعميله إذا لم يدفعه في الحال يضرب له أجلاً يدفع فيه ذلك المال . فإذا
أخلف وعده بغير عذر شرعى ارتاب العميل به ، وإذا تكرر منه خلف
الموعد امتنع عن معاملته .

وكذا المحامى الذى ينقض وعده مع موكله ، وسائر العامالين المخالفين ،
تراهم لا يحنون من أخلاقهم إلا المقاطعة والانتباذ . ذلك ما ينال الواعد .

أما ما ينال الموعد فأشد وأنكى إذ أنه يتجرع مرارة الانتظار ، ويتقلب
على أحر من جمر النار ، ارتقاباً لما يأمله ، وما ألدع نار الانتظار وأشق وقعه
على نفسه ؟ لا سيما إن أعقبه الحرمان ، فتضيق عليه إذ ذاك الأرض بما
رحبت ، ويظلم في عينه واسع الفضاء ، ويصير إلى حال من الحيرة والاضطراب
دونها حال المجانين ، ولم لا ؟ وقد انهار ركن آماله ، وغدت أمانيه كسراب
بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً ، فوث عليه ركونه إلى هذا

المماطل واستيثاقه من إنجاز وعده قضاء مصالحة هامة قد كان يستطيع
قضاءها من غيره وأتّى له ذلك وقد نفذ الوقت ، وليس إلى درك مأربه
من سبيل؟ .

وكم من بيوت خربت ، وسراة تلفت ، وأسر انتثر عقد عزها ونعيمها
من جراء إخلاف الوعد؟

هذا تاجر توعده دائنوه بالحجز على متاجره إن هو لم يوفهم ديونهم
صباح غدٍ ، ووعد أحد إخوانه أن يوافيه بدينه قبل ذلك الوعد ثم تخلى عنه ،
أفلا يهوى ذلك البائس المسكين في هوة من الإفلاس والفضيحة لا منقذ
له منها؟

وليست تلك النتيجة الوخيمة مقصورة على الأفراد ، بل تتجلى بأجلى
مظاهرها بين الأمم ، وكثيراً ما ينجم عنها إنقاد نيران الفتن والقتال
والعصيان ، بل قد تتل العروش الراسية وتقوض أركانها الوطيدة .

فالْحُكُومَةُ التي تمنى شعبها بمواعيد ترقوية تذبح نفسها بغير مديّة ،
إذ لا يلبث أن يقلب لها ظهر المجن ، ويناصبها العداء فتعم الثورات ، وتزهق
الأرواح ، وتسفك الدماء أنهاراً .

والدولة الغاصبة التي تقطع على نفسها العهود والمواثيق للأمة الضعيفة
التي غلبتها على أمرها أن تهب لها حريتها جزاء مُناصرتها إياها في عصب
أوقاتها ، وشديد محنتها ، ثم لا تفي بوعداها بعد قضاء لبايتها توغر صدور
أولئك الضعفاء ، وتنفض في أرواحهم سموم بغضها وكرهيتها ، وتولد من

ضعفهم قوة ، ومن تخاذلهم اتحاداً ، فتتفق كلمتهم على مناوأتها ومناهضتها بكل ما أوتوه من قوة حتى يسقط عرشها ، ويستحقوا ملكها .

فالوفاء بالوعد هو دعامة العمران ، ومحور نظام الكون ؛ وخلف الوعد هو سبب الخسران والوبال ، والوقوع في أسوأ الأحوال .

ولذلك نهى الله عنه بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) « ٢ الصف » .

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) « ٢٥ الرعد » .

وقال جلّ شأنه : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) « ١٠ الفتح » .

وبذلك حرم الله على المسلمين أن ينقضوا عهداً أبرموه ، وأنذرهم بأنهم سيسألون يوم القيامة عن عهودهم التي عاهدوها . فمن أوفى بعهده فاز بجزيل الثواب ، ومن نكث فقد استحق شديد العذاب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ . وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ . وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ » وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا . وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهَا كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ

مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَّعِيَهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاطَمَ فَجَرَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تَحْمَسُ بِخَمْسٍ : مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ ، وَلَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ ، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ ، وَلَا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخْذُوا بِالسِّنِينَ ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ ، إِلَّا حُبِسَ عَنْهُمْ الْقَطَرُ » « عن ابن عباس »

وتقل أيضاً ، أن الإمام أحمد ، ومن تبعه يرون أن الوفاء بالوعد واجب ، والخلف حرام ، سواء ، أكان في أمر الدين ، أو الدنيا ، نوى الخلف أو لم ينو . ثم نقل أن كثيرين يذهبون إلى أن الوعد بنية الخلف كذب حرام ، وأما بنية الوفاء فجائز ؛ لكن لا يجب الوفاء عند الأكثر ، بل يستحب ، ويكون الخلف مكروهاً تنزيهاً .

ودليلهم في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي في قوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا وَعَدَ الرَّجُلُ وَنَوَى أَنْ يَفِيَّ فَلَمْ يَفِ بِهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ، وَفِي رَوَايَةٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » .

ومن الحكم المأثورة : تضييع الميثاق ، من علامات النفاق .

وقيل : من نقض عهده ، ومنع رفده ، فلا خير عنده .

ومن كلام الصالحين : إن حفظ العهد من الإيمان ، وإن نكث العهد

من الزور والبهتان .

وقال بعض الحكماء لابنه : يا بني لا تحمل عقداً مبرماً ، ولا تنكث عهداً محكماً .

وجاء في مجمع الأمثال : آفة المروءة خلف الوعد .

سل أصحاب المحال التجارية التي تراها غاصة بالبضائع ، والناس يحتشدون على أبوابها داخليين وخارجين ، زرافات زرافات ، والسيارات إليها ذاهبةً ومنها عائدةً ، بأى وسيلة وصلوا إلى هذه الغاية ؟ وبأى عمل أدركوا هذا الربح الجم ، والمال الكثير ؟ يجيبوك : بالوفاء بالوعد .

وسل آخرين ممن كان مثلهم فأفل نجمهم ، وبارت تجارتهم ، وذهبت رءوس أموالهم ، وخوت جيوبهم ، وصاروا صفر اليدين مما كانوا يملكون ، وعادوا أذلاء أجراء بعد أن كانوا أعزاء أغنياء ، سلهم بأى شيء نالهم هذا ؟ يجيبوك : بخلف الوعد ، ونقض العهد ، وكذب القول ، والممارسة في الحق .

اللهم وفقنا للعمل بطاعتك ، والقيام بالوفاء بالوعد ، وعدم نقض العهد وأداء الحقوق لأصحابها لنفوز بعفوك ورضاك .

مثال في سوء عاقبة خلف الوعد، ونقض العهد

مما يحسن إirاده مثلاً في خلف الوعد، ونقض العهد، قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري، وهي تتلخص فيما يأتي :

أن ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فاجاءه يوماً فقال : يا رسول الله ، ادع الله لي أن يرزقني مالاً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدى شكره ، خير من كثير لا تطيقه .

ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما لك في رسول الله أسوة حسنة ؟ والذي نفسي بيده ، لو أردت أن تصير الجبال معي ذهباً وفضة لصارت .

ثم أتاه بعد ذلك فقال : يا رسول الله ، ادع الله لي أن يرزقني مالاً ، والذي بعثك بالحق لن يرزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ، وعاهد الله على ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالاً . فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت حتى ضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، ونزل وادياً من أوديتها وهي تنمو ، وكان يصلي مع رسول الله الظهر والعصر ، ولا يصلي باقي الصلوات إلا في غنمه ، فكثر ونمت حتى بعدت عن المدينة ، فصار لا يشهد إلا الجمعة ، ثم كثر أيضاً حتى كان لا يشهد الجمعة ولا جماعة ، فكان إذا جاء يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم الأخبار ، فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فقال : ما فعل ثعلبة ؟

فقالوا : يا رسول الله ، اتخذ غنماً لا يسعها واد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح ثعلبة !!

فأنزل الله آية الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين : رجلاً من (بنى سالم) ، ورجلاً من (بنى جهينة) وكتب لهما أسباب الصدقة ، وكيف يأخذانها ، وقال لهما : مرا بثعلبة بن حاطب ، وبرجل آخر من سليم نخذا صدقتهما . فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ ، فانطلقا وسمع بهما (السليمي) فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فقربها للصدقة ثم استقبلهما بها ، فلما رأياها قالا : ما هذا ؟ قال : خذاه فإن نفسى به طيبة ، ففرا على الناس وأخذا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أرونى كتابكما ، فقراه ثم قال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، اذهبا حتى أرى رأيي .

قالا : فأقبلا ، فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — قبل أن يتكلم — يا ويح ثعلبة !!

فأنزل الله عز وجل قوله : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ

مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي سِرِّهِمْ وَنَجْوَاهُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (« ٧٦ التوبة » .

وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة ، قد أنزل الله عز وجل فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته ؟ فقال : « إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقتك » فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني » فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع إلى منزله .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً . ثم أتى إلى أبي بكر رضي الله عنه حين استخاف فقال : قد عامت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من الأنصار ، فأقبل صدقتى . فقال أبو بكر رضي الله عنه : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا . فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها .

ثم ولى عمر رضي الله عنه فأتاه وقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى . فقال : لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقبلها أبو بكر فأنأ لا أقبلها ، وقبض عمر ولم يقبلها .

ثم ولى عثمان رضي الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، ولا عُمر فأنا لا أقبلها ، ثم هلك
ثعلبة في خلافة عثمان .

فانظروا رحمكم الله إلى سوء عاقبة غدركه ، كيف أذاقه وبال أمره ؟ ووسمه
بسمه عار قضت عليه ، وأعقبه نفاقاً يخزيه يوم فاقته وفقره .

فأى خزى أشنع من ترك الوفاء بالعهد ؟ وأى سوء أقبح من غدر
يسوق إلى نفاق ، وأى عار أفضح من نقض العهد بعد الميثاق ؟

الغدر

الغدر أخو الكذب والجور ، والوفاء أخو الصدق والعدل ؛ وذلك
لأن الوفاء صدق باللسان والفعل معاً ، والغدر كذب بهما وفيه مع الكذب
نقض العهد ، وهو ضرب من النفاق ، وإضرار بمن عاهده .

فإذا عاهدت إنساناً على عمل تنجزه له في وقت محدود ، أو على تسديد
دين في موعد مضروب ، أو تعاهدت معه على نبذ المنكرات ، واتباع
الحسنات ؛ أو اتفقت معه على بيع سلعة ، أو تأجير منزل ، أو بذل معروف
أو زواج ابنته أو الخ أو عاهدته على مثل ذلك فغدرت في معاهدتك
فقد دخلت باباً من أبواب النفاق ، وخنت صاحبك ولبست عليه في تدبير
شأنه ، وأفسدت عليه نظام عمله ، والغدر مذموم ، ومنهى عنه شرعاً لقوله
صلى الله عليه وسلم : « أَرَبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ
خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ ،

وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » رواه الشيخان وأبو داود والترمذى . وفي بعض الروايات « وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ » .

وسبق الكلام على خيانة الأمانة ، وعلى الكذب ، ونذكر الآن الكلام على الغدر .

أما الفجور في المحاصمة ، فمعناه عدم الوقوف فيها عند حدود الحق ، كأن ينكر حق صاحبه ، أو يستحل ماله وعرضه ، أو يسترسل في النزاع والعداء ، ولو أفنى في ذلك أمواله ، أو عرض حياته للخطر . فمن كان بهذه المثابة في خصومة ، فهو فاجر منافق .

وكم رأينا من متنازعين خربت بيوتهم ، وذهبت أموالهم ، لأنهم نسوا أو تناسوا ما ينجم عن الخصام ، وجعلوا غرضهم الأول أن يكيد كل لخصمه بما استطاع من حول وقوة ، فكانت العاقبة وخيمة والعياذ بالله .

ومن الغدر المكر السيئ ؛ وهو أن ينصب الإنسان حبال خبثه ، ودهائه لمن أمن جانبه ، واطمأن إليه ، فيوقعه في الشر من حيث لا يدرى . والغدر ، في أى صورة ، من الأخلاق الذميمة التي لا يرضاها لنفسه إلا من فسد عقله ، ومرضت نفسه ، فأصبح من أعداء الفضيلة ، وأولياء الرذيلة . ومن عرفه الناس بالغدر نبذوه ، فلم يأتهموه على أسرارهم ، ولم يعاهدوه على أمر من أمورهم ، ولم يعاونوه عند حاجته إليهم ، فيكون غدره وبالاً عليه في الدنيا ، ثم يرد يوم القيامة ، إلى من يحاسب الناس على القليل والكثير ، ويجازى كلاً بما عمل . قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا
مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) « ٢٣ يونس »
وحسب الغادر ذلاً ومهانةً وخزياً وفضيحةً ، أن يمثل به يوم القيامة
في جمع من الأولين والآخرين ، فيرفع لكل غدره غدرها في الدنيا لواءً
يشار به إلى غدرته ، وتقضه لعهدده .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ
ابْنِ فُلَانٍ » .

وسياتى شرح هذا الحديث الشريف .
وقال بعض الحكماء : لا عذر للغادر ولا خائن .

وقال أحد الشعراء :
أَخْلَقَ بَيْنَ رَضَى الْخِيَانَةَ شِيمَةً أَنْ لَا يُرَى إِلَّا صَرِيعَ حَوَادِثَ
مَا زَالَتِ الْأَرْزَاءُ تَلْحَقُ بِؤْسِهَا أَبَدًا بِغَادِرِ ذِمَّةٍ أَوْ نَاكثِ

لواء الغادر

حديث شريف

عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْغَادِرَ
يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ » .

الشرح

المؤمن صادق القول لا يكذب ، أمين لا يخون ، وفي العهد لا يغدر .
وقد بين الرسول في هذا الحديث الشريف ، أن الفادر يشهر به على رؤوس
الإشهاد يوم القيامة حيث العالم كله مجتمع . فينصب له لواء ، ويرفع له علم في الموقف
بحيث تراه العيون ويقال : هذه غدرة فلان ابن فلان ، تشديعاً عليه ، وتقبيحاً لعمله ،
وتوبيخاً له وتعذيباً .

تصور أنه في حفلة جامعة ، وأنه بين يدي ملك البلاد ، ثم نادى مناد : هذا
فلان المجرم ابن فلان ، هذا الذي غدر صاحبه ، ونقض عهده ، هذا الذي كذب ،
ألا يكاد يصعق من هذه النسبة المشينة ، فاذا كان هذا هو الأثر في مجتمعاتنا الخاصة ،
فما بالك بالحشر العام ، الذي لا يدع مخلوقاً من يوم آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن
عليها ، إلا ضمه ذلك الموقف الذي يتجلى فيه رب العالمين . ويحاسب كل إنسان على
الصغير والكبير ، لاشك أن العذاب شديد ، والهول مفرع ، إذ يقول متقدماً :
(يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) .

وهذا اللواء المرفوع قد يكون لواء حقيقياً ، فيه رمز لصاحبه ، وإشارة إلى
غدرته ، وقد يكون الغرض إشهار الغدرة من غير ملاحظة أن يكون هناك لواء مرفوع .
والغرض من هذا الحديث الشريف التحذير والتنفير من الغدر ، وبيان أنه
جريمة كبرى ، وأن صاحبه مهين ، وعقابه أليم .

غدروا فقتلوا

ولنضرب لك مثلاً يدل على سوء عاقبة الغدر وهو :
حصل في غابر الزمان أن ثلاثة وجدوا في طريقهم كنزاً فقالوا :
قد جمعنا ، فليمض واحد منا يتبع لنا طعماً ، فضى أحدهم وقال في نفسه :

الصواب أن أجعل لهما في الطعام سُماً قاتلاً ليموتا ، وأنفردُ بالكنز دونهما ، ففعل ذلك . واتفق الصاحبان على قتله متى وصل إليهما بالطعام حتى يفوزا بالكنز دونه .

فلما وصل إليهما غدرا به وقتلاه ، ثم أكل من الطعام فساتا على أثره . فاجتاز بعض الحكماء هذا المكان ، ووجدهم موتى والكنز بينهم ، فعلم أنه سبب مصرعهم ، فقال : ويل لكلا من الديان !

مثل الغادر

ذئب في ثوب إنسان

ظهرت يا (ذئب) لي في ثوب إنسان
يهرش وجهك لكن عن مصانعة
كم قيل لي : دعه لا تحفل به أبداً
فقلت : إن صنيعى معه متصل
لكنني كنت مع هذا على حذر
فكان من حذقه في الغدر يمتنع
حتى أصخت لما يزرجه من مدح
فكان ما كان مما لست أذكره
فأرحل (إلى حيث) يعوى الذئب لارقات
إن الطباع إذا شبت على طبع^(١)

وجئت تخطب ودي مثل أخذاني
وصفح قلبك مطوى على ران
وانفض يديك بهذا الفاتك الجاني
وسوف يأسره فضلي وإحساني
أستشعر الغدر منه كل أحياني
بأطيب القول في مدحي وشكراني
ونمت بين يديه ملء أجفاني
ستراً عليه ولا أفضى لإنسان
عيناك من دمع أتراح وأحزان
فلا تمحص من رجس وأدران
سليمان الوكيل رحمه الله

عقوبة الغدر في القانون

مادة ١٠٤ - كل موظف عمومي أعان شخصاً على عدم الوفاء بما تعهد بتوريده للعساكر البرية أو البحرية يعاقب بالحبس والعزل .

لا يخفى أن المهمات الحربية والأشياء اللازمة للعسكرية ، هي ضرورية جداً ، بحيث لو حصل التأخير أو التقصير أو الغش في توريدها ، يضر ذلك بالمصلحة العمومية ، وعلى الخصوص مصلحة العسكرية ضرراً بليغاً .

فلذلك يستوجب عدم الوفاء أو التأخير عن المواعيد المقررة بالنظر لتلك الأشياء والمهمات العقوبة المنصوص عنها في المادة السابقة .

وعدم الوفاء بتوريد الأشياء أو التأخير فيه ، ينشأ من إحدى الأحوال الثلاث الآتية :

أولاً - القوة القهرية .

ثانياً - التأخير ، أو التقصير المبني على التواطؤ مع العدو .

ثالثاً - التأخير أو التقصير الناشئ عن الإهمال الحاصل من المتعهدين .

فإن كان عدم الوفاء بما كلف به ، أو تعهد بتوريده المتعهد ، ناشئاً عن

أسباب قهرية فلا عقاب عليه .

وأما إذا كان عدم التوريد والتقصير منه مبنياً على التواطؤ بين المتعهد

والعدو ، فيعد المتعهد والحالة هذه خائناً للوطن ، عدواً للحكومة ، ويحكم عليه

بالإعدام عملاً بالمادة ٧٢ ويلزم بالتعويضات .

وأما إذا لم يكن التأخير أو التقصير ناشئاً عن تواطؤ ، بل عن إهمال المتعهدين ، فيحكم عليهم بغرامة مساوية لرفع التعويضات التي يلزمون بدفعها للحكومة بسبب الضرر الذي حصل من إهمالهم .

الثقة ضمان المعاملة

إن حياة الجماعة في ألوانها المتعددة قائمة على بضع أسس معنوية وأصول خلقية ، وصلات روحية ، أكثر مما هي قائمة على قوانين موضوعية ، وسنن مبتدعة ، وقواعد مخترعة .

وإن مسلك الأفراد قائم على الوازع النفسى ، أكثر منه على الوازع العرفى .

ففى الحق أن العلائق بين الخلائق ، قوامها إلى حد كبير ، حميد الشرائع ، من صدق ووفاء ، وإيثار وإخلاص ، ورحمة وتعاطف ، وعدل وإنصاف ، وشرف وتمائل ، فى الفكر والشعور ، مجتمعة فى كلمة مألوفة . الثقة المتبادلة .

هذا الأصل المدير لشئون الجماعة ، من سياسة واقتصاد ، وتعامل بين الأفراد .

هكذا كان شأن الجماعات المبدئية فى بداوتها قبل فساد الضمائر ، وخراب الذمم ، والتواء النيات ، حين كانت على الفطرة الصادقة تستلهم فيما تعمل ، وتقول صدى ' الذوق العام ، وتسترشد بالفريزة السليمة ، وتستمع إلى صوت شعورها الباطنى المستقيم ، دون المنطق المصنوع الذى وجد للتضليل والإيهام ،

وليس لتقويم إعوجاج الأفهام ، فلم تكن تلك الجماعات تحفز ذمامها ،
وتخلف وعودها ، وكان في شرف الأقوال والعهود ، غنية عن
القيود والعقود .

لا أدري كيف يتم التناسق بين آحاد الجماعة الواحدة ، ويسود التآلف
والتفاهم بين الناس ؟ بين الحاكم والمحكوم ، والخادم والمخدوم ، وبين الجار
والجار ، والزوج والزوجة ، والرئيس والمرعوس ، والمعلم والمتعلم ، والتاجر
والعميل ، وبين الزميل والزميل ، بغير ارتياح وأمان واطمئنان ، وهى أثر
الثقة فى النفس .

وإنك لتتساءل ما الثقة ؟ فالجواب ، هى على ما أرى ' بوجه عام : أن
تعهد بأمورك إلى غيرك فى طمأنينة ، ودون قلق ، وأن تركز إليه فى ارتباطك
به ، وفى معاملتك إياه على أمل وطيد ، وبغير حذر شديد ، ولا حيلة محكمة ،
وسوء ظن ، اقتناعاً منك بأنه على خلق سجيح^(١) ، ورأى رجيع ،
وعلم صحيح .

من الملحوظ إذن أننا إنما نولى ثقتنا ، من بدا لنا متحلياً بفضيلة طاهرة
غير منكورة ، أو مزداناً بميزة بارزة مشكورة ، من ورع وتقوى ، وإيثار ،
وإخلاص ، وعزم ، وحزم ، وذكاء ، وفهم ، وحنق ، وكفاية ، وحنكة ،
وتجربة ، وعمل صالح رشيد ، بلا أى اعتبار لذات الشخص .

ولا يغيب عنك أن ثمرة ثقتك فى سواك ، لا تكون لك حتى تفرسها

(١) السجيح : اللين السهل .

في أرض طيبة ، وتضعها في موضعها ، وإلا كان شأنك في هذا شأن اللبق مع المغفل ، والطيب مع الماكر ، والبار مع الفاجر ، والكريم الوادع مع الدجال المصانع .

ولذلك لا تعول البتة على ثقة الدهماء والغوغاء ، بل على ثقة الصفوة من أهل النظر ، فإن ثقة هؤلاء صادرة عن وزن وتفكير ، أما ثقة أولئك فصادرة من المجازاة والمحاكاة ، ثم عن الاندفاع إلى حمق ، والانسحاق الأخرق ، لأن من خصائص الجماهير الغفلة ، وسرعة قابليتها للإيحاء ، والتحذير ، وقصورها عن الروية والتقدير والتدبير .

وبما أن الثقة قوة لها أثرها ، وخطرها ونفعها ، بأن تورت حائزها نفوذًا وجاهًا وسلطانًا ، سعى الناس إلى إحرازها سعيًا ، أعنف ما يكون بشتى الوسائل والطرق ، فإن أعوزتهم الفضيلة والكفاية ، فباللقب والصيت والثراء ، وإن أعوزهم هذا وذاك ، فبالتهجير ومعسول الأقاويل ، وحلو الوعود ، وعذاب العهود .

وإنما يريد أكثر هؤلاء أن يتخذوا ما ينتزعون من مشايعة ومبايعة ، وإقبال ورضا ، ذريعةً للمأرب خبيث مرذول ، من الاستخفاف بالألباب ، والتلاعب بالعقول ، والعبث بأمور العباد ، بعد سكون الناس إليهم ، وهذا تاجر يسلك في أول أمره سبيل الصدق والأمانة في اعتدال السعر وجودة البضاعة ، ولكن إذا ما استوثق من الزواج ، وكثرة الحرفاء ، راح يبيعك أردأ السلع بأفحش الأثمان ، وطفف في السكيل والميزان .

وهذا صديق لك حميم ، سكنت إليه ، وآنست به ، فلا يسته دون
كلفة ولا احتياط ، فلم تضرب بينه وبين أهلك حجاباً كثيفاً ، فإذا هو من
لثام الأغراض ، وذئاب الأعراض ، يفسد عليك زوجك من غير مبالاة .

وهذا وكيل ركنت إليه ، واعتمدت عليه ، في معالجة شئونك ، فإذا
هو غادر خثون ، عليك لالك ، جعل حقوقك موضع المساومة ، وفرط
في الأمانة تفريطاً ، قادك إلى طريق شائك وعمر ، لن تجد لك منه مخرجاً ،
حيث أثر تحقيق أمانيه في رعاية أمانيك .

وهذه زوجة خائنة فاجرة ، تبالغ بداءة في مظاهر العفاف المصطنع ،
حتى يطمئن إليها الزوج ويستنيم ، ثم تحيد عن الطريق المستقيم ، مستغلةً
هذه الثقة في جراءة وأمان ، كما يشاء لها الهوى والشيطان .

اعلم أن الثقة عامل هام في بعض الأشياء ، فإذا لم يحظ الطبيب بثقة
المريض ، والمعلم بثقة المتعلم ، والواعظ والناصح والخطيب بثقة السامع ،
والصحفي بثقة القارئ ، فليس العلاج بناجع ، ولا التعليم بنافع ،
ولا الإرشاد بمؤثر ، ولا الدعوة بمجدية ، لأن التأثير ناجم عن الاعتقاد
والتصديق والإيمان . وهي من دعائم الثقة .

فإذا أضاع المؤدب لدى تلاميذه حسن ظنهم به ، كانت مهمته فاشلة
خاسرة ، وكذلك السياسي ، وكذلك الكاتب . ولذلك يحرص المرء كل
الحرص على ما ناله من تقدير وثقة .

وبخاصة إذا كان بحكم أعماله على اتصال دائم بالناس ، وفي حاجة إليهم
كالتاجر ، وذوى المهن الجرة مثلاً . اللهم إلا إذا رآه استغنى ، فنفر
وتنكر وتنمر .

فإذا رأيت امرئاً يسرف في الرعاية والإعلان ، ويغالى في المظاهر
والمراسم ، ويغلو في الضجة والجلبة ، فاعرف أنه مشعوذ مرء ، فلا تعره أذنًا
صاغيةً ، فإن الفضل الصحيح لا يلبث أن يعرب عن نفسه من تلقاء نفسه ،
والحق أبلج لا يعتم أن يسطع بذاته ، وسرعان ما يظهر العمل الحميد وحده ،
في صمت وسكون ، كالخزن العميق ، والحب الوثيق .

يوسف محمد

الأهرام في ١٦ فبراير سنة ١٩٣٨

خطبة في أن الدين المعاملة

الحمد لله رب الأرباب ، ومسبب الأسباب ، جعل الدنيا دار سعى واضطراب ، وكد واكتساب ، وجعل الآخرة دار جزاء وثواب ، وحساب وعقاب ، أحمده خلق الدنيا لتكون مزرعةً للآخرة ، ومدرجةً إليها ، لا ليكون الكدح والعمل فيها مقصوراً عليها ، فمن جدّ وجد ، ومن زرع حصد ، وأشكره شرع للناس ما فيه مصلحتهم ، وسنّ لهم من الأحكام ما يكفل سعادتهم ، ويضمن هئاءتهم ، ويسهل سبل العيش الرغيد لهم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اختار لنا الإسلام ديناً ، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً (فَلَلهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) « ٣٦ ، ٣٧ الجاثية »

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، كان يأخذ الحق ، ويعطى الحق ، ويعامل الناس بالعدل والصدق ، كان المثل الكامل في العفة والنزاهة والإيمان ، لا يسير إلا على تقوى من الله ورضوان .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن والاهم بإحسان .

أما بعد : فقد قال الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (« ٧٢ البقرة »

يا معشر المسلمين : الدين الإسلامى ، دين الهداية والرشاد ، ودستور
العدالة والإنصاف ، ورسول السلام فى كل زمان ومكان ، دين شعاره
تقديس الحقوق ، واحترام المصالح ، والتواصى بالحق ، والتعامل بالصدق ،
لم يغادر أمراً من أمور الدنيا ، ولا شأننا من شئون الآخرة ، إلا بينه ووضحه
ومهد أصوله ، وفصل حدوده ، وشرح وجوه الحلال والحرام فيه .

دين شأنه الترغيب فى أعمال البر ، والتنفير من أعمال الشر ، والحث
على تأدية الأمانة ، والتحذير من مقارفة الغش والخيانة ، والأمر بالتعاون على
جميع الخيرات ، وكف الأذى عن جميع أفراد المخلوقات .

دين (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ) « ٤٢ فصلت »

فالحمد لله على هدايتنا لهذا الصراط المستقيم ، والشكر له على توفيقنا
للاعتصام بذلك الدين القويم .

أمر هذا الدين الحكيم بالمحافظة على حقوق العباد ، ووصى برعايتها ،
ووضع لها من الضمانات ما يكفل صيانتها ، وشرع لها من القوانين ما يضمن
سلامتها وحفظها ، وعدم التعدى على شئ منها ، ومهد لذلك نظام المعاملات
بين الناس ، وأجراه على سنن عادلة ، ومنهاج ثابت ، فلا ظلم ولا اغتيال ،

ولا غش ولا احتيال ، ولا بخس ولا طغيان ، ولا مكر ولا عدوان (إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ) « ٦٥ الحج »

تدبروا - رحمكم الله - قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُمُ يَبْنِكُمْ بِالْبَاطِلِ) « ٢٩ النساء » لتعلموا مبلغ عناية الله عز وجل
بعباده المؤمنين ، وكيف أنه تعالى وضع لهم بهذا القول المحكم ، أثبت قاعدة
تقوم عليها حياتهم ، ويدعم بها بنيان هياتهم ، حيث نهاهم عن أكل الأموال
المكسوبة من طريق الحرام : كالأموال الناشئة من غصب أو سرقة ،
أو غش أو خديعة ، أو ربا أو مقامرة ، أو نحو ذلك ، مما يوقع العداوة
والبغضاء بين الناس ، ويفصم عقدة ارتباطهم ، ويحل عرى ائتلافهم ،
ويورد هم موارد الهلاك والبوار .

ثم انظروا كيف أردف ذلك القول الجامع بأجل طرق الكسب
الحلال ، وأكبر مظاهر التعاون ، وأشرف مقاصد الإنسان فقال : (إِلَّا أَنْ
تَكُونُوا تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) « ٢٩ النساء » فيحل لكم أن تأكلوا
من أموال التجارات الصادرة عن تراضٍ حاصل منكم ، فإن التجارة من
أكبر وسائل الرزق الطيب ، ما دامت قائمة على حدود الله تعالى مراعى فيها
الصدق والأمانة والإخلاص ، مقصوداً بها حصول التعاون بين المسلمين
وتسهيل حاجاتهم ، وتيسير معاشهم ، ولا شك أنه إذا تحقق حسن المعاملة
بين الناس في البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، اشتدت ثقة بعضهم ببعض ،
وتأكدت روابط محبتهم ، وقويت روح تضامهم ، وتربت ملكة الأخلاق

الفاضلة في نفوسهم ، وكان من وراء ذلك نماء الثروة ، وسعادة الأمة ، وبلوغها أسمى مراقي التقدم والكمال .

من أجل هذا اهتمت الشرائع السماوية بالحث على حسن معاملة الناس بعضهم مع بعض ، وتيسير وسائل المبادلات فيما بينهم . وكان للشريعة الإسلامية في ذلك نصيب أوفى ، وقسط أكبر ، فقد أمرت الناس أمراً جازماً — لا هوادة فيه ولا لين — بالعدل في بيعهم وشرائعهم ، والقسط في أخذهم وعطائهم ، وحرمت عليهم تحريماً قاطعاً ، الغش والخيانة والتدليس ، ووضعت لهم القواعد التي يجرون عليها في معاملاتهم ، ويسرون على منوالها في مبيعاتهم ، ليسلم بناء المجتمع من صواعق المنازعات ، وعواصف المخالفات والمشاحنات ، ثم حفزتهم على العمل بهذا المنهاج القويم ، فضمنت السعادة وحسن الثواب ، لمن اتبع سبيلها ، وكتبت الشقاء والحرمان ، لمن حاد عن سنتها (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) . « ٤٦ فصلت »

وإليكم بعض ماسنّه الدين الإسلامي في الأحوال التي يجب أن ينتهجها الناس في معاملاتهم ، ويتبعوها في مفاوضاتهم ، أوجب الصدق والأمانة في المعاملة ، وقرر أنهما رأس مال التاجر والصانع ، يزيدان في ربح كل منهما ، ويؤكدان ثقة الناس به ، ويكونان سبباً في رواج تجارته ، وانتشار صناعته ، فلقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصادق الأمين ، وجعله في مرتبة النبيين والصدّيقين فقال : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) .

وحذر التجار من أن يكونوا فجاراً ، وذكرهم بموقفهم يوم القيامة ، فقال حين خرج إلى المصلى ، فرأى الناس يتبايعون : « يا معشر التجار . فلما استجابوا له ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه . قال : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبراً وصدق » وإنما وصفهم بهذا الوصف الذميمة في هذا الموقف العظيم ، لأن عادة الكثيرين منهم التدليس في المعاملة ، وترويج السلع بالآيمان الكاذبة ، وقليل منهم من اتقى الله ، ووفى يمينه ، وصدق في حديثه .

وأوجب كذلك على البالغ أن يبدى النصيحة للمشتري ، فيبين له مثلاً ما قد يكون في المبيع من العيب ، ولا يكتمه عنه ، ولا يمدح السلعة بما ليس فيها ، ولا يحلف الأيمان توسلاً إلى ترويجها وتحسينها في عين مشتريها ، فإن ذلك من الغش والخداع ، الذي يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل . وقد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاش من عداد المسامين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على رجلٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صُبْرَةٌ مِنْ حَبٍّ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ ادْخُلْ يَدَكَ فِيهِ فَفَعَلَ ، فَأَحْسَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ بَلَلًا فِي بَاطِنِ تِلْكَ الصُّبْرَةِ ، فَأَخْرَجَ بَعْضَ الْحَبِّ الْمُبْتَلِ وَقَالَ : مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَهُ الْمَطَرُ . قَالَ : أَفَلَا عَزَلْتَ الرُّطْبَ عَلَى حِدَةٍ ، وَالْيَابِسَ عَلَى حِدَةٍ ، حَتَّى يَشْتَعَ النَّاسُ مَا يَعْرِفُونَ ؟ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

وعنه رضى الله عنه : أنه مرّ بإنسان يحمل لبنًا ليبيعه ، فنظر فيه فإذا هو قد خلط بالماء ، فقال له :

كيف بك أيها الناشئ إذا قيل لك يوم القيامة خلّص الماء من اللبن ؟ وذلك إنما يقال يوم القيامة فضيحة للناس على رءوس الأشهاد ، فى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، نكالا من الله للغشاشين فى مقابلة غشهم للمسامين . وليتأمل الغشاش قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ بَاعَ شَيْئًا وَفِيهِ عَيْبٌ لَمْ يُبَيِّنْهُ لِمُسْتَرِيٍّ لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ ، أَوْ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُهُ »

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا إِلَّا بَيَّنَّ مَا فِيهِ ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا بَيَّنَّهُ » .

وكثيراً من الناس لا يهتمون لذلك ، ولا يقدرون عاقبته ، يرى الواحد منهم رجلاً غرا يريد شراء ذلك الشئ بالعيب وهو لا يدري ما فيه من العيب ، فيسكت عن نصحه حتى يغشه البائع ، أو يأخذ ماله بالباطل ، وما درى الساكت على ذلك أنه شريك البائع ، فهو غاش مثله يشمله الوعيد الشديد الذى نطق به الحديث الشريف : وهو أن الغاش لا يزال فى مقت الله وغضبه ، أو لا تزال الملائكة تلعنه .

إلى غير ذلك من الوسائل التى قررها الشرع لتيسير المبادلات وتسهيل المعاملات بين العباد .

وكما أن البائع مكلف باتباع هذه القواعد ، والسير على نهجها في بيعه ، كذلك المشتري مكلف بإقامة العدل في شرائه فلا يحل له أن يغرر بالبائع أو يدلس عليه ، أو يبخسه سلعته ليأخذها منه بثمن أقل من قيمتها ، أو يماطل البائع في دفع الثمن ، أو يعطيه له زائفاً ، أو مغشوشاً .

وبالجملة فالشريعة الإسلامية تطالب من كل إنسان بائعاً كان أو مشترياً ، أن يكون سهلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى ، وأن يعامل صاحبه بما يجب أن يعامله به صاحبه ، فلا يغشه ، ولا يغبنه ، ولا يطله ، ولا يغرر به ، ولا يظلمه .

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) « ٣٠ النساء » .

فاتقوا الله معشر المسامين ، وليكن الصدق رائدكم ، والأمانة شعاركم ، وأسداء النصح ديدنكم ، واحذروا الغش في البيع والشراء ، والتدليس في الأخذ والإعطاء ، حتى تروج تجارتكم ، وتنتشر صناعتكم ، وتحسن سمعتكم ، وتعظم الثقة بكم ، وتتحقق في هذه الحياة سعادتكم ، ويحزل الله لكم في الآخرة أجوركم .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ؛ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) « ١٠ ، ١١ الصف » .

أخرج الأصبهاني عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أَطْيَبُ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا ،
وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا ، وَإِذَا أُنْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا ، وَإِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَذُمَّوا
وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يَمْدَحُوا ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا ، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ
لَمْ يُعْسِرُوا » .

محمود خليفة

خطيب مسجد الست الشامية بمصر

مجلة الاسلام السنة الثالثة العدد ٤١

خطبة أخرى في أن الدين المعاملة

نص الخطبة النفيسة التي ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود علي أحمد بمسجد الرفاعي في يوم الجمعة ٩ صفر سنة ١٣٦٠ هـ - ٧ مارس سنة ١٩٤١ م ، وكنت حاضراً سماعها مع صديقي علي بك صبحي العروسي .



الحمد لله بين لعباده ما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات .
أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله شرع نظام المعاملات ،
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أمرنا بالإخلاص في العبادات .
صلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، الذين تورعوا عن الشهوات ،
وجانبوا المنكرات .

عباد الله : المرء منا عليه واجبات لربه ، وواجبات للناس : عليه لربه
العبادة الخالصة من صلاة وصيام ، وعليه للناس المعاملة الصادقة من برٍّ ورحمة
وتعاون واحترام ، وكف أذاه عنهم ، ومنع شره وبمده عن بغي وعدوان
وإجرام . فالإسلام جاء بعبادات تطهر القلوب ، وتنهي عن الفحشاء
والذنوب ، وتبعت في النفس خشية ورهبة من علام الغيوب ، كما جاء الإسلام
بمعاملات تنظم بها أمور العباد ، وتستقيم شئونهم فتسعد البلاد ، وتموت
المطامع والأنانية وعوامل الشر والفساد ، وتحيا المروءة والمحبة ، وتعيش
الأمة متماسكة في ظل الإخاء والاتحاد ، فمن أدى حق ربه ، وحق عباده فقد

أبرأ ذمته وحفظ أمانته ، وفهم دينه ، وعرف رسالته (أَوْلَاكَ حِزْبُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) « ٢٢ المجادلة »

بهم تشرق الدنيا ، ويظهر نورها ، وتسمو النفوس على غرورها
وفجورها ، ومن أضاع حقوق الله وحقوق الناس ، فلم يؤد العبادات ،
ولم يرع المعاملات ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين
(أَوْلَاكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) « ١٩ المجادلة » .

ومن الناس من يجتهد في العبادات ، ويحافظ على الصلوات ، ويضيع
حقوق إخوانه ، ويسئ المعاملات : لا يحفظ عهداً ، ولا يصون أمانةً ، ولا
يرعى ذمةً ، ولا يخجل من خيانة : يغش ويمكر ، ويسىء ويفجر سريع إلى
الأذى والإضرار بالناس ، بطيء إلى الخير متبلد الإحساس ، أيقظ أن صلاته
تنجيه ، أو يغفر له صومه ما يرتكبه ويأتيه ؟ كلا إن إضراره بعباد الله يذهب
بثواب الصيام والصلاة ، ثم يساق للعذاب يصلاه ، جزاء ما قدمت يداه .
قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فِي عَرَضِهِ أَوْ
فِي شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ
كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ
أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » رواه البخاري عن أبي هريرة .

قوم يعبدون ويؤذون : مجالسهم ذم واغتياب وتشهير ، وحديثهم
نہش للأعراض ، وتشويه للكرامات ، وتلويت وتحقير ، وأفعالهم نصب
واغتصاب ، ومؤامرات على الأصدقاء والأصحاب ، وقسوة وظلم وإزعاج

وإرهاب ، وينفلون عن قول خير الأنام عليه الصلاة والسلام « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِيزْهُ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ » رواه مسلم عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه .

يبني عبادة ويهدمها بالغدر ، يجمع ثروة ويثقلها بالديون ، فتستغرق الديون تركته ، ويبطل الغدر عبادته ، فيعان إفلاسه ويبقى مع المعدمين . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيَمُطِّي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » رواه مسلم .

إن حقوق الله ما شرعت إلا لتنظيم حقوق عباده . إن العبادات فرضت لتطهير القلوب فتحسن المعاملات (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) « ٥٤ العنكبوت » والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا »

إن الصيام تمرين للمصائم على ضبط شهواته ، وكبح ملذاته ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » .

فالعبادات وسيلة لا غاية ، وطريق يوصلك لنهاية ، وقنطرة لا غنى عن عبورها لمن قصد بر السلامة ، فمن وقف عند الوسيلة ، ولم يقطع الطريق فقد حرم الحكمة ، وأضاع الفائدة .

فالمسلم لا يقيس بصلاته ، ولا يوزن بصومه ، فقد يبرع المنافق في مظاهر العبادات ، وقد يتقن الكاذب أداء الصلوات ؛ إنما يوزن الناس بآثارهم ومعاملاتهم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول :
« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » متفق عليه .

لا تمر ف أخلاق الرجل بالصلاة ، ولا تنكشف خبيثة نفسه بالصوم والزكاة ، إنما تنجلي الأخلاق بآثارها في الأعمال ، والمحك الصادق هي المعاملة والأفعال ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « الدِّينُ الْمَعَامَلَةُ » فيوضحها الإمام على كرم الله وجهه بقوله : الصَّلَاةُ عَادَةٌ ، وَالصَّوْمُ جَلَادَةٌ ، وَلَكِنَّ الدِّينَ الْمَعَامَلَةُ .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وتؤذى جيرانها بلسانها ؟ فقال : « لَأَخِيرَ فِيهَا هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » .
إن المعاملات أمرها خطير ، وإن حقوق العباد شأنها كبير ، إن الحياة

إذا خربت فيها الذمم، وفسدت الهمم كانت شقاءً وبلاءً. وإن الحديث الشريف يقول: «لَتَوَدََّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْمَلْجَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءُ» رواه مسلم عن أبي هريرة.

ولقد بلينا بقوم يضيعون حق الله، ويحسنون القول، ويزخرفون العمل، ويقولون لمن عاتبهم في تركهم الصلاة. ماذا تريدون منا أكثر من لسان عفٍّ، وفعل حميد؟ هؤلاء أضاعوا حق ربهم، فهم لحقوق العباد أضيع، يطلبون الفلاح من غير طريقه، ويستشفون بالدواء من غير طبيبه، ومن طلب الهدى من غير القرآن أضله الله (وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) «٨٢ الاسراء»

أولئك يخدمون أشخاصهم، ويحرصون على مصالحهم، فجماهم زائف، وحسنهم كاذب، لا أجر لهم وإن أحسنوا ظاهراً. فالحديث الشريف يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» فلا غنى للناس عن أداء الحقين، ولا ينفع حق بدون الآخر. قال صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَخُونُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ. التَّقْوَى هُنَا، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». رواه الترمذی

حسن المعاملة

قالت الحكماء : الإنسان مدني بالطبع ، فلا بد له من الاجتماع بيني جنسه ليأنس بهم ، ويأنسوا به ، متكافلين في الأعمال ، متضافرين في المساعي . وقد يشارك كثير من أنواع الحيوان الإنسان على نوع مّا في فضيلة العيش جماعات ، غير أنها تختلف في الكيفيات ، والترتيبات المبنية على قوة الفكر والعلم والعمل المحكم : كالقردة ، والفيلة ، وبقر الوحش ، والقط ، والنمل ، والنحل .

ولقد نبه القرآن الكريم على هذا الاجتماع الإنساني وآدابه في كثير من المواضع .

قال تعالى في تفاضل الشعوب : (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) « ١٣ الحجرات »

وقال تعالى في التعاون الصحيح : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) « ٢ المائدة »
وبين كذلك حال العشرة القريبة في النسب والمصاهرات والقراية .

وقال عليه الصلاة والسلام في أدب الاجتماع ، وحقيقة مبدئه في التكافل والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

وقال جل شأنه : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ) « ١٠ الحجرات »

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ

كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُهُ بِالْجَمْعِ وَالسَّهَرِ .
وأول رباط في العشرة الزوج . وقد جملة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سنته فقال :

« النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ سُنَّتِي فَقَدْ رَغِبَ عَنِّي » .
والزواج أفضل ما يحفظ قوام المجتمع ، فقد جاء في الحديث : « مَنْ
تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي » .
وفوائد الزواج في المجتمع خمس :

١ - إيجاد الولد بقاءً للنسل ، وحفظاً للجنس : وهو الأصل في حكمة
الزواج ، حتى لا يخلو العالم من جنس الإنس . قال عليه الصلاة والسلام :
« تَنَاجَوْا كَيْحُوا تَنَاسَلُوا تَكْثُرُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ أَلَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وقال تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَأِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) « ٣٢ النور »
ولمراعاة هذا السنن الإلهي ، والواجب الطبيعي لم يرد في أحوال
المسلمين ولا في شريعتهم أمر الرهبانية ، ولا العزوبة الداعة إلا لعذر شرعي .
وجاء في الأثر : « لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ » .

٢ - الحاجة الطبيعية ، حتى تكسر الشهوات ، وتحصن النفوس من
النزعات ، وتلتزم العفة المطلوبة شرعاً .

ففي الزواج قهر غائلة النفوس ، وصياتها من الوقوع في فساد الأخلاق ،
والموبقات ، المفسدة لحال الاجتماع .

٣ - إدخال الراحة على النفس ، والمهنة والسعادة ، وترويح القلب حتى لا تنصرف حواسه عن غير حلاله ، وحتى ينشط للعبادة ، ويتفرغ لعمله المعاشي في نهاره ، والقيام بتكاليف الحياة المطلوبة .

جاء في الخبر : « لَا يَكُونُ الْعَاقِلُ طَامِعًا إِلَّا فِي ثَلَاثَ : تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ ، وَحِرْفَةٍ لِمَعَاشٍ ، وَلَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ . »

وقال الإمام على كرم الله وجهه : روّحوا القلوب ساعةً ، فإنها إذا أكرهت عميت .

٤ - تدبير المنزل : من الطبخ واللباس ، والفرش ، والكنس ، وتنظيف الأواني ، وتهئية كل مطالب البيت ، ولذلك يجب تربية الفتيات تربية منزليةً صحيحةً ، تعامهن القيام بواجباتهن المنزلية عند ما يصرن نساءً لرجال الأمة .

قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَأَتَقَقَ عَلَيْهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يُغْنِيَهُنَّ اللَّهُ عَنْهُ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ الْبَتَّةَ » .
ورأس الإحسان إليهن حسن تربيتهن .

٥ - مجاهدة النفس ، وحثها على زيادة النشاط في السعي على الأرزاق ، والكسب الحلال .

وفي الحديث : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »

والآداب المطلوبة من الزوجين كثيرة ، فمنها :

١ - تحسين الخلق بين الزوجين ، لتصفوا لهما المودة ، وتحسن بينهما العشرة .

قال الله تعالى : (وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) « ١٩ النساء » .
وقال عليه الصلاة والسلام : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ،
وَأَطْفَهُنَّ بِأَهْلِهِ » .

٢ - الاعتدال في الاتفاق : هو مطلوب في كل شيء من الرجل والمرأة

٣ - الغيرة : وهي ألا يتناقل عن بواطن الأمور التي تخشى غوائلها ،

مع عدم المبالغة في إساءة الظن (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) « ١٢ الحجرات »

٤ - تعليم الزوجة بالمعارف الضرورية الدينية والدنيوية .

٥ - تأديب الأولاد وتربيتهم تربيةً أسرية كريمة .

٦ - إصلاح ذات البين ، فيما ربما يشجر بين الزوجين ، أو يستحكم

من الخلاف .

يتحكم الأهل في ذلك . قال تعالى : (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا
مِنْ أَهْلِهَا) « ٣٥ النساء » .

وإصلاح ذات البين بين الناس عموماً ، وبين الأزواج خصوصاً ، من

أعظم ما حث عليه الشارع الحكيم وندب إليه .

٧ - العدل بين الزوجات ، إذا كان للمرء أكثر من زوجة إلى أربع ،

كما ورد به الجواز بشروطه ، غير أن مسألة العدل بين الزوجات من أصعب

الأُمُور، وأَشَقَّها على النفس ، ولذلك كان الاقتصار على الزوجة الواحدة من أحكم ما يأتي ابرؤ في حياته الاجتماعية ، إلا إذا أُلْجِئته الضرورة الشرعية إلى التعدد .

أما حسن معاملة الوالدين والإخوة ، وسائر القرابة ، فما حث عليه الشارع وأوجبه ، وجاء به أدب الإسلام الشرعي ، إذ قد جاءت الآيات القرآنية حاثّة على ذلك ، أمّرة به ، وكذلك الأحاديث النبوية الكثيرة ، الواردة في بر الوالدين ، وحسن القيام بحقوقهما ، والأدب معهما ، وصلة الأرحام ، والتحبب إليهما ، تودداً وتعطفاً .

قال عليه الصلاة والسلام في حديث فضل صلة الأرحام : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، وَيُوسَّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) .

أما عقوق الوالدين ، وجفاء ذوى القرابة ، فمن أمقت الخصال ، وشر الرذائل والسخائم (الأحقاد) التي ورد النهي الشديد عنها .

أما معاشرة الإخوان خاصة ، وبني الإنسان عامة ، فلها حقوق وآداب جمة ، يجدر بكل إنسان أن يتحلّى بها ، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، وأعظم مؤثر في الألفة الاجتماعية على الإطلاق ، حسن الخلق ، وقد حث عليه الدين كثيراً ، لأنه موجب للتحاب والتآلف والتوافق ، ولقد مدح الله نبيه بحسن الخلق فقال : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٤ ن)

وفي الحديث الشريف : « أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ : تَقْوَى اللَّهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

وجاء في الحديث : « أَحْسَنُ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ » .

فحسن الخلق من التقوى النفسية الملازمة للنفس ، المتميزة بالأخلاق
الكريمة ، التي تحصل بالاتصاف بأجل الأحوال التعاملية ، إما من طريق
الدين ، وإما من طريق الآداب الاجتماعية .

قال الله تعالى : (لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ) « ٦٣ الأنفال »

وقال عليه الصلاة والسلام في مدح أصحاب الأخلاق الفاضلة : « أَقْرَبُكُمْ مِنِّي
مَجْلِسًا ، أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا ، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ »
وقال أيضاً : « الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ
وَلَا يُؤْلَفُ » .

هذا هو الشأن في الإخاء القومى ، والمعاشرة الاجتماعية بالمعنى الأعم .
أما الصداقة بالمعنى الأخص في المجتمع الإنساني فقد تكون أدق وأمتن
ما يكون في هذا الباب من حيث اتحاد المشارب والأذواق ، تبعاً لتلك
الخاصية أو الجاذبية في النفوس ، المعبر عنها بالمقايضة أو المشاكلة ، لأن الناس
أشكال ، وأمثال ، وشبه الشيء منجذب إليه .

وللصحة حقوق وآداب يجب الوفاء بها وأداؤها على أكمل وجه ،
ويمكن حصرها فيما يلي :

١ - الحق في المال : قال عليه الصلاة والسلام : « مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ
مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى » .

يريد المعاونة في الشئون المالية بالإقراض ، ومديد المساعدة حين الحاجة إليها .

قال الشاعر :

إذا أنا أعطيت الكريم مودتي فليس لمالي بعد ذلك مانع
ولو وصلت الحال إلى الإيثار على النفس ، كما بلغت إليه حال المروءة الإسلامية في عهد النبي عليه الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : (وَيُزَيِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)
« ٩ الحشر »

٢ - الإعانة بالنفس في قضاء حاجات الإخوان .

٣ - السكوت باللسان عن القدح في الأصحاب فيما يعد تنقصاً لشأنهم وخطأً من كرامتهم ، أو اغتيالهم بما يكرهون في نفس أو عرض أو مال .
قال تعالى : (أَلَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) « ١٢ الحجرات »
وقال عليه الصلاة والسلام : « وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا »

٤ - النطق بحلو الكلام ، وتعود محاضرة الإخوان ، مما يذيع المحامد والمحاسن ، وينشر بين الأصدقاء لطائف الحديث ، والسمير بأدب وحشمة ، مع ترك هجر القول ، وبذاءة اللسان .

٥ - الإغضاء عن الهفوات ، واغتفار الزلات ، مما لا يخلو منه إنسان ، ولا يوجب قطيعة ، ولا يقتضى هجراً . قال الشاعر :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب ؟

٦ - الإخلاص والوفاء : وهما من أقوى العوامل فى استدامة الصلحة وتوثيق الألفة ، ومن الإخلاص ألا تصرم حبال المودة ، وإن بعدت الشقة . ومن الوفاء الثبات على الحب حال الحياة وبعد الممات .

قال عليه الصلاة والسلام : « قَلِيلُ الْوَفَاءِ بَعْدَ الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِهِ حَالِ الْحَيَاةِ » .

٧ - التخفيف ، وترك التكليف ، من أجل الآداب وأعظم الأصول . قال بعض الحكماء : من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره ، فقد أثم وأثموا ، ومن جعل نفسه فى قدره تعب وأتعبهم ، ومن جعلها دون قدره سلم وساموا ، ولن يتم التخفيف إلا باطرح التكليف .

ومما يزيد الألفة بين الناس : إفشاء السلام ، ولين الكلام ، وتجنب الأذى باللسان والأفعال ، مصداقاً للحديث الشريف : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » . والتجاوز عن بعض السفطات ، وتوقير ذوى المقامات ، والإسعاف والبر والشفقة بالضعفاء والمساكين ، وإغاثة الملهوفين وإصلاح ذات البين (العداوة) وإزالة المنكر .

أما المعاملات فى مطلق الشئون التعاملية ، فيجب فيها الصدق ، والأمانة ، والعدل ، والإحسان ، والعطاء ، والوفاء بالعهود والوعود ، والإنصاف من النفس ، وأن يصحب المرء الناس بما يحب أن يصحبوه به . قال عليه الصلاة والسلام لأبى الدرداء : « يَا أَبَا الدَّرْدَاءُ : أَحْسِنْ مُجَامَلَةَ مَنْ »

جَاوَرِكَ ، تَكُنْ مُوَافِقًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا .
 أما حقوق الجوار فهي من أشرف الحقوق وأجل الآداب الإسلامية ،
 وفي الحديث الشريف : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ
 جَارَهُ » . ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً بالجوار حتى كاد
 يورثه ، كما أنشأ أصل النفقة في الشريعة مراعاة لراحته عند بعض الأئمة .
 وقال عليه الصلاة والسلام في حقوق الجار :

« أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ إِذَا اسْتَعَانَ بِكَ أَعْنَتَهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَرَكَ
 نَصَرْتَهُ ، وَإِنْ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ ، وَإِنْ مَرَضَ عُدْتَهُ ، وَإِنْ مَاتَ شَيْعَتَ
 جَنَازَتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَزَّيْتَهُ ، وَلَا تَسْتَطِلْ
 عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ ، فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَا تُؤْذِهِ ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ
 فَاكَةً فَأَهْدِلْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا ، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ
 بِهَا وَلَدَهُ ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقَتَارٍ (رَائِحَةِ طَعَامٍ) قَدَرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا .
 ثم قال : أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَبْلُغُ حَقَّ
 الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ » .

عن كتاب المثل الكامل

للرحوم محمد أحمد جاد المولى بك

حسن المعاملة وكيف تكون ؟

المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، وذلك لأنه لا يمكنه أن يقوم بجميع حاجاته الضرورية ، فهو مفتقر لإخوانه ، مضطر لمعاونتهم له ، كما قال الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
فعلى من أراد أن يعيش هادئ البال ، مطمئن الخاطر في هذه الدنيا ، محبوباً عند إخوانه ، مألوفاً لديهم ، إذا افتقر أمانوه ، وإذا مرض عادوه ، وإذا احتاج ساعدوه : أن يكون لين الجانب ، خافض الجناح ، حسن المعاملة ، كما قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان
إذا اعتدى عليك معتد ، وسلب حقوقك ، ثم أمكنك الله منه ، فجعلت العفو عن العقاب بديلاً ، فقد أحسنت معاملته (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) « ٣٤ فصلت » .

إن كنت تاجراً ، وأريت للمشتري معاييب ما عندك ، وأرشدته إلى الأثمان الحقّة ، ولم تغشه ، فقد أحسنت معاملته .
إن كنت صانعاً ، فأتقنت العمل لمن كلفك به ، ولم تخنّه في شيء ، ووفيت بوعدك ، فقد أحسنت معه المعاملة .

إن كنت معلماً ، فأرشدت تلاميذك إلى الطريق المثلى ، ونصحت لهم

في التعليم ، ولم تضنَّ عليهم بما فيه مصاحبتهم ، فقد أحسنت معهم المعاملة .
إن كنت تلميذاً ، فامتثلت أوامر معلميك ، واشتغلت بتأدية
واجبك على النحو الذي يحبه أساتذتك ، فقد أحسنت معهم المعاملة .

إن كنت طبيباً ، فبذلت ما في وسعك في تخفيف الآلام ، ومساعدة
المرضى ، فقد أحسنت معهم المعاملة .

إن كنت محامياً ، فقامت بنصفه المظلوم من الظالم ، وأنرت الطريق
للقاضي ، ولم تمالئ ظالماً على ظامه ، فأنت حسن المعاملة .

إن كنت قاضياً ، فأيدت العدل ، وأوضحت طرقه ، ورفعت مناره ،
وأوصلت الحقوق لأربابها ، فأنت حسن المعاملة .

إن كنت مستخدماً ، فقامت بعملك على النحو المطلوب منك ،
وأخلصت في تأديته ، فأنت حسن المعاملة .

وإنَّ خُلُقاً هذا شأنه ، وتلك حاله ، لجدير بأن يبذل الناس مهجهم
في الحصول عليه ، والوصول إليه ، ليكونوا ممن رضى الله عنهم ، وأقبل
الناس عليهم .

نرى تجارة بعض الناس كاسدة ، لا يقبل عليها أحد ولا يشتريها ، وإن
قل ثمنها ، وجادت أنواعها ، بينما نرى تجارة البعض الآخر يقبل عليها الناس
إقبالاً تاماً ، مع ارتفاع قيمتها ، وربما كانت أقل من سابقتها ، فلم هذا ؟
وما السرُّ في ذلك ؟

السِّرّ في ذلك أن الأول ، قد عرف كيف يحسن معاملة الناس ، ويستجلب رضاهم ومودتهم ، ويجذب قلوبهم بما يروونه من حسن أخلاقه ، وجليل أعماله ، فتراه يمد ولا يخاف ، يقول ولا يخاف ، ينصح ولا ينش ، يهش للناس ويهش ، يكرم وفادتهم ، ويوصلهم إلى أغراضهم ، ويوصل إليهم طلباتهم ، مع اللطف في القول والأدب فيه ، يفض الطرف عن هفواتهم ، ويستزلاتهم ، إلى غير ذلك مما يحبب إليه القلوب ، ويصير منهم بمنزلة الحبيب المحبوب ، ويتق في تجارته علام الغيوب ، فيكون من الفائزين الراجحين ، راضياً عنه رب العالمين .

آداب المعاملة والمعاملة

مع صنوف الخلق

آداب المعاملة : هي أن يعاملهم برفق ولين ، ويخفض جناحه للكبير منهم والصغير ، ولا يخاطب أحداً بنقطة ، ولا يتكبر ولا يتعظم على أحد منهم ، بل يستجيب محبتهم بمكارم أخلاقه ، وحسن معاملته ، ولطف صنيعه ، ولا يكثر المراء والخصومة معهم ، وأن يتندر من يعرف ومن لا يعرف بالتحية ، وإذا حياه غيره بتحية ، ردّها بيمينها أو بأحسن منها ، وأن يلقى غيره بالبشاشة والبشر ، وطيب الكلام ، وحسن الأخلاق والأدب ، وأن لا يسفه عليهم ، ولا يؤذيهم بقول أو فعل ، وأن يعفو عن مذنبهم ، ويصفح عن تائبهم ، ويتودد إليهم بكل وسائل أنواع التودد ، وأن لا يعد أحداً منهم بوعده إلا وبقى به ، وأن يكرم حديث أخيه بالإفصات

إليه ، وحسن الإقبال عليه ، وأن يقوم لمن فوقه ، ويوسع له في المكان ، ويجلس بين يديه بغاية الأدب ، والسكون والوقار ، وأن لا يضع رجلاً على رجل بحضرة من هو أكبر منه ، من قريب أو أجنبي .

إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الكاملة .

وقد جاء القرآن الكريم ، مبيناً لهذه الآداب على أحسن وجه ، وأكملها ، مرشداً إلى ما يجب التخلق به ، ويلزم استعماله في معاملة الخلق ، من كل ما يجلب رضاهم ، ومحبتهم لبعضهم ، فتتحد كلمتهم ، وتتألف جامعتهم ، ويسعون لأنفسهم فيما يجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الشر والضير .

فمن ذلك ما سمى الله سبحانه وتعالى عليه من مقابلة الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ، والغضب بالحلم ، والغيظ بالكظم ، مع بيان الثمرة المترتبة على ذلك ، وفضل من اتصف بهذه الأخلاق الحميدة فقال :

(وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَا مَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) « ٣٤ ، ٣٥ فصلت » .

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى بيان ما أمر الله به عباده المؤمنين من حسن المعاملة مع صنوف الخلق ، الصغير منهم والكبير ، فإن أغضبهم أحد صبروا ، وإن جهل عليهم حاموا ، وإن أساء إليهم عفوا عنه ، وإن أذنب في حقهم ذنباً غفروه ، وأغضوا عما حصل منه من الهفوات ، وتجاوزوا

عما صدر منه من الغلطات ، فإن فعلوا ذلك صار العدو لهم صديقاً ، والبعيد عنهم قريباً ، والمبغض لهم حبيباً .

وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) «٣٤٢ قصص» أى أن الحسنه والسيئه متفاوتتان في ذاتهما ، نغذ بالحسنه التي هي أحسن من أختها ، وادفع بها السيئه التي تعرض عليك من بعض أعدائك ، كما لو أساء إليك رجل إساءة ، فالحسنه أن تغفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك ، مثل : أن يذمك فتمدحه ، أو يشتمك فتعطيه جائزة ، فإنك إن فعلت ذلك ، وأحسننت إليه من حيث أساء إليك ، قاده إحسانك إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك ، حتى يصير كأنه ولي حميم ، أى قريب إليك ، من الشفقة عليك .

ثم أشار جل شأنه ، بعد أن أوصى عباده المؤمنين بحسن المعاملة ومقاولة الإساءة بالإحسان ، وبين الثمرة المترتبة على ذلك ، أخذ يمدح من عمل بهذه الوصية ، وحافظ على هذه المزية ، فقال : (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ، أى وما يقبل هذه الوصية ، ولا يعمل بها إلا من اتصف بالصبر ، وثبات القلب . وقوة المزيمة ؛ لأنها من الأمور الشاقة على النفس ، التي لا يحتملها إلا من كانت هذه حالته ، وإلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة .

وقال تعالت أسماؤه ، يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ، محاسن الآداب ، ومكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة مع صنوف الخلق ، سواء المطيع منهم والعاصي .

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) « ٢١٥ ، ٢١٦ الشعراء »

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان : إلى بيان ما أرشد الله إليه نبيه عليه الصلاة والسلام ، من كيفية معاملته لمن اتبعه من المؤمنين ، ومن عصاه منهم ، فقد أمره أن يلين جانبه ، ويتواضع للمؤمنين ؛ لأن ذلك أدعى إلى اجتماع كلمتهم عليه ، ومحببتهم له ، وقيامه بكل ما يرضيه ، وبذلهم النفس والنفيس ، في سبيل تنفيذ رغائبه ، وسعيهم في إعلاء كلمته ، ونصرتة على أعدائه .

وهذا منه جل شأنه له عليه الصلاة والسلام من التدبيرات الإلهية ، والسياسات الشرعية ، التي يجب على كل من قام بالدعوة ، ليرشد الناس ويهديهم إلى مافيه صلاح حالهم دنيا وأخرى ، ويقوم ما عوجَّ من أخلاقهم أن يكون متخلقاً بها ، ومتحلياً بحلالها .

كما أمره أن يحمل المعاملة ، ويحسن الصنيع مع من خالفه ولم يتبعه ، لما في ذلك من محبتهم له ، وعدم نفورهم منه ، وربما كان ذلك سبباً في رجوعهم عن معصيته ، ومخالفته إلى طاعته ، وامتنال أمره . وذلك بأن يتلطف بهم ، ويحنو عليهم ، فلا يماقهم ، ولا يردعهم ، ولا ينهرهم ، ولا يقسو عليهم في المعاملة ، وإن كان ما عملوه من المخالفة والعصيان ، يستحقون عليه

أكثر من ذلك ، بل غاية ما يقابلهم به أن يتبرأ من عملهم ، ويقول لهم إني برىء مما تعملون ، وهذا نهاية مكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة .

ولا غرو فهي من رب الأرباب ، مالك الأرض والسموات ، العالم بمصالح البشر زماناً ومكاناً ، لنبيه وحبيبه ، وصفيه وخليله ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والآية الكريمة وإن كان الأمر فيها بخفض الجناح ، واستعمال اللين واللطف ، وحسن المعاملة والمجاملة ، هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الأمر يسرى لأئمة ، وأتباعه بطريق التبعية ، لأن كل أمر له أمر لأئمة ، ما لم يرد نص مخصص .

وعليه ، فيجب على كل منا أن يعامل جميع الناس بالرفق واللين والتواضع ويستجلب محبتهم إليه بمكارم أخلاقه ، وحسن معاملته ، ولطف صنيعه ، سواء المحسن منهم والمسيء ، فإن ذلك أدعى لموالتهم له وقت الحاجة ، وإنقاذهم له وقت الشدة ، ونصرته وقت الحرج والضيق ، والله ولى التوفيق .

* * *

وقال جل ذكره : فيما يجب أن يستعمله الإنسان مع خصمه من حسن المعاملة والملاطفة واللين ، حتى يكون ذلك سبباً في قبول قوله ، وإجابة طلبه ، مخاطباً بذلك موسى وأخاه هرون عليهما السلام ، عند ما أمرهما أن يذهبا إلى فرعون ليدعوا إلى عبادة الله تعالى :

(اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي . اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) « ٤٢ - ٤٤ طه »

يقول الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام : اذهب أنت وأخوك هرون إلى فرعون وادعوا إلى عبادتي وتوحيدي والإخلاص لي ، ومعكم آياتي ومعجزاتي ، وحججتي وبراهيني ، متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة ، وإكمال أمر الدعوة ، وعليكما مع ذلك عند مواجعتكما له ، ومقابلتكما إياه ، أن لا تنيا ولا تقصرا في ذكرى ، واستحضار أني وليكما وناصركما ، مع الدعوة إلى توحيدي ، ليسكون ذلك عروناً لكما عليه ، وقوةً وسلطاناً كاسراً له ، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام عن ربه : « إِنَّ عَبْدِي كُلُّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُنَاجِزُ قِرْنَهُ » ، أي يذكر أني وليه والآخذ بيده .

وبعد أن أمر جل شأنه موسى عليه السلام ، أن يذهب إلى فرعون ، ويصحب أخاه هرون معه حسب طلبه ، أخذ يأمرهما بالذهاب إلى فرعون ، ويرشدهما إلى ما يقولان له ، لعله يكون سبباً في إذعانه لهما ، وقبول ما جاء به فقال : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) أي تمرد ، وعتا ، وتجب على الله وعصاه ، وتجاوز الحد في الكفر والتمرد بادعائه الربوبية (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) لا خشونة فيه ، فإن التخشين في القول من أعظم أسباب النفور وعدم الامتثال ، بخلاف تليين القول ، فإنه أسرع إلى الإجابة ، وأدعى إلى كسر سورة عناد العتاة ، وتليين قسوة الطغاة .

وقد فعلا عليهما الصلاة والسلام ما أمرا به ، فقد قالاه : (إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ) « ٤٧ طه »

وقال له موسى عليه السلام : (هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ، وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) « ١٨ ، ١٩ النازعات »

فإن هذا غاية في اللين والرفق ، لأنه دعاء في صورة المرض والمشورة .
وقد ذكر جل شأنه العلة الباعثة على دعوته باللين وحسن الملاطفة .
فقال : (لَعَلَّكَ تَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) أى لعله يتأمل ، فيبذل النصفة من نفسه ، والإذعان للحق ، فيدعوه ذلك إلى الإيمان ، أو يخشى أن يكون الأمر كما تصفان ، فيجره إنكاره إلى الهلكة ، وذلك يدعوه إلى الإيمان أيضاً .

فهذا ما أمر الله به نبيه موسى عليه السلام ، وأخاه هرون من حسن المعاملة مع فرعون ، واللين له في القول ، والتلطف به ، وهما صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، وهو أخط الناس ، وأخسهم قدراً عند الله تعالى ، فكيف بمعاملة غيره من المؤمنين بعضهم مع بعض ؟ فإنهم أولى باستعمال الملاطفة واللين مع بعضهم ، والله أعلم .

وقال جل ثناؤه يامنا حسن المعاملة مع بعضنا ، ويرشدنا إلى أهم أسباب المودة والمحبة من التحية وحسن الرد : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) .
« ٨٦ النساء »

يقول الله تعالى ؛ إرشاداً لعباده المؤمنين ، وتعليماً لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) أى إذا

مسلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم عليكم ، فإن قال لكم : السلام عليكم ، فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله ، وإن قال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وليس في السلام زيادة على ذلك ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم عليكم ، واقتصروا على مثل اللفظ الذي جاء به - وإنما اختار الشرع لفظ السلام على لفظ حيّاك الله مثلاً ؛ لأنه أتم ، وأكمل ، وأحسن .

وقوله : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) أى يحاسبكم على كل شىء من أعمالكم ، ويدخل فى ذلك ما أمروا به من رد التحية ، والله أعلم . ومن تأمل قليلاً فيما يترتب على البداءة بالتحية ، وحسن الرد ، من التوادد والتحابب علم حكمة مشروعية هذه الآداب ، ومكارم الأخلاق ، وما يرى إليه غرض الشارع الحكيم منها .

يعلمنا الله كيف تعامل الله تعالى ، ونعامل خلقه بتأدية ما لهم من الحقوق ؟ مع بيان ما أعدّه الله لمن أحسن هذه المعاملة من النعيم المقيم ، وما أعدّه لمن لم يحسنها من الهوان والعذاب الأليم .

قال تعالى : (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَجِّهِمُ الْعَذَابِ . وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (« ٢٠ إلى ٢٥ الرعد »)

ترشد هذه الآيات الكريمات إلى بيان ما أعدّه الله تعالى لمن أحسن من عباده المؤمنين المعاملة معه جلّ شأنه ، ومع عباده من الثواب الجزيل ، والنعيم الدائم المقيم .

وقد بينّ جلّ شأنه أن حسن المعاملة يكون بأشياء : —

الأول : الوفاء بالعهد ، وهو بالنسبة لله عزّ وجلّ امتثال أوامره واجتناب نواهيه ؛ وبالنسبة للخلق أن لا يعد أحدهم وعداً إلا وفى به وأنجزه ، ولا يكون كالمنافق إذا طاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا حدث كذب ، وإذا أوثق خان .

الثاني : صلته ما أمر الله به أن يوصل ، ونهى أن يقطع ، وهى بالنسبة لله عزّ وجلّ دوام مراقبته ، وتمثل عظمته فى قلبه ، حتى يكون ذلك زاجراً له عن معصيته ، ومخافة أوامره ، والإيمان بالكتب والرسول ، فإنه جلّ شأنه أمر بوصل ذلك وعدم قطعه ، وبالنسبة للخلق ثلاثة أنواع : وصل قرابة المؤمنين الثابتة بالإيمان ، والداخلية فى عموم قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) . « ٩ الحجرات »

ويكون بالإحسان إليهم على قدر الطاقة والوسع ، ونصرتهم ،
والذب عنهم ، والشفقة عليهم ، وجلب الخير إليهم ، ودفع الضرر عنهم ، وإفشاء
السلام ، وعيادة المرضى ؛ ومنه مراعاة حق الأصحاب ، والخدم ، والجيران ،
والرفقاء في السفر ، إلى غير ذلك ، ووصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ويكون بالشفقة بهم ، وتعهدهم فيما يحتاجون إليه ، واحترامهم وتقديرهم ، والتودد
إليهم كما قال تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)
« ٢٣ الشورى »

فإن في صلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي غاية ما يسعى المرء
جهد له لسؤاله - ووصل قرابته من الرحم ، ويكون بأن يطعمهم من جوع ،
ويؤمّنهم من خوف ، أو يقضى عنهم ديناً ، أو يفرج عنهم غمّاً ، أو يقضى
لهم ما يحتاجون إليه إن كانوا فقراء ، ويعاملهم بالتودد ، ويتمهدهم بالزيارة ،
ويبدأهم بالسلام إن كانوا أغنياء .

الثالث : الخشية من الله تعالى ، ومراقبته جل شأنه في جميع الأعمال
والحركات والسكنات وجميع الأحوال ، والخوف من سوء الحساب في الدار
الآخرة ، فإن دوام المراقبة والخشية والخوف من سوء الحساب يوم الحساب
مما يوطن قلب العبد على طاعة الله تعالى وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ،
وما أحسن تلك المعاملة .

الرابع : الصبر عن المحارم ، والتعفف عن المآثم ، وترك جميع الموبقات ،

ونبذ سائر المنكرات ، واحتمال المشاق في نصرة الله ودينه ، ولا غرض لهم من ذلك سوى طلب مرضاة الله تعالى وجزيل ثوابه .

الخامس : إقامة الصلاة بمحدودها ، ومراقبتها ، وركوعها ، وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى ، فإن ذلك من حسن المعاملة بمكانة دونها كل مكانة .

السادس : الإتفاق من فضل الله تعالى على من يجب لهم الإتفاق ، من درجات وقرابات ، وأجانب من فقراء ومساكين في السر والجهر .

السابع : درء السيئة بالحسنة ، أى رفعها بها فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبراً واحتمالاً ، وصفحاً وعفواً ، وإذا أساء إليهم عفوا عنه ، وإن حصل منه هفوة أغضوا عما حصل منه من الهفوات ، وتجاوزوا عما فرط منه من الغلطات ، فهذه الأشياء التى ذكرها الله غاية في حسن المعاملة معه ومع عباده .

ثم بين ما يترتب عليها من الثواب الجزيل ، والسعادة الأبدية بقوله :
(أُولَئِكَ لَهُمْ شُقْبَى الدَّارِ) .

ثم فسر ذلك بقوله : (جَنَّاتُ عَدْنٍ) أى جنات إقامة يخلدون فيها هم ومن هو صالح لدخول الجنة من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، ليكون فى الجمع بينهم وبين من يحبون من أهلهم وأقربائهم قررة عين لهم .
(وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُسَلِّمُونَ

عَلَيْهِمْ وَيَهْتُونَهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ التَّقَرُّبِ وَالْإِنْعَامِ ، وَالْإِقَامَةِ فِي دَارِ
الْسَّلَامِ ، فِي جِوَارِ الصَّدِيقِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الْكَرَامِ ، بِجَزَاءِ حَسَنِ
مَعَامَلَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ وَمَعَ خَلْقِهِ .

وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حَالَ السَّعْدَاءِ ، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ
أَتْبَعَ ذَلِكَ بَيَانِ أَحْوَالِ الْأَشْقِيَاءِ ، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ،
وَالْعِقَابِ الْأَلِيمِ ، وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَسُنُّوا الْمَعَامَلَةَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعَ
عِبَادِهِ ، فَقَالَ :

(وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) .
جَعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ وَفَى بِمَهْدِهِ ، وَوَصَلَ مَا أَمَرَ بِصَلَّتِهِ ، وَخَشَى عِقَابَهُ ،
وَتَرَكَ مُحَارِمَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ، وَأَقَامَ صَلَاتَهُ ، وَأَتَّقَى مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَحْسَنَ
مَعَامَلَتَهُ (آمِينَ) .



وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَعْلَمُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَطْفَ الْمَعَامَلَةِ ، وَحَسَنَ
الْمُصَانَعَةِ ، مَعَ الْيَتَامَى الْأَذْلَاءِ ، وَالْفُقَرَاءِ الضَّعْفَاءِ ، وَلَنَا فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ ، وَالْقُدْوَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ .

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ) « ١١ ، ٩ الضحى »

يؤخذ من هذه الآيات الكريمات ، وجوب حسن المعاملة ، ولطف
المعاملة ، مع هذين الصنفين من الناس ؛ وهما : اليتيم الذي مات أبوه وهو
صغير ، والسائل الذي أُلجأته الحاجة والفاقة إلى ذل السؤال والتكفف
على الناس .

فحسن المعاملة مع اليتيم أن لا يقهره ولا يفضبه ، ولا يأخذ منه حقاً
هو له ، وأن يكون له كالأب الرحيم لابن البار ، فيسعى 'الإثماء ماله - إن
كان له مال - وفي تعليمه وتربيته ، ويحسن كفالته ، فلا يذله ، ولا ينهره ،
ولا يهينه ، ولا يفعل به أى أمر يكدر خاطره ، أو يحصل له منه ضرر .

وإنما أوصى 'جبل شأنه باليتيم هنا ، وفي مواضع كثيرة من القرآن
الكريم وحثّ على ذلك ، ورغب في حسن كفالته ، ولطف معاملته ،
لأن اليتيم الذي مات أبوه (وكان المتكفل بحسن تربيته وتعليمه ، ونجاحه
وفلاحه ، والسعى وراء كل ما يكون فيه سعادته في الدنيا والآخرة ، والقائم
بتدبير حالته المعاشية ، والنظر في كل ما يجلب له الخير ، ويدفع عنه الشر
والضير) إذا لم يجد من يقوم له بما كان يقوم به أبوه ، ولو لم يمت جل شأنه
على الوصاية ، وحسن المعاملة به ، لا شك ينشأ على الأخلاق الفاسدة ،
والطباع الرذيلة ؛ لأن النفس بطبيعتها ميالة إلى الشرور ، مطبوعة على
الفجور ، فإذا لم تجد وازعاً يكبح زمامها ، ويحول دون تنفيذ كل رغباتها ،
لا سيما في الصغر ، تحكمت فيها الشهوات ، وتمكنت فيها الرذائل
والمنكرات ، فينشأ صاحبها على ذلك ، فاسد الأخلاق ، مردول الطباع ،

منقاداً لأهوائه البهيمية ، عبداً لشهواته الدنيئة . وبذلك يكون كلاً وعالةً ،
على الهيئة الاجتماعية ، بل وعلى نفسه وعائلته .

فلعل هذا ، والله أعلم ، سر عناية الرب جل شأنه بالوصاية على اليتيم ،
والترغيب في حسن كفالاته .

وحسن المعاملة مع السائل يكون : إما بإجابة ما سأل ، والنصح
والإخلاص له في الجواب ، مع عدم التكبر والتجبر ، والفحش في القول ،
وإظهار الفضل عليه ، لذا كان سائلاً عن علم ، وإما بإعطائه سؤاله ، أو رده
برحمة ولين ، وتعطف وتلطف ، إن كان محتاجاً ويسأل ما به يسد رمقه ،
ويزيل عوزة ، ولا يصح أن يقابل السائل الذي هذه حالته بالفظاظة والكبر
في المسئول ، فإن في ذلك من قلة المروءة ، وخسة الطبع ، ما لا يخفى .

على أنه لا يحسن بما قل أن يتقلب في نعمة ، ولا يرى 'من الشكر
على هذه النعمة التي جعلته مسئولاً وغيره سائلاً ، وعزيزاً وغيره ذليلاً ،
يتكفف الناس ويسألهم ، هذا يمنحه وهذا يمنعه ، أن يمنع أخاه المؤمن
وهو يسأله مما منحه الله من العلم أو المال ، مع أنه لا ينقصه شيئاً ، فإن لم
يمنحه ما سأل من العلم أو المال ، مع عدم تأثيره في ماليته ، فذلك من نقص
في مروءته ، وخسة طبعه .

والله أسأل أن يرشدنا إلى العمل بالكتاب والسنة ، والتخلق بأخلاق
الرسول صلى الله عليه وسلم إنه سميع الدعاء ، كثير العطاء .

وقال جل ذكره يبحث على حسن المعاملة مع الناس ، بالعفو عن
مذنبهم ، والصفح عن تائبهم :

(وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) « ٢٢ النور »

ترشد هذه الآية الكريمة إلى وجوب صلة الرحم والأقرباء ، مهما
اقتربوا من الذنب ، ولا يكون ما فعلوه سبباً في أن يأتلى أولو الفضل والسعة :
أى يحلفوا أن ينعوهم ما كانوا يحسنون به عليهم ، وليكن ديدنهم معهم
العفو عن ذنبهم الذى أذنبوه ، وجنائيتهم التى اقتربوها ، والصفح عن تائبهم
بالإغضاء عنه ، والإغماض عن جنائته ، فإن ذلك سبب لعفو الله تعالى
ومغفرته ، كما قال تعالى مرغباً في الصفح والعفو حاثاً عليهما : (وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

الصراط المستقيم

للرحوم أحمد بك زناقي

أنواع المجاملة في المعاملة

إن للمجاملة معنيين : معنى جميل لطيف ، يعد فضيلةً لا بد منها في الحياة ، ومعنى ثقيل بغيض ، يعد رذيلةً نحاربها في الحياة .

ففي المعنى الأول كلمة « مجامل » مرادفة لكلمة « مؤدب » .
فإذا أعانك إنسان في أى شأن كان من شئون الحياة فقلت له :
« أشكرك » فهذه مجاملة لطيفة لا بد منها .

وفي حياتنا العادية تحدث كل يوم مئات من هذه المواقف لا بد فيها من المجاملة الجميلة ؛ وربما كان من أهم الفروق بين الإنسان المتمدن ، وغير المتمدن طرق المجاملة .

فالمتمدن يعنى بملبسه ومظهره الخارجى حتى لا يؤذى الناس بشكله ، وهذه مجاملة ؛ والتزامنا للمألوف من طرق السلام والتحية برفع اليد والسلام على السيدات قبل الرجال ونعمة التحية ، ومظاهر التعظيم للعظماء ، وكبار المقام والأساتذة والمتقدمين فى السن ونحو ذلك كلها مجاملة محمودة .

أنستطيع أن نرتقى بعد ذلك خطوة فترى أداء الواجبات للصديق والقريب ، والزميل فى حسن معاملتهم ، وأداء مطالبهم وعيادتهم إذا مرضوا ، ومشاركتهم فى أفراحهم وأحزانهم نوعاً من المجاملة الراقية التى لا بد منها ؟ وأرقى من هذا كله مجاملة من يستحق الإكرام ، والضعفاء وذوى الحاجة ، ولو لم يكونوا من أصدقائنا وأقاربنا ومعارفنا : فإكرام الغريب

الذى حل فى بلدنا ، والتبرع للمجاء أو مستشفى ، ومساعدة طالب فقير بدفع مصاريف مدرسته ، وتقدير العاملين بالحفاوة بهم نوع من المجاملات الراقية التى تميز الأم الحية عن غيرها . هذه المجاملة يمكن أن تظهر فى كل نوع من أنواع المعاملة ، فى نعمة الحديث ، فى اختيار الكلمات ، فى البيع والشراء فى معاملة الضعفاء والفقراء ، فى معاملة الأقوياء والرؤساء ، فى داخل البيت وخارجه ، فى طاعة الصغير للكبير ، فى عطف الكبير على الصغير ، فى كل شىء ؛ بل قد يكون العمل عظيماً ، والنية عليه حسنة ، ولكنه يؤدى فى شكل متغير ، ومن غير مجاملة فيفقد عظمتة ونباه وخيريته ، شأنه فى ذلك شأن الماس يوجد فى المناجم على حالة شمعة مظلمة مقام كالفحم ؛ ولكن القطع والصقل وجودة الصناعة هى التى تجعله يلمع ويشع ويجميل ؛ كذلك كل شىء فى حديثنا ، وسلوكنا ، يجب أن يصقل ويُجَمَّل بالمجاملة وحسن المظهر الذى يطابق حسن الخبر . وكَم من الناس حسنت نياتهم ، وحسنت أعمالهم ولكنهم لم يقدروا التقدير اللائق بهم ؛ لأنهم عرضوها عرضاً منفرداً ، عرضوها كما يعرض الناس الماس قبل أن يصقل ، أو كما يعرض التاجر الخائب بضاعته الجيدة من غير ذوق .

والمجاملة من هذا القبيل أمر لا بد منه ؛ فهى تعاملنا احترام شعور الناس وعدم إيذاهم بما ينفر ، ومراعاة شعور الناس فى صغار الأمور يعودنا مراعاته فى كبارها ، ثم هى تسير معاملات الناس سيراً سهلاً ناعماً . وأنت إذا لاحظت منازعات الناس فى الترام ، وفى الشارع ، وفى السينما

وفي المجتمعات العامة ، وجدت أكثرها ينشأ من معاملة صغيرة تافهة ،
فقدت رقة اللياقة ، وجمال المجاملة .

تبدأ المنازعة بالكلمة النابية ، أو بالفعل الجافية ، فيرد عليها بأسوأ منها ،
فيحتد الغضب ، وتشتعل النار ، وقد تؤدي إلى أسوأ العواقب .

ثم المجاملة تشع السرور بين الناس ، وهي مصدر للذائد لا تنتهي ،
فكم يدخل الابن على أهله من السرور بلطف مجاملته ، ورئيس المصلحة
بحسن أدبه ، والتاجر بحسن معاملته ، وهكذا تنشر المجاملة سروراً وراحة ،
كالعطر ينشر في مجتمع الناس ، وكالبخور يهدي الأعصاب .

وقد كان لي طالب أعرف فيه حدة المزاج ، وكثرة المشاغبات ، سافر
إلى (سويسرا) فكتبت إليه أنصحته أن يعدل عن حدة مزاجه ، فكتب
إليّ: أنه منذ أقام هناك لم يفضب مرة ، لأنه لم يجد في الحياة العامة ، وسلوك
الناس ما يهيج أعصابه ، وختم خطابه بجملة لطيفة : إن الطعام إذا أظهى
جيداً استسيغ جيداً .

أما الضرب الآخر من المجاملة ، وهو النوع البغيض ، وهو الذي يصح
أن يسمى ' (نفاقاً) ، ويجب أن يحارب بقدر ما يشجع النوع الأول ، فيجمعه
كله أن تبدي في اللطف والروقة ما لا يتفق ونفسك ، وما لا يتفق وعقيدتك
أن تظهر بغير حقيقتك ، أن تلبس قناعاً تخفي حقيقة وجهك ، بأن تظهر
يخبر مما أنت .

ولهذا النوع مظاهر غير التي ذكرناها من قبل : أن تمدح إنساناً بما

ليس فيه ، أو بما تعتقد أنه ليس فيه ، لتكتسب من وراء ذلك مغنماً ،
أو تدفع مغرمًا .

أن يتملق الزعيم ، أو الكاتب ، أو الشاعر ، أو الصحيفة ، الناس بما
يعجبهم وهو يستقد في باطن نفسه أنه يخدعهم .

أن يرجي في أمر لا يملكه ، أو لا ينوي قبوله ولا عمله ، فيقول للراجي
سأعمل ، ويعدده بكل أنواع القول المعسول ، وفي باطن نفسه أن هذا ليس
إلا مجاملةً ، ولا عمل وراءها .

أن يقال الرأي أمامك ، فتنتقده في نفسك ، وتعتقد بطلانه ، ثم تقره
ظاهراً ، وتعلن موافقتك خوفاً من صاحب الرأي ، أو ترافقاً للكسب
منه ، أو اتقاء ضرره .

أن تكون يوماً تغني لكل من تولى الحكم ، وتسب كل من تخلى عن
الحكم ، وأنت في حقيقة نفسك ، لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، ولكن
مع القرش .

الفرق بين المجاملتين واضح ، ففي النوع الأول المحمود يوافق الظاهر
الباطن ، وفي الثاني يخالف الظاهر الباطن ، والنوع الأول مصدر خير
وسرور ، والثاني مصدر شر وهموم .

أحمد أمين

خطبة كيف تكون المعاملات ؟

في هذه الدار الدنيا

الحمد لله الذي لتنظيم شئوننا أنزل شرائعه السماويات ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة من أيقن بها أحسن في كل المعاملات ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، أسبق العالم العامل في الصالحات . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن خلفهم يسير .
أما بعد : فياعبد الله ، يجب أن تعلم أنك ما دمت في هذه الدار الدنيا ، فأنت في دار معاملات .

وأن لك داراً أخرى 'أبدية' فيها تستوفي مالك على هذه المعاملات من جزاءات .

فإن أحسنت هنا ، أو أسأت ، كان جزاؤك هناك إحساناً أو إساءات .
هكذا وعد ربك ، وهو عليم بكل أعمالك ، وعلى جزائك عليهاقدير .
من هذا تعلم قطعاً أن شأن هذه المعاملات شأن عظيم ، عظماً لا يعرف قدره إلا الرجل البعيد النظر الحكيم ، فإن عليها يترتب غضب الله تعالى وعقابه أو رضاه ، والنعيم المقيم ، وشئ هذا قدره لا يتردد في بذل غاية العناية به رجل بصير .

هذه المعاملات تارة تكون مع العباد ، وتارة تكون مع مولاك الشكور ، وما أنزلت الشرائع إلا لتعلمك كيف تكون معاملة الخلق ، ومعاملة هذا المولى الغيور ؟

فإذا أردت أن تعرف كيف تعامل الخلق ، فعرفة ذلك شئٌ ميسور ؟
وهو أن تجعل نفسك ميزاناً في معاملة صغيرهم والكبير .
أنت تكره إساءتهم لك ، وتحب إحسانهم ، فاحذر إساءتهم ،
ولا تعاملهم بغير الإحسان .

فكما تكره أن لا يهتكوا لك عرضاً ، فلا تهتك عرض إنسان .
وكما تكره أن لا يمسوا مالك بسوء ، فليكونوا منك على أموالهم
في أمان .

وكما تكره أن يتعرضوا لشخصك بشر ، فكن لأشخاصهم خير
حفيظ ونصير .

وكما تحب أن يريحوك إذا جاورك ، فلا تقصر في راحتهم عند كل جوار .
وكما تحب أن يصدقوك في وعودهم وعقودهم وأخبارهم ، فاسبقهم أنت
في هذا المضمار .

وكما تحب أن يفرحوا لفرحك ، ويحزنوا لحزنك ، فكن كذلك معهم
بإخلاص الأخيار .

وكما تحب أن لا يتكلموا فيك إلا بخير ، فلا تكن أنت معهم
بلسان شرير .

وأما معاملتك مع ربك فهي : أن تسمع له ، وتطيع بلارياء فيما نهى وأمر
بقيت معاملتك لنفسك وهي : أن تروضها على الخير ، دون أن تثقل
عليها بإثقال الضجر .

هذه كل المعاملات التي لا تتجاوز ميدانها ، وعليها جزاؤك من خير وشر .
وها أنت ذا قد عرقتها ، ولم يبق إلا الدخول في روض عملها النضير .
« يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ وَأَوْفِيكُمْ بِهَا ،
فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ شَرًّا فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .
(رواه مسلم (من حديث قدسي) عن كتاب منتهى آمال الخطباء)

السماحة في المعاملة

حديث شريف

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا ، إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى » ،
وفي رواية : « وَإِذَا قَضَى » رواه البخاري والترمذي وابن ماجه .

الشرح

يدعو النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة ، وإسباغ النعمة ، للرجل السامح السهل ،
ودعاؤه عند الله بمكانة عظيمة ، لأنه صادر من النفس الطاهرة الخالصة ، من اللسان
المرطب بذكر الله ، فتفتح له أبواب الإجابة « إِيَّاكَ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » . « ١٠ فاطر »

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم السماحة في أربعة أشياء : في البيع والشراء ،
والاقتضاء والقضاء .

فالسماحة في البيع : ألا يكون شحيحاً بسلعته ، مستقصياً في ثمنها ، مغالياً في الربح
منها ، مكثرأً من المساومة فيها ؛ بل يكون كريم النفس ، راضياً بيسير الربح ، مقلأً
من الكلام .

والسماحة في الشراء : أن يكون سهلاً في كياسة ، فلا يدقق في الدائق والمليم ، خصوصاً إن كانت السلعة شيئاً هيناً ، كفجالة أو بصلة ، والمشتري غنياً ، والبائع فقيراً معدماً ، ولا يسمم البائع بالأخذ والرد ، وتعطيله عن المشتري الآخرين ، أو لمصلحته الأخرى ، ولا يكثر التقلب في البضاعة ، بعد أن سهر غورها ، ووقف على حقيقتها .

والسماحة في الاقتضاء : أن يطلب حقه أو دينه ، في هوادة بلا عنف ، وفي لين بلا شدة ، ويراعى حال المدين ، فإن كان معسراً أنظره وأخره ، بل إن كانت حاله لا تسمح بالسداد ، تصدق عليه بحقه أو من حقه (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . « ٢٨٠ البقرة »

ومن السماحة في الاقتضاء : ألا يطالب المدين على مشهد من الناس ومسمع ، خصوصاً إذا كانوا لا يعلمون بالدين ، أو يتأذى المدين بالجر ، وألا يلحف في الطلب ، أو يطالبه في أوقات راحته وهنائه ، فينغص عليه صفوه ، وهو من أحرص الناس على قضاء الحقوق ، وألا يرفع أمره إلى القضاء ، وهو مستعد للدفع في وقت قريب ، فيغرمه الرسوم وأجر المحاماة ، ويشغل باله ، ويستنفد من وقته من غير جدوى تعود عليه ، إلا الإضرار بأخيه — كل ذلك من حسن الاقتضاء .

وأما السماحة في القضاء : فإن يرد الحق لصاحبه في الموعد المضروب ، ولا يكلفه عناء المطالبة أو المقاضاة ، ويشفع القضاء بالشكر والدعاء ، أو الهدية إن كان لها مستطيعاً ، إلى غير ذلك مما ينطوي تحت السماحة .

فالحديث الشريف يرغبنا في حسن المعاملة ، وفي كرم النفس ، وفي مراعاة المصلحة ، وفي حفظ الوقت .

الأدب النبوي للمرحوم

عبد العزيز الخولي

معاملة التاجر وكيف تكون ؟

الحمد لله الذي أغنى أهل الطاعة بالرضى والقناعة ، وأذلَّ أهل الجشع والطمع بالقصد والمجاغة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طهر النفوس وخلص القلوب .

أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفاء والبرِّ والأمانة ، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد : فالحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتهيات ، وأكل الحرام سهل هين على أهل الإثم والمنكرات ، والتمسك بالحلال خصلة أهل التدين ، وشعار كل مؤمن صادق أمين .

كل امرئ يسعى لكسب قوته ورزقه ، والحصول على المال ، فالبعض يسلك طريق الشرف ، والأمانة في الأقوال والأفعال ، والبعض يسلك للمال طريقاً دنيئاً كله نصب واحتيال ، وكل يعمل على شاكلته ؛ ولكن الفرق بعيد بين الهدى والضلال .

قال تعالى : (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) « ٨٤ الإسراء » .

وأكل الحرام مذموم في الدنيا ، وله في الآخرة عذاب مقيم .
اندفع الكثير من الناس في ميدان التجارة ، وزعموا أن الكذب

والتلون هو التقدم والمهارة ، كذبوا على الناس ، واجترعوا على الله ، فخلفوا به كذباً ترويحاً لبضائعهم ، وجعلوا الخالق سامعاً لأطماعهم ، فابتلاه الله بالتأخر والخسارة .

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِمَعْدِ اللَّهِ وَأَيَّامِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) « ٧٧ آل عمران »

في سبيل دراهم معدودة يبيع التاجر ذمته ودينه ، ويحلف بالله العظيم كاذباً متعمداً في سبيل ربح ضئيل ، ومكسب قليل ، يخسر التاجر شرفه وديانته ، ويصير منافقاً جاحداً ، في سبيل الدنيا يبيع الدين ، وفي سبيل المال يجترى على رب العالمين .

قال تعالى : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) « ١٦ البقرة » (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) . « ٨٦ البقرة »

إن الإنسان بفطرته يدرك الخير من الشر ، ويرتكب الإثم وهو عالم بما فيه من مخالفة وضرر ، وهذا من قلة إيمانه ، وغفلته عن اليوم الآخر . فان ذكرى يوم القيامة تذهب الأطماع ، وترجع النفس عن غيرها ، وتردها للطريق القويم .

إن الإيمان يبعث الخير في القلوب ، ويجري الصدق على الألسنة ، والاعتقاد بيوم القيامة يبعد المرء عن العيوب ، ويذكره دائماً بسطوة علام الغيوب .

إن الإيمان يقين يبعث على خير العمل به ، أما الغش والكذب فمن أخلاق المنافقين .

نفوس التجار في زماننا تشبعت بحب الدنيا ، وسكنتها المطامع ، فأضاعوا الأمانة ، كل همهم هو الربح بأي وسيلة ، ولو بالكذب والخيانة ، يطففون الكيل ، ويخسرون الميزان ، ويستوفون حقوقهم كاملة ، وحقوق الناس لديهم منقوصة ضائعة .

المرء منهم بوجهين ، يبيع بدمتين ، ويكيل بكيلين ، ويتلون مع الزمن ، ويتقلب مع السوق ، ويعتاد الغش حتى يجحد قلبه ، ويصبح وحشاً يقتص دماء المشتري ، والله تعالى يقول : (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) « ١-٦ المطففين »

لقد بعث الله نبياً يحذر قومه من بخس الكيل والميزان ، ويخوفهم هاقبة الطمع والبغى والعدوان . قال تعالى : (وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ . وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) « ٨٤ ، ٨٥ هود » وقال تعالى : (أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) « ٨١ - ٨٣ الشعراء »

وقال تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ السُّبُطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) « ٣٥ الاسراء » . (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ . أَنْ لَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) « ٧ - ٩ الرحمن »

هذا كتاب الله يأمر بالصدق ، وحسن المعاملة ، وهذه آياته تحض على تطهير الكسب ، وعدم الغش والمخادعة .

هذه آداب الدين في البيع والشراء ، أهلها المسلم نجاب وخسر ، واتبعها التاجر الأجنبي فتقدم وربح ، وصار الكثير يثق بالبائع الأجنبي لصدق قوله ، وضبط وقته ، وإنفاذ وعده ، وكان الأحرى بنا أن نكون كما أمر الدين ، لنكون من الفائزين الراجحين ، ولكن ضاعت الثقة بيننا ، وخرج الأمر من يدينا ، وصارت الأسواق التجارية خاضعة للنفوذ الأجنبي ، والبيوت المالية لرأى الأجنبي ، وكل يجني نتيجة عمله ، وثمرة سعيه .

قال صلى الله عليه وسلم : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَ الْبَيْعَانِ وَبَيْنَنَا بُورْكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا ، فَعَسَى أَنْ يَرْجَحَا رَجْحًا ، وَيُحَقِّقَا بَرَكَهَ بَيْعِهِمَا ، الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ مَنَفَقَةٌ لِلسُّلَّةِ مُمَحَقَّةٌ لِلْكَسْبِ » .

عن كتاب الوعظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود علي أحمد

سوء المعاملة من الموظفين لأفراد الناس وعقابها في القانون

إن بعض الموظفين ممن غرتهم المناصب ، وتملكهم حب السيطرة والسطوة ، يستعمل القسوة مع الناس في المعاملة اعتماداً على وظيفته وتقربه من كبار رؤسائه ، ويصير كالحاكم بأمر الله يهين هذا ، ويضرب ذاك ، ويستولى على أملاك الأفراد بغير حق بل بالإكراه ، ويستخدم صغار المستخدمين سخرةً في قضاء مصالحه الخاصة . فمثل هذا لم يتركه القانون سائراً في طغيانه وعدوانه ، بل جعل له عقوبةً توقيفه عند حده ، وترد للمغتصب حقه ، وإليك بيان المواد التي جاءت في قانون العقوبات بشأن سوء المعاملة من الموظفين لأفراد الناس :

المادة ١١٣ - كل موظف ، أو مستخدم عمومي ، وكل شخص مكلف بخدمة عمومية يستعمل القسوة مع الناس اعتماداً على وظيفته بحيث إنه أخل بشرفهم ، أو أحدث آلاماً بأبدانهم يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنة ، أو بغرامة لا تزيد عن عشرين جنهماً .

المادة ١١٤ - كل موظف عمومي ، أو مستخدم عمومي ، وكل إنسان مكلف بخدمة عمومية اشترى بناءً على سطوة وظيفته ملكاً عقاراً أو منقولاً قهراً عن مالكه ، أو استولى على ذلك بغير حق ، أو أكره المالك على بيع ماذكر لشخص آخر يعاقب بحسب درجة ذنبه بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين وبالعزل ، فضلاً عن رد الشيء المغتصب ، أو قيمته إن لم يوجد عيناً .

المادة ١١٥ - من استخدم من أصحاب الوظائف العمومية أشخاصاً
سخرةً في أعمال غير متأمر به الحكومة من الأعمال المقررة قانوناً المتعلقة
بالمنفعة العامة ، أو في غير الأعمال التي اضطرا الحال إليها لنفع الأهالي يحكم
عليه بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين وبالعزل ، فضلاً عن الحكم عليه بدفع
الأجرة المستحقة لمن كلف بتلك الأعمال بغير حق .

المادة ١١٦ - كل موظف عمومي ، أو مستخدم عمومي تعدي في
حال نزوله عند أحد من الناس الكائنة مساكنهم بطريق مأموريته ؛ بأن
أخذ منه قهراً بدون ثمن أو بضمن بخس مأكولاً أو علفاً يحكم عليه بالحبس
مدة لا تزيد عن ثلاثة شهور ، أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً ،
وبالعزل في الحالتين ، فضلاً عن الحكم برد ثمن الأشياء المأخوذة لمستحقها



وكذا الحكام ، ومأمورو الإدارة والسجون ، وأمثالهم ليس لهم الحق
في تعذيب المتهمين لحملهم على الاعتراف ، أو عقابهم بأشد من العقوبة
المحكوم بها عليهم قانوناً ، ومن يفعل ذلك يلق عقابه قانوناً حسبما جاء
بالمادتين الآتيتين :

المادة ١١٠ - كل موظف ، أو مستخدم عمومي ، أمر بتعذيب متهم
أو فعل ذلك بنفسه لحمله على الاعتراف ، يعاقب بالأشغال الشاقة أو السجن
من ثلاث سنوات إلى عشر . وإذا مات المجنى عليه يحكم بالعقوبة المقررة
للقتل عمداً .

المادة ١١١ كل موظف عمومي وكل شخص مكلف بخدمة عمومية أمر بعقاب المحكوم عليه ، أو عاقبه بنفسه بأشد من العقوبة المحكوم بها عليه قانوناً ، أو بعقوبة لم يحكم بها عليه يجازى بالحبس ، أو بغرامة لا تزيد عن خمسين جنيهًا مصرياً ، ويجوز أن يحكم عليه أيضاً مع هذه العقوبة بالعزل .
فترى مما ذكر أن القانون لم يسمح بسوء معاملة الناس ، حتى المتهمين منهم ، وحفظ لكل ذي حق حقه ، مراعاةً للنظام العام ، ومحافظة على السلام العام .

العقاب القانوني على مقاومة الحكم

وعدم الامتثال لأوامرهم والتعدي عليهم بالسب وغيره

بما أن القانون لم يسمح لكبار الموظفين والحكام بسوء معاملة أفراد الناس ، فكذلك لم يسمح بمقاومة الحكم ، وعدم الامتثال لأوامرهم والتعدي عليهم بالسب وغيره ؛ بل جعل عقوبة لكل من أهانهم ، أو سبهم أو قاومهم بالقوة والعنف ، أثناء تأدية وظيفتهم كما جاء في المواد الآتية :

١١٧ — من أهان بالإشارة أو القول ، أو التهديد موظفاً عمومياً ، أو أحد رجال الضبط ، أو أى إنسان مكلف بخدمة عمومية أثناء تأدية وظيفته ، أو بسبب تأديتها يعاقب مدة لا تزيد عن ستة أشهر ، أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهًا مصرياً ، فإذا وقعت الإهانة على محكمة قضائية أو إدارية أو مجلس ، أو على أحد أعضائها ، وكان ذلك أثناء انعقاد الجلسة تكون

العقوبة الحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور ، أو غرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً .

١١٨ - كل من تعدى على أحد الموظفين العموميين ، أو رجال الضبط أو أى إنسان مكلف بخدمة عمومية ، أو قاومه بالقوة أو العنف أثناء تأدية وظيفته يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور ، أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً .

١١٩ - وإذا حصل مع التعدى ، أو المقاومة ضرب ، أو نشأ عنهما جرح ، تكون العقوبة الحبس مدة لا تزيد عن سنتين ، أو غرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً .

وإذا بلغ الضرب أو الجرح الجسامة المنصوص عنها فى المادة ٢٠٥ تكون العقوبة الحبس .

٢٠٥ - كل من أحدث بغيره جروحاً ، أو ضربات نشأ عنها مرض ، أو عجز عن الأشغال الشخصية مدّة تزيد على عشرين يوماً ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين ، أو بغرامة لا تزيد عن خمسين جنيهاً مصرياً .

أما إذا كان الضرب أو الجرح صادراً عن سبق إصرار ، أو ترصد فتكون العقوبة الحبس .

فما ذكر يتضح لك أن القانون لم يترك الناس فوضى ' يُسيئون معاملته بعضهم بعضاً بالتعدى والضرب ، والسب والإهانة ، وغير ذلك ، بل وضع لكل شىء حداً وِعَاقِباً ، وترى ذلك مفصلاً فى قانون العقوبات ، ونكتفى بما

ذكر للعبارة والموعظة ، وليقف كل إنسان عند حده ، وليتق الله ربه ،
وليحسن كل إنسان معاملة أخيه ، حتى يعيش كل إنسان في راحة وسلام
وأمان واطمئنان .

قال تعالى : (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ
أَهْدَى سَبِيلًا) « ٨٤ الاسراء »

وقال تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ) « ٧ ، ٨ الزلزال »

وقال تعالى : (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا) « ١٠٩ النساء »

وقال تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) « ١٢٣ النساء »

الحث على حسن معاملة الخدم

والنهي عن إهانتهم وسبهم

من الواجب الإنساني أن نعامل الخدم ومن على شاكلتهم ، بالرفق
والإحسان إليهم ، وعدم إهانتهم ، وعدم سبهم بكلام مؤلم مؤذٍ ، لأن ذلك
يدل على نقص في الأدب ، وسوء في المعاملة ، والعفو عن هفواتهم إذا وقع
منهم ما يوجب ذلك ، ويستحقون معه العقوبة ، والتزام الوقار والاحتشام
عند مخاطبتهم ، حفظاً للكرامة والاعتبار ، وعدم المزاح معهم ؛ لأن هذا
من دلائل حطة النفس وخستها ، ويدعوهم لعدم الاحترام .

كما أنه لا يليق مخالطة الخدم مخالطة تشف عن المودة والمحبة ؛ لأن هذا مما يحط القدر ، ويجرئهم على الإنسان ، وربما سمع منهم كلاماً لا يليق أن يسمعه ، فيتطرق إلى لسانه في المحادثات ، فضلاً عن أن مخالطة الخدم ، تؤدي في الغالب لسوء الأخلاق ، وفساد التربية .

والخدم هم مفاتيح أسرار المنازل ، ينقلون ما يستمعون وما يرون ، فالحذار الحذار من أن يلقى أمامهم أحراً يتعلق بداخلية المنزل ، أو اطلاعهم على حال أسيادهم وثروتهم ، خوفاً من الوقوع في خيانتهم وسرقتهم . ويجب مراقبتهم ، ولو عن بعد ، في كل ما يفعلونه ليكون الإنسان آمناً من مكرهم مطمئناً على نفسه وعياله ، وعرضه وماله

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن معاملتهم ، فقال في الحديث المشهور عن أبي ذر رضى الله عنه : « ساءت رجلا فغيرته بأمه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَعْيَوْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ » .

شرح الحديث السابق

(عن مجلة نشر الفضائل العدد ٣٤ السنة السادسة)

أبو ذر الغفاري هذا، هو السابق في الإسلام ، الزاهد ، شاتم عبداً فقال له : يا ابن سوداء ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم نهاه عن ذلك ، ودعاه إلى إكرام هذا العبد ، ومساواته به ، ثم استغفهم منه قائلاً : أعيرته بأمه ؟ على وجه الإنكار والتوبيخ .

في غاية الأدب يا رسول الله ، أن تسأل عن ذنب اقترفته صاحبك فقط : أعيرته بأمه ؟ تلك نهاية البلاغة ، وشموس الفصاحة ، وعنوان التربية الكاملة ، أن يحصل من المربي النهي ، في قالب الأدب والالطف والبشاشة . وبعد هذا يقول له : إنك امرؤ فيك جاهلية : أى فيك خصلة من الجاهلية ، والأمة البائدة .

قال الشيخ الشرقاوى رحمه الله : أبو ذر من الإيمان بمنزلة عالية ، وإيماء وبخه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك مع عظم منزلته ، تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك ، واعتباراً لغيره .

ومن سياق الحديث يعلم أن الرجل المسبوب كان عبداً ، وقيل : إن الرجل المذكور هو بلال المؤذن مولى أبي بكر .

وروى البرماوى أنه لما شكاه بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أشتمت بلالاً وأعيرته بسواد أمه ؟ قال : نعم . قال : حسبت أنه اتقى فيك شئ من كبر الجاهلية ، فألقى أبو ذر خده على التراب ، ثم قال : لا أرفع خدى حتى يظأ بلال خدى بقدمه .

بعد هذا الأدب النفسى والخلقى ، والإرشاد إلى أن السب يدعو إلى نقص الإيمان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة جديدة تمثل الديمقراطية التى يتناشدها أهل المدنية فى المساواة . فقال : « إخوانكم خولكم » كما قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ) « ١٠ الحجرات » ، والأخوة في الإسلام ، ويلحق بهم المماليك الكفار ، فإلهم منا الإجلال وحسن المعاملة .

قال الإمام على كرم الله وجهه :

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبولهم آذم والأم حواء

« خَوَّلَكُمْ » : أى خدمكم أو عبيدكم ، الذين يتخولون الأمور ، أى يصاحبونها . قد جعل الله هؤلاء الخدم تحت إدارتكم ، ينفذون ما تطلبون ، فأحسنوا إليهم ، وقدموا لهم أصناف الطعوم والملابس ، جزاء هذه الخدمة ، ولا توجدوا شقاقاً أو نفوراً ، ولا تحرموهم من نعم الله التى أغدقها عليكم ، وقد ألبس أبوزر خادمه حلة مثله ، وأطعمه من طعامه ، عاملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيعاً ، لا تكلفوهم الذى تعجز قدرتهم عن فعله ، والنهى للتعريم .

ويلحق بالعبيد، الأجير، والخادم، والضعيف ، والدابة .

وفى الحديث النهى عن سب العبيد ، ومن هم فى معنائهم وتعييرهم بأبائهم أو أمهاتهم والحث على الإحسان إليهم ، والرفق بهم ، وجواز إطلاق الأخ على الرقيق ، والمحافضة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

مصطفى محمد عمارة

خطبة في حق الخادم على مخدمه

الحمد لله المعزّ المذل ، يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البرّ الرحيم بالضعفاء والفقراء . أحمد الله وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله يرفع ويخفض ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله يهدي إلى الحق ويرشد ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ، وكل من التزم شريعته ، واتبع سنته .

لقد اقتضت حكمة الله أن خلق الناس متفاوتين في الغنى والفقر ، واليسر والعسر ، والعلم والمعرفة ، مختلفين في القدر والمنزلة ، خلق هذا عظيم الثروة ، مبسوط العيش ، يتخذ الأتباع والخدم ، وخلق هذا فقيراً معدماً ، يسعى للقوت ويكد للعيش ، فيشتغل خادماً للغنى في بيته أو تابعاً له في متجره ، أو صانعاً في مصنعه (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) « ١٨ هود » ولكن يمتحن الغنى بغناه ، ويحاسبه على الخير والمال ، ويختبر عمله مع خدمه وعماله .

قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ) « ١٦٥ الأنعام » والناس كلهم أمام الله سواء ، لا يتفاضلون عنده بالمال أو النسب ، ولا بالرياسة والحسن ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ولا فضل للمخدوم على خادم إلا بمراقبة الله .

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) « ١٣ الحجرات » .

ولو وجد الفقير ما يغنيه عن تلك الخدمة لتركها ، ولو استطاع أن يعيش بعيداً عن مرارة الإهانة ما رضى بها ؛ ولكنه تقدير العزيز العليم ، يُسخر بعض الناس لبعض لتنظيم الشؤون ، وتتم الأعمال ، وتستقيم الحياة .

قال تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَ يَا وَرَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) « ٣٢ الزخرف »

أغلب الناس ينظرون للخدام والتابع نظرة احتقار ، يزدريه ويستهزئ به .

أغلب الأغنياء يعتبر خادمه ملكاً له ، أو عبداً حقيراً ، وشيئاً مهملاً لا قيمة له ، وكأن الفقير في نظر الغنى ليس بإنسان ، وكأن الخادم عنده من طبقة الحيوان ، فيعامله بقسوة ، ويغاظ له القول ، ويكيل له السب والشتم واللعن ، من كل لفظ ينبو عن الأدب ، وكلام ياباه الحياء والخلق الحسن .

واعتماد الناس شذوذاً في معاملتهم للخدم ، ورُكْبَ في طباعهم إذلالهم والاستبداد بهم ، والتسكيل بهم ، والإيذاء بدون أن يندموا على طغيانهم ، أو يستغفروا ربهم من هذا الكبرياء والجبروت ، والتعالى الفارغ ، والتعاضم الأجوف الممقوت . والإسلام لا يرفع الغنى لمجرد الغنى ، ولا يخفض الفقير لفقره ، وإن كان الله جعل الناس مراتب ؛ ولكنه ساوى بين الجميع في

الحقوق والواجبات ، وفتح أمام الجميع أبواب التقرب إلى الله بالخلق الفاضل والأدب ، وحسن العمل ، وخالص العبادة .

إن الإسلام أزال الفوارق ، وأباد الامتيازات ، وسأوى بين جميع المسامين ، وخاطب الكل بقول واحد . فيقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ، لا يخصص سيّداً بخطاب ، ولا خادماً بدعوة خاصة (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقد يسبق الخادم سيّده بتقواه وصلاحه ، وقد يتأخر عظيم عن حقير لظلمه وبغيه « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » .

نعم إن كثيراً من الخدم جهلة أغبياء ، وفيهم خونة أدنياء ، وعندهم بلادة وكسل ؛ ولكن هل يعالجون بالقسوة ؟ وهل يصلحون بالغلظة ؟ وهل الفظاظة في الضرب والإقذاع في الشتم ، يبذل جهلهم عاملاً ، وعنادهم فهماً ، ويخلق منهم أمناء مجدين ؟ إننا بقسوتنا نزيدهم عناداً وإذلالاً ، ونُعالمهم كرهناً وبغضناً ، إننا بأعمالنا نعوّدهم على الفساد والشر .

كيف تريد خادماً أميناً لا يسرق ؟ وأنت بخيل عليه ، طامع ، شره ، شحيح ، يقدم إليك أصناف الطعام الشهى ، بعد أن طبخه بيده ، فتحرمه من تذوقه ، وتقدم له طعاماً حقيراً ، وأكلاً رخيصاً .

كيف تطلب من خادمك النظافة والنظام ، وأنت تعطيه أجراً لا يكفي لنفقة أهله وعياله ، ولا تجود عليه بثوب ، ولا تهتم بكسوته ، وتضربه إن

استعمل صابوناً من عندك ؟ كيف تنتظر من خادمك أن يخدمك ويحبك وأنت فظ غليظ القلب ؟ .

بُخَلْنَا على الخادم بلقمة طيبة فسرقتها ، بَخَلْنَا برداء قديم من ثيابنا فاخترسناه ، تكبرنا عن كلمة لينة فقسا قلبه ، وخدمنا مضطراً ، مبطناً كرهنا ، ومظهراً احترامنا ، ينافق ويخادع ، ويكذب ليضمن قوته .

والعجب من سيد طماع ، يطلب خادماً قنوعاً ، وسفيهه يريد خادماً مؤدباً ، وكيف يطلب خادماً أحسن منه أدباً ، وأكثر أمانة ووفاء .

وهذه معاملتنا لخدمنا كلها وحشية وإيلام ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي خَدَمِكُمْ فَإِنَّهُمْ أَشَقَّاءُ كُمْ لَمْ يُنَحِّتُوا مِنْ جَبَلٍ وَلَمْ يُنْشَرُوا مِنْ خَشَبٍ ، أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَاسْتَعِينُوا بِهِمْ فِي أَعْمَالِكُمْ ، فَإِنْ عَجَزُوا فَأَعِينُوهُمْ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَبَيْعُوهُمْ ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ » .

فن منا ينزل عن كبريائه ليعين خادماً إذا عجز ؟ ونحن نرهقهم بالعمل ونحشهم بالاجتهاد في الخدمة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يراعى إحساس الخادم لدرجة أنه أمرنا أن نحسن نداءه حتى نجذب قلبه ، ونكسب ودّه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي ، أَمَتِي ، وَلْيَقُلْ فَتَاىَ وَفَتَاتِي » .

وضرب رجل خادمة له ترعى غنمه ، خطف الذئب واحدةً ، فاطمها على وجهها .

وهذا أمر معتاد مألوف لا ينكره الناس ؛ ولكن رسول الله صلى الله

عليه وسلم غضب حين علم بذلك ، واشتد غضبه حتى احمر وجهه وقال :

« وَمَا عَسَى الصَّبِيَّةُ أَنْ تَفْعَلَ بِالدُّبِّ ؟ وَمَا عَسَى الصَّبِيَّةُ أَنْ تَفْعَلَ

بِالدُّبِّ ؟ وَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ خَدَمَكُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَ اللَّهُ

لَكُمْ الْوَلَايَةَ عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ

وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ

فَأَعْيَنُوهُمْ » ، فلم يجد الرجل مكفراً لذنبه إلا عتق جاريته .

ونحن نضرب ونقسو ، ونشوه خلقه الخادم بدون رحمة ، فنوجد

بذلك طبقة في الأمة تحقد علينا ، وتسعى في إضرارنا ، وتشنع علينا ، وتفضح

أسرار بيوتنا .

ولو أحسننا إليهم كما أمرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم ، لا اعتبرونا

إخوة مقربين ، لا سادة مستعبدين ، ولكننا استبحنا عرض الخادم ، وأموال

الخادم ، وأجرتهم نستحلها ، ونغتصبها ، ونطردهم كالكلاب ، ونسومهم

ألوان العذاب . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « أَعْطُوا الْأَجِيرَ حَقَّهُ

قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ » .

وكيف لا يسرق الخادم أموالنا ، ونحن نسرق أجرتهم ؟ كيف يحافظ

الخادم على أعراض زوجاتنا وبناتنا ، ونحن نهتك أعراضهم ؟

من منا يراقب ربه في أجره الخادم والصانع ، سواء كان حائكاً

(خياطاً) ، أو بدالاً (تاجراً) ، أو قصاباً (جزاراً) . والله يقول : (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ (« ٢٩ النساء »
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصِمْتُهُ ، رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ
حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوَفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ » .

فاتقوا الله ، واعلموا أن آخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم قبل
موته : « الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » وإن عمر بن الخطاب زوج ابنه
عاصمًا من فتاة منعت أمها من غش اللبن قبل بيعه ، فأنجبت له ذرية كان
منها أعدل ملوك الأرض (عمر بن عبد العزيز) رضى الله عنهم أجمعين .

عن كتاب الوعظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود علي أحمد

خطيب مسجد الرفاعي سابقا

خطبة في الإصلاح بين الناس

الحمد لله رغبتنا في الإصلاح بين المتخاصمين ، والقضاء على كل نزاع بين طائفتين ، ووعدنا على ذلك خيره العظيم ، وفيضه الكريم (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)

« ١١٤ النساء »

أشهد أن لا إله إلا الله ، بيده مفاتيح القلوب ، إن شاء ملاًها ألفة ورحمة ، بعد ما كان بها من عدا وفرقة ، فإن أخلص المصلح في إصلاحه ، ولم يُراعِ إلا الله في عمله ، نزع الشقاق المستحکم ، والداء المستفحل ، في أقرب من لمح البصر (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) « ٣٥ النساء »

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) « ٨٢ يس »
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، حثنا على التعاضد ، وأمرنا بالتناصر ، ورفع درجة المصلحين المخلصين ، على درجة المصلين والصائمين والمتصدقين ، فصلاوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المستقيم وساروا وراء كتاب الله المبين .

أما بعد : فإن الإصلاح بين المسلمين ، توجبه أخوتهم ، وتقضيته وحدتهم ، يدعو إليه كتابهم ، ويحث عليه نبيهم : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ،

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠ الحجرات)
جعلنا الإسلام كتلة متماسكة ، ويداً واحدة .

فأى عدااء بين فردين منا ، أو خصام في جماعتين فينا ، مضر بمصلحتنا ،
مريق لدمائنا ، مبدد لأموالنا ، مضعف لروح الدين في نفوسنا .

كم من نفوس ضاعت في تقاتل الجماعات الإسلامية ، وكم من ممالك
تظلمها راية الإسلام ، التهمتها الدول الغربية ، وقت كنا مشغولين بالخصام ،
نحكم فينا حد الحسام ، لا نرجع إلى كتاب الله ، فنتخذ منه حكماً عادلاً ،
ولا إلى عقولنا ومصلحتنا ، علناً نجد فيها رادعاً .

يحصل سوء تفاهم بين فردين أو أسرتين ، قنهمل أمره ، ونستصغر
شرره ، فلا يتحرك المصلحون حتى يرفع الأمر إلى المحاكم ، فيعظم الشرر ،
ويكبر الخطب ، وهناك جائحة المال ، فالمحاكم تحتاج إلى رسوم ، والمحامون
يطلبون الأجر الباهظ ، والخصوم ينفقون في التنقلات ، وعلى القاعين
بالشهادات ، هنالك القاضية على الذمم والأخلاق ، فتنكر الحقوق الظاهرة ،
وتروج الشهادات الكاذبة ، وتخلق الحيل الباطلة ، ويسلك كل سبيل للغلبة
والظفر ، وإن كان سبيلاً للشياطين ، وكفراناً لرب العالمين .

هنالك تقوم المشاجرات ، وتشتد المنازعات ، ويغضى بعضهم على
بعض ، فتقلع الزروع ، ويحرق المحصول ، ويسم الحيوان ، وقد يقتل
الإنسان ، وكان مانعاً دون هذا كله كلمة طيبة ، من نفس مؤقرة ، تقضى على
هذا الشقاق ، ويحل محله الوئام والوفاق .

تبدو بوادر الشقاق بين الزوجين فيهمل شأنها الأهلون ، فتزداد الشجرة ، وتنمو النقرة .

فإذا النفوس المتحابية المتصافية المتألفة المتراحة ، قد تحولت إلى نفوس متباغضة متعادية ، متفرقة مختلفة ، قد لا يفصل في قضيتها إلا الفراق ، وما أشده جنايةً على الأخلاق إذا كان لأسباب حقيرة ، أولدواع صغيرة ، وكان الحكمان نعم الدواء لهذا الداء لقوله تعالى ' .

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) « ٣٥ النساء » .

أيها المسلمون لا تدعوا في ديار الإسلام فردين يتنازعان ، ولا فريقين يختصمان ، ولا حزبين يتسابان ويقتتلان ، ولا أسرتين تتعاديان ؛ بل ليتقدم أولو الرأي فيكم ، وذوو المكانة منكم ، وليقربوا بين النفوس المتشاكسة ، بما أوتوا من حكمة ، وما رزقوا من هيبة ، وليراعوا في الإصلاح أن يكونوا حكاماً منصفين ، وقضاةً عادلين (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

« ٩ الحجرات »

وليكن الإخلاص في العمل مالئاً نفوسكم ، والرغبة في الوفاق مالكة مشاعركم ، فإن ذلك أنجح في المهمة ، وأقرب للبغية ، فإن أباي الظالم الإخصاماً فشدوا على يديه ، وخذوه بالقوة إلى حيث يرمى ' حرمت الله ، وقيم حدوده (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

عَلَى الْآخِرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ (٩ الحجرات)

أيها المسلمون : إن الخصومات مشغلة للقلب ، مدعاة للهم ، محرقة للدم ،
مضيعة للوقت في غير مُجد ولا مفيد ، وإن السعي في الصلح ، والتسامح
في الحق ، جالب لرضاء الرب ، معظم للأجر .

فلا تبيعوا ملكاً واسعاً بعرض زائل ، ومال ضائع ، (فما متاع الحياة
الدنيا في الآخرة إلا قليل) . (٣٨ التوبة)

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بلى .
قَالَ : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ » .

رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث صحيح . قال : وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ تَخْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ
تَخْلِقُ الدِّينَ »

عن كتاب إصلاح الوعظ الديني
للرحوم عبد العزيز الخولي .

خطبة أخرى في الإصلاح بين الناس

الحمد لله حبيب للمؤمنين الصلاح والإصلاح ، والصلاة والسلام على خير من دعا حيّ على الفلاح ، سيدنا محمد سلك بأمرته طريق الفوز والنجاح .
أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله دعا للألفة ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله نهى ' عن الفرقة ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه المصلحين .

كثر النزاع بين الناس ، وعم الخلاف ، واستحكمت الشر ، وتأصل النفور ، ودخل الشيطان القلوب فسكنها ، فصرنا نرى الشقاق بين الأصدقاء والأزواج ، والأسر والأحزاب ، والطوائف والفرق ، والممالك والدول ، حتى يخيل لك أن المرأة عدوة لزوجها ، وأن الصديق حرب على صديقه ، وأن الأحزاب تتقاتل ، فقام كل يتفنن في التغلب على صاحبه ، والإيقاع به ، والتشهير والانتقام منه ، وكانت النتيجة لهذا التشاحن أن انقطعت الرابطة ، وانعدمت الثقة ، وقل التعاون والتآلف ، وذهب البر والتناصر ، ففشلنا ، وذهب ريحنا ، فانقسمنا فضايع ماكننا (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) «١١٧ هود»

يقوم نزاع بين زوجين ، فلا يجدان مصلحاً يقرب بينهما ، ولا يتقدم حائل لإطفاء غضبهما ، فيكبر الأمر ، ويعظم الشر ، حتى يصل للمحاكم ، فتكون قضايا وخصومات ، ورسوم وشهادات ، وزور وباطل ،

وحيل و. تان ، ولو اتبعنا القرآن لتداركنا الأمر قبل استفحالاه ، وقطعنا دابر الشر قبل انتشاره .

قال تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)
« ٣٥ النساء »

وقال تعالى : (وَإِنْ أُمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) « ١٢٧ النساء »

يدب خلاف بين صديقين ، أو أسرتين ، فيتعصب كل لرأيه ، ويتصلب لهواه وميله ، ويلوى كل عنقه كبراً ، ويُدير عناداً وبطراً ، وتبدأ المناوشات والتشاجر ، ثم التضارب والتقاتل ، فزهق الأرواح ، وتقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، ويقتلع الزرع نكابةً وانتقاماً ، وتسمُ المواشي غلاً وتشفياً وعناداً ، وينقسم الناس فريقين ، ويتحزبون شيعاً وطوائف ، فتكثر شهادة الزور ، وتفشو النيمة والوقعة ، وتمطل المصالح ، وتضيع الأموال هباءً ، ويختل الأمن ، ويضطرب النظام .

ولو تدبرنا القرآن ، لمنعنا البغى والعدوان ، فالله يقول : (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) « ١ الأنفال »

تتعدد الأغراض بين الطوائف ، وتختلف الأطماع بين الأحزاب ، فيتشاعون ويتسابون ، وكل يطعن الآخر بأحد المطاعن ، ويرميه بأقذر التهم ، حتى صارت مجالسهم وجرائدهم مشحونة بالقذف المخزي ، واللعن

القيح ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويمدحون عدوهم ، ويخاصمون إخوانهم ،
ويصالحون الأجنبي ، بل ويتزلفون له ويتملقون ، والدين من ورائهم يشكو
تصدع البنيان ، وتزلزل الأركان ، وأوطانهم من خلفهم استعبدت للأجنبي ،
وسخرت للغريب .

وما قدم دين إلا بائتلاف ، ولا نجا وطن إلا باتحاد واعتصام .
ولو حكمنا كتاب الله لأرشدنا للحق ، ولو احتكمنا للعقل لأنكر
هذا الخلق .

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَسَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ . فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ . وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

« ٩ ، ١٠ الحجرات »

أين دُعاة الإصلاح ؟ أين من ينادى بالتصافح والوفاق ؟ أين من يجرد
نفسه من هواها ، وقلبه من حسده ، ويعمل على تقريب النفوس ، وجمع
الكلمة ، وتوحيد الصفوف والجهود ، والناس في مجالسهم ونواديهم يزدون
النار اشتعالاً ، ويوغرون الصدور ، ويهيجون الخواطر ، ويحرض بعضهم
بعضاً ، ويديتتون الشر لإخوانهم ، حتى صارت دعوة الإصلاح مكروهة ،
ونادى التآلف بغيضاً ، وصوت الحق والدين لا يرضى أحداً ؟

والله يقول : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ

أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) « ١١٤ النساء »

لقد كان فينا رجال يعقدون مجالس الصلح في القرى والمدن ، يداوون الخلاف ، ويعالجون المشاكل ، ويفضون النزاع في مجلس ينتهي بولية وطمع ، وصفاء وسلام .

لقد كان في كل خط وحارة كبير منها ، كلمته محترمة ، ورأيه مطاع ، وقوله في الإصلاح مسموع .

إن الإصلاح بين الناس أدنى أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . إن الإصلاح بين المتخاصمين ، والتقريب بين متباعدين يرضى الرحمن ، ويوافق الأديان ، وهو أفضل قربة لله ، رفعه النبي صلى الله عليه وسلم على منزلة الصلاة (عمود الدين) وعلى الصوم (مهدب الأرواح) ، وعلى الصدقة (مظهر الرحمة) وبين أن النزاع يحو الدين من القلوب ، ويزيل الإيمان من الصدور . قال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ » .

إننا مسامون لا يليق أن تأخذنا العزة بالإثم ، فنغضب من دعوة الحق . نحن موحدون لا يصح أن نعرض عن قول الصدق ، نحن مؤمنون بقول رسولنا صلى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

نحن مصدقون قول نبينا صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالشَّهْرِ وَالْحُمَى » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَمْدُلُ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ صَدَقَةً ، وَيُعِينُ الرَّجُلُ فِي دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةً ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةً » .

وقال جابر رضى الله عنه : « اقْتَتَلَ غُلَامَانِ ، غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَنَادَى الْمُهَاجِرُ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ! وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ : يَا لَلْأَنْصَارِ ! فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ دَعَوَى أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالُوا : لَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا إِنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ . قَالَ : فَلَا بَأْسَ ، وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ » .

عن كتاب الوعظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود علي أحمد

خطيب مسجد الرفاعي سابقاً

فهرست

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	كلمة المغفور له الشيخ محمد الحسيني	٢	— الأيمان الكاذبة
٥	الظواهرى	٥٦	حديث فى النهى عن اليمين الفاجرة
٩	المقدمة	٥٩	حديث فى النهى عن الحلف بغير الله
١٠	المعاملات الأدبية	٦٠	حديث فى النية فى الحلف
١٤	الصدق فى المعاملة أس النجاح	٦١	حديث فى سوء عاقبة من يحلف بالله كذباً
١٧	الصدق والكذب وأثرهما فى المجتمع	٦٢	خطبة فى النهى عن الحلف بالله وبالطلاق وبالمخلوق
٢٠	أولاً — الصدق	٦٨	ثانياً — كذب الأفعال
٢٢	ثانياً — الكذب	٧٠	١ — النصب والاحتيال واختلاس الألقاب
٢٣	خطبة فى الصدق والكذب	٧١	أمثلة تطبيقية
٢٦	الحق	٧٤	خطبة فى الاحتيال والمحتالين
٢٧	الحق حكمة الوجود	٧٦	٢ — التزوير، أو الكذب كتابة وعقابه القانونى
٢٨	نصيحة عمر لعماله فى اتباع الحق	٨٣	٣ — البلاغ الكاذب وعقابه القانونى
٣١	قصيدة فى الحق والصدق	٨٥	حسن الخلق وآثاره ومزاياه فى المعاملة
٣٣	شهادة الحق	٨٧	شرح حديث فى حسن الخلق
٣٥	حكمة الشهادة	٩٠	سوء الخلق ومضاره وعقابه القانونى
٣٨	التخلف عن الشهادة الحقبة بلا عذر	٩٣	العيب فى حق أولى الأمر والعقاب عليه
٤٣	الكذب فى المعاملات		
٤٥	أولاً — كذب الأقوال		
	١ — شهادة الزور		
	العقاب القانونى على شهادة الزور		
	خطبة فى الحث على أداء الشهادة على وجهها		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٩٤	الغيب في حق أحد ملوك الدول	١٤٠	الأحاديث الواردة في النهي عن النميمة
٩٥	الغيب في حق أحد أعضاء العائلة المالكة	١٤٧	شرح حديث في النهي عن النميمة وعقابها
٩٥	عقاب من أهان موظفاً عمومياً ومثله	١٤٩	خطبة في التحذير عن الغيبة والنميمة
٩٦	السب البسيط الغير علني وعقابه	١٥١	٥ — السخرية والاستهزاء بالناس
٩٧	حديث في النهي عن سب الرجل والديه	١٥٦	٦ — النهي عن اللعن والتسبب بالألقاب
٩٨	الفحش وبذاءة اللسان واللعن	١٥٨	الإخلاص في المعاملة
١٠٥	السروكتمانه	١٦٢	خطبة في الإخلاص
١٠٧	كتمان سر الفرد والجماعة	١٦٦	أمثلة في الإخلاص
١١٣	إفشاء السر ومضاره	١٦٩	اتملق والرياء
١١٧	العقاب على إفشاء السر	١٧٣	خطبة في الرياء
١٢٠	المحرمات المنهى عنها شرعاً	١٨١	النفاق
١ — سوء الظن		١٨٤	مثال النفاق
١٢١	٢ — التجسس	١٨٨	الإيثار — أمثلة في الإيثار
١٢٣	التجسس وعقابه القانوني	١٩٤	الأثرة أو الأنانية : حب النفس
١٢٦	٣ — الغيبة	١٩٥	عزة النفس أو الكرامة
١٢٩	أحاديث في الغيبة	٢٠٠	أمثلة في العزة والكرامة
١٣١	تحريم سماع الغيبة	٢٠٢	الدناءة والخسة
١٣٢	العقاب القانوني للغيبة	٢٠٤	المروءة
١٣٤	كفارة الغيبة	٢٠٥	أمثلة في المروءة
١٣٧	٤ — النميمة أو الوشاية	٢٠٧	المثل الأعلى في المروءة
١٣٩	الآيات الواردة في وخامة عاقبة النميمة	٢٠٩	العفة والنزاهة
		٢١٠	أقسام العفة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٠١	مثال في سوء عاقبة خلف الوعد	٢١٣	مثال العفاف
٣٠٤	الغدر		الغيرة
٣٠٦	حديث في لواء الغادر	٢١٨	أمثال في الغيرة
٣٠٩	عقوبة الغدر في القانون	٢٢٠	الأمانة أس المعاملة
٣١٠	الثقة ضمان المعاملة	٢٢٥	أوامر الله ورسوله في الحث على الأمانة
٣١٥	خطبة في أن الدين المعاملة	٢٣١	أمثلة على الأمانة
٣٢٣	خطبة أخرى في أن الدين المعاملة	٢٣٤	خطبة في أنه لا ثقة يقوم ضيعوا الأمانة
٣٢٨	حسن المعاملة ؟	٢٣٩	الخيانة وسوء عاقبتها
٣٣٧	حسن المعاملة وكيف تكون ؟	٢٤٢	أنواع الخيانة
٣٣٩	آداب المعاملة والمعاشرة مع صنوف الخلق	٢٤٥	مثال الخيانة
٣٥٤	أنواع المجاملة في المعاملة	٢٥٠	العقاب القانوني على الخيانة
٣٥٨	خطبة كيف تكون المعاملات في هذه الدار الدنيا ؟	٢٥٧	الوفاء بالعهد والوعد
٣٦٠	السماحة في المعاملة (حديث)	٢٦١	أمثلة في الوفاء
٣٦٢	معاملة التاجر وكيف تكون ؟	٢٦٦	خطبة في الوفاء بالعهد
٣٦٦	سوء المعاملة من الموظفين لأفراد الناس وعقابها القانوني	٢٦٨	الصدقة واختيار الأصدقاء
٣٧٠	الحث على حسن معاملة الخدم والنهي عن إهانتهم وسبهم	٢٧٢	حديث في مداراة الأشرار
٣٧٢	شرح حديث شريف في حسن معاملة الخدم	٢٧٣	خطبة في اختيار الأصدقاء ومن هو الصديق ؟
٣٧٤	حق الخادم على مخدمه	٢٧٩	مخالطة الأخيار ومجانبة الأشرار
٣٨٠	خطبة في الإصلاح بين الناس	٢٨٢	خطبة في الحث على معاشرة الأخيار
٣٨٤	خطبة أخرى في الإصلاح بين الناس	٢٨٦	الوفاء بالصحة
		٢٩٣	ما قيل في فضيلة الوفاء للإخوان
		٢٩٤	خلف الوعد ونقض العهد

استدراك

قد وقعت في هذه الطبعة بعض أخطاء لا تفوت فعملنا القارىء اللبيب فنثبت هنا ما وقفنا عليه .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦١	٨	بنية	بينة
٨٩	١٨	حليفتك	حليتك
٩٢	١٧	واقعة	واقعة
١٠١	١٢	على الله	من الله
١٣٦	١٩	جث	جاءت
١٤٠	١٤	كانت تخبر	تخبر
١٤٠	١٩	مر صاحبهما بقبرين	مر بقبرين صاحبهما
١٦٦	١٦	الحجة المبالغة	الحجة البالغة
١٧٧	١٨	ولا فقراً فلن تبلغ	فلن تبلغ
٢٠٧	١	كان الأسد	كان قلب الأسد
٢١٠	٢	أحد شجرتين	إحدى شجرتين
٢٢٤	١٤	نظرية	فطرية
٢١٢	١٣	وعذاب	وعذب
٣١٩	٨	البالغ	البائع
٣٣٥	١٠	باطراح	باطراح
٣٣٥	١٣	السفطات	السقطات
٣٥٩	٨	لأشخاصهم	لأشخاصهم

اترعى الجزء الثالث بعون الله

في ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٦٦ الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٤٧

وسمى له إن شاء الله تعالى الجزء الرابع